

أيام الحبيب ﷺ

قَصَص من السِّيرة النَّبَوِيَّة

تأليف

مصطفى عدنان الحمداني

د. أحمد شيخ بنقورا

## كتاب طيوف سلسلة من إصدارات يسطرون



كتاب طيوف

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبي

السيد حسن

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

المدير التنفيذي

هناء أمين

الطبعة الأولى

الكتاب : أيام الحبيب صلى الله عليه وسلم

المؤلف : د. أحمد شيخ بنقورا

مصطفى عدنان الحمداني

تصنيف الكتاب : إسلامي

تصميم وإخراج : مؤسسة طيوف

المقاس ١٧ × ٢٤

رقم الإيداع : ٤٣٩٠ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 9 - 628 - 776 - 977 - 978

العنوان : ٢٩٨ شارع الملك فيصل - محطة ضياء

Email : [ketabtoyof@gmail.com](mailto:ketabtoyof@gmail.com)

موقعنا على الفيس بوك : كتاب طيوف

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

obseikan.com

أيام الحبيب ﷺ  
قَصَص من السيرة النبوية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،  
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾

[الأحزاب: ٢١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَظَّمَ الْقَصَصَ كَوَسِيلَةٍ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ، وَاسْتَخْدَمَهَا أَنْبِيَآؤُهُ  
فِي تَبْلِيغِ دَعْوَتِهِمْ؛ لِأَنَّ لِلْقَصَصِ أَثْرًا كَبِيرًا فِي نُفُوسِ بَنِي آدَمَ، إِذْ هِيَ مِنْ أَبْلَغِ الطَّرِيقِ فِي تَعْلِيمِ  
الْمُخَاطَبِينَ وَالتَّأْثِيرِ عَلَيْهِمْ، لِذَا فَإِنَّ سِيرَةَ كُلِّ رَسُولٍ قِصَّةٌ يَعْتَبَرُ بِهَا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ، قَالَ تَعَالَى:  
﴿فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ  
عِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

لِذَلِكَ جَمَعْنَا هَذَا الْكِتَابَ مِنْ سِيرَةِ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَكْمَلُ التَّسْلِيمِ - اخْتَرْنَا  
فِيهِ مَوَاقِفَ مُضِيئَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ ﷺ - وَسِيرَتُهُ كُلُّهَا ضِيَاءٌ وَنُورٌ - مِنْ طُفُولَتِهِ إِلَى التَّحَاقُّهِ بِالرَّفِيقِ  
الْأَعْلَى فِي حُجْرَةِ أُمَّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. مُعْتَمِدِينَ فِي جَمْعِنَا عَلَى كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالسِّيَرَةِ.

هَذِهِ الْقِصَصُ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ خُلُقِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَتُمَثِّلُ تَفْسِيرًا لِمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ فِي  
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حِينَ نَعَتَ رَسُولَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]،  
وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

نَتَمَنَّى لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَقْرَأُ هَذِهِ الْقُطُوفَ الْمُخْتَارَةَ إِزْدِيَادًا فِي الْإِيمَانِ، وَانْشِرَاحًا فِي  
الصَّدْرِ، وَمَزِيدًا مِنْ مَحَبَّةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ، وَرَغْبَةً فِي الْإِفْتِدَاءِ بِهِدْيِهِ ﷺ بِمَا تَبَقَّى لَهُ مِنْ عُمْرِهِ،

وَلِكُلِّ قَارِئٍ غَيْرِ مُسْلِمٍ أَنْ يَجِدَ فِي هَذِهِ الْأَزْهَارِ الْمُتَنَائِرَةِ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ صُورَةَ حَيَاةِ النَّبِيِّ  
ﷺ تَكُونُ بَاعِثَةً لَهُ عَلَى الْإِهْتِمَامِ الْأَكْثَرَ بِسِيرَةِ إِنْسَانٍ يُعَدُّ الْأَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ.  
نَسَأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْزِيَ كُلَّ مَنْ سَاهَمَ فِي تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ، وَنَخُصُّ بِالذِّكْرِ  
الْأَخَوَيْنِ الْكِينَيْنِ عَيْدَرُوسَ وَأَحْمَدَ ابْنَيْ مُحْسِنٍ.

وقبل أن أختتم سطور هذه المقدمة لابد من التنويه بإفادتي من سلسلة الدكتور طارق  
سويدان في السيرة النبوية، وكذلك من دروس الشيخ المغراوي الجزائري - حفظه الله - .  
نَسَأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَقْبَلَ مِنَّا هَذَا الْعَمَلَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، بِمَنِّهِ  
وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ جُمِعَتْ مِنْ سِيرَتِهِ هَذِهِ الْمَوَاعِظُ وَالْعِبْرُ

## وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

د. أحمد شيخ بنقورا

جامعة سان فرانسيسكو

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

obseikan.com

## ١- مُحَمَّدٌ ﷺ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ تَحُلُّ بَرَكَتُهُ عَلَى أُسْرَةِ حَلِيمَةَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ - أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ - تُحَدِّثُ أُمَّتَهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنِ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ، قَالَتْ: وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءٍ<sup>(١)</sup> لَمْ تَبْقِ لَنَا شَيْئًا. قَالَتْ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءٍ<sup>(٢)</sup>، مَعَنَا شَارِفٌ<sup>(٣)</sup> لَنَا - وَاللَّهِ مَا تَبْضُ<sup>(٤)</sup> بِقَطْرَةٍ - وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيْنَا الَّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنَ الْجُوعِ، مَا فِي تَدْيِي مَا يُغْنِيهِ، وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُعَدِّيهِ. - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: يُعَدِّيهِ - وَلَكِنَّا كُنَّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ.

فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تَلِكُ فَلَقَدْ أذَمَّتْ<sup>(٥)</sup> بِالرَّكْبِ؛ حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ صَعْفًا وَعَجَفًا، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَابَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ يَتِيمٌ؛ وَذَلِكَ أَنَا إِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ، فَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمٌ، وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ، فَكُنَّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ، فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِيَ إِلَّا أَحَدَتْ رَضِيعًا غَيْرِي.

(١) سنة شهباء: ذات قحط وجدب. والشهباء: الأرض البيضاء التي لا خضرة فيها؛ لقلة المطر من الشهباء، وهي البياض؛ فسُمِّيت سنة الجذب بها.

(٢) الأتان: الحمار يقع على الذكر والأنثى، والأتان الحمارة الأنثى خاصةً. والقمراء: الثمرة لون إلى الخضرة، وقيل: بياض فيه كُدْرَة، وحمارٌ أقمرٌ. قال ابن قتيبة: الأقرم الأبيض الشديد البياض والأنثى قمراء.

(٣) الشارف: الناقة المسنة التي ارتفع لبنها.

(٤) تبض: أي ما يقطر منها قطرة لبن.

(٥) «حتى أذمت» أي: أذمت الأتان، أي: جاءت بها تدم عليه. والمعنى: أنها أبطأت عليهم حتى حبستهم.

فَلَمَّا أَجْمَعْنَا الْإِنطِلَاقَ قُلْتُ لِصَاحِبِي: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجَعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَمَنْ  
أَخَذَ رَضِيعًا، وَاللَّهِ، لَأَذْهَبَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِمْ فَلَا أَخْذُهُ. قَالَ: لَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى اللَّهُ أَنْ  
يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكََةً .

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ . قَالَتْ: فَلَمَّا  
أَخَذْتُهُ، رَجَعْتُ بِهِ إِلَى رَحِلي، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ تَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنِ،  
فَشَرِبَ حَتَّى رَوِي، وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ ثُمَّ نَامَا، وَمَا كُنَّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَقَامَ  
رَوْحِي إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فِإِذَا إِنَّهَا لِحَافِلٌ<sup>(١)</sup> فَحَلَبَ مِنْهَا مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا رِيًّا  
وَشِبَعًا، فَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ . قَالَتْ: يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعَلَّمِي - وَاللَّهِ - يَا حَلِيمَةً، لَقَدْ  
أَخَذْتَ نَسْمَةً مُبَارَكَةً. قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرْجُو ذَلِكَ .

قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْنَا وَرَكِبْتُ أَنَا أَنَانِي، وَحَمَلْتُهُ عَلَيْهَا مَعِي، فَوَاللَّهِ لَقَطَعْتَ بِالرَّكْبِ مَا يَقْدِرُ  
عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ حُمْرِهِمْ، حَتَّى إِنَّ صَوَاحِبِي لَيَقْلُنَ لِي: يَا ابْنَةَ أَبِي دُوَيْبٍ، وَيَحْكُ ارْبَعِي<sup>(٢)</sup> عَلَيْنَا،  
أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ لَهُنَّ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَهِيَ هِيَ. فَيَقْلُنَ:  
وَاللَّهِ، إِنَّ لَهَا شَانًا .

قَالَتْ: ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَارَ لَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدِ. وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا.  
فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبْنَا. فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ. وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ  
قَطْرَةَ لَبَنِ وَلَا يَجِدُهَا فِي صَرَعٍ. حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُغِيَانِهِمْ: وَيَلْكُمْ،  
اسْرُحُوا حَيْثُ يَسْرُحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي دُوَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبْصُ بِقَطْرَةَ لَبَنِ، وَتَرُوحُ

(١) حافل: أي: ممتلئة الضروع، كثيرة اللبن.

(٢) اربعي: أي ارفقي واقتصري.

عَمِي شِبَاعًا لُبًّا، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْحَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلَّتْهُ؛ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يَشْبُهُ الْعِلْمَانُ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّى كَانَ غَلَامًا جَفْرًا<sup>(١)</sup>.

قَالَتْ: فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مَكْنِهِ فِينَا؛ لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ. فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ، وَقُلْتُ لَهَا: لَوْ تَرَكْتِ بَنِيَّ عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ. قَالَتْ: فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا<sup>(٢)</sup>.

## ٢- حِفْظُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ قَبْلَ النَّبُوءَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: شَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُؤُهُ<sup>(٣)</sup> وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ أَقْدَارِ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ حَتَّى بَلَغَ أَنْ كَانَ رَجُلًا، وَأَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً<sup>(٤)</sup> وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبًا، وَأَحْسَنَهُمْ جَوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفُحْشِ وَالْأَخْلَاقِ النَّبِيِّ تُدْنِسُ الرَّجَالَ تَنْزُهَا وَتَكْرُمًا، حَتَّى مَا اسْمُهُ فِي قَوْمِهِ إِلَّا الْأَمِينُ؛ لِمَا جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّالِحَةِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا ذَكَرَ لِي- يُحَدِّثُ عَمَّا كَانَ اللَّهُ يُحْفَظُهُ بِهِ فِي صِغَرِهِ وَأَمْرٍ جَاهِلِيَّتِهِ، أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي<sup>(٥)</sup> فِي غِلْمَانٍ قُرَيْشٍ نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ بِهِ الْعِلْمَانُ

(١) غلاماً جفراً: أي غليظاً شديداً، ومنه الجفر والجفرة من المعز، ويقال: هو الصبي ابن أربعة أعوام أو نحوها.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٤٣: ١٤) رقم (٦٣٣٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤: ١٣) رقم (٧١٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥٧: ١) رقم (٤٥). وابن هشام في «سيرته» (١: ١٦٢) واللفظ له.

(٣) يُقَالُ: كَلَأَهُ اللَّهُ كِلَاءَةً - بِالْكَسْرِ - أَي: حَفِظَهُ وَحَرَسَهُ.

(٤) المروءة: آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، أو هي كمال الرجولية.

(٥) رأيتني - بضم التاء - والمعنى: رأيت نفسي.

كُنَّا قَدْ تَعَرَى، وَأَخَذَ إِزَارَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ، فَإِنِّي لِأَقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ  
وَأُدْبِرُ إِذْ لَكَمَنِي لَأَكِمَّ - مَا أَرَاهُ - لَكَمَةً وَجِيعَةً، ثُمَّ قَالَ: شَدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ. قَالَ: فَأَخَذْتُهُ  
وَسَدَدْتُهُ عَلَيَّ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِي وَإِزَارِي عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَمَّا نَشَأْتُ بُغِضْتُ إِلَيَّ الْأَوْثَانَ، وَبُغِضَ إِلَيَّ الشُّعْرُ،  
وَلَمْ أَهَمْ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَفْعَلُهُ إِلَّا مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحْوِلُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ  
ذَلِكَ. ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بِسُوءٍ بَعْدَهُمَا حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ.

قُلْتُ لَيْلَةَ لِعُغْلَامٍ كَانَ يَرَعَى مَعِي: لَوْ أَبْصَرْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخَلَ مَكَّةَ فَاسْمُرَ كَمَا  
يَسْمُرُ الشَّبَابُ، فَخَرَجْتُ لِذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ مَكَّةَ أَسْمَعُ عَزْفًا بِالْدُقُوفِ وَالْمَزَامِيرِ  
لِعُرْسٍ بَعْضِهِمْ، فَجَلَسْتُ لِذَلِكَ، فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَيَّ أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيَقْظِيهِ إِلَّا مَسَّ الشَّمْسِ،  
وَلَمْ أَفْضِ شَيْئًا، ثُمَّ عَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَعَبَّاسٌ يَنْقَلَانِ  
الْحِجَارَةَ؛ فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ؛ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ. فَفَعَلَ؛ فَخَرَّ إِلَى  
الْأَرْضِ، وَطَمَحَتْ<sup>(٣)</sup> عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ؛ فَقَالَ: «إِزَارِي إِزَارِي»<sup>(٤)</sup> فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ١٢٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١: ١٨٣)، و«دلائل النبوة»  
للبیهقي (١: ٤١١) رقم (٣٦٥). وفي سنده مبهم.

(٢) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ١٢٨). وفي سنده محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة، وثقه ابن  
حبان في «مشاهير علماء الأمصار» (ص ٢١١) رقم (١٠٣٠) قال: من متقني أهل المدينة. وذكره في «الثقات»  
(٧: ٣٧٠). وقال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» (٢: ٩٩): مقبول. وذكره البخاري في «تاريخه  
الكبير» (١: ١٣٠) وساق حديثه، ولم يذكر فيه جرحاً.

(٣) طمحت: ارتفعت.

(٤) إزارِي إزارِي: أي: أعطوني إياه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٣٤٠).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ؛ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمَّهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ، فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ ذُونَ الْحِجَارَةِ. قَالَ: فَجَعَلْتُهُ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ؛ قَالَ: فَمَا رُؤِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عُرْيَانًا <sup>(١)</sup>.

### ٣- قِصَّةُ بَحِيرَى

بَشَّرَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِبِعْتَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ جَاءَ التَّبَشِيرُ بِهِ صَرِيحاً عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَاءَ بِلِإِي رَسُولِي اللَّهُ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وَأَمَّا التَّبَشِيرُ بِصِفَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ فَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ، يَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ كَرِيمٍ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وَمِنْ ذَلِكَ خَبَرُ بَحِيرَى الرَّاهِبِ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ تَاجِراً إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ الْمَسِيرَ صَبَّ <sup>(٢)</sup> بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا يَزْعُمُونَ- فَرَقَّ لَهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا يُفَارِقُنِي، وَلَا أُفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ.

(١) أخرجه مسلم (٣٤١).

وفي هذا الحديث والذي قبله ليس فيها أن عورته ﷺ انكشفت للناس، إذ لأوّل انكشافه سقط إلى الأرض مغشياً عليه كما ذكر في الحديث، ولعله قبل أن تقع عين أحدٍ عليه.

(٢) الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشُّوقِ، يُقَالُ صَبَبْتُ - بِكَسْرِ الْبَاءِ - أَصْبْتُ.

فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصِرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ: (بَحِيرَى) <sup>(١)</sup> فِي صَوْمَعَةٍ <sup>(٢)</sup> لَهُ، وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَى، وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَمْرُونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَا يُكَلِّمُهُمْ، وَلَا يَعْرِضُ لَهُمْ <sup>(٣)</sup>، حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامَ. فَلَمَّا نَزَلُوا بِهِ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - عَنْ شَيْءٍ رَأَهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرَّكْبِ <sup>(٤)</sup> حِينَ أَقْبَلُوا، وَعِمَامَةٌ تُظَلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ.

قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلُوا فَتَزَلُّوا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْعِمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ، وَتَهَيَّأَتْ <sup>(٥)</sup> أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّتْ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بِحِيرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ الطَّعَامِ، فَصَنِعَ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلُّكُمْ صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ عَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ يَا بَحِيرَى إِنَّ لَكَ لَشَأْنَا الْيَوْمَ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا، فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟

(١) قال العلامة السهيلي: وقع في «سير الزهري» أن بحيرى كان حبراً من يهود تيماء (بلدة صغيرة من أطراف الشام، كان يقال لها تيماء اليهودي)، وفي المسعودي: أنه كان من عبد القيس، واسمه سرجس. وفي «المعارف» لابن قتيبة، قال: سُمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى، وَرَبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّنِي، والثالث المنتظر. فكان الثالث رسول الله ﷺ. «الروض الأنف» (٢: ١٤٠).

(٢) بيت العبادة عند النصارى ومتعبد الناسك.

(٣) بمعنى: لا يخرج لهم من صومعته ولا يظهر.

(٤) الركب: الراكبون العشرة فما فوق (جمعه: أَرْكَبٌ وَرُكُوبٌ).

(٥) تَهَيَّأَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ: تَهَدَّأَتْ. وتهدل الشيء: استرخى أو تدلى، يقال: تهدلت الشفة استرخت، وتهدل الثمر أو الغصن تدلى.

قَالَ لَهُ بَحِيرَى: صَدَقْتَ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّكُمْ صَيِفٌ وَقَدْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُكْرِمَكُمُ،  
وَأَصْنَعَ لَكُمْ طَعَامًا، فَتَأْكُلُوا مِنْهُ كُلُّكُمْ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ -  
لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ<sup>(١)</sup> - فِي رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

فَلَمَّا نَظَرَ بَحِيرَى فِي الْقَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَجِدُ عِنْدَهُ؛ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ  
قُرَيْشٍ، لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنِّي عَنْ طَعَامِي. قَالُوا لَهُ: يَا بَحِيرَى، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ  
أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غُلَامٌ وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ سِنًّا. فَتَخَلَّفَ فِي رِحَالِهِمْ؛ فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا، أَدْعُوهُ  
فَلْيَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ.

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، إِنْ كَانَ لِلْقَوْمِ<sup>(٢)</sup> بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ  
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِّي عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ.  
فَلَمَّا رَأَاهُ بَحِيرَى، جَعَلَ يَلْحَظُهُ<sup>(٣)</sup> لِحَظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءٍ مِنْ جَسَدِهِ، وَقَدْ كَانَ يَجِدُهَا  
عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا، قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَى؛ فَقَالَ: يَا غُلَامُ،  
أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَى ذَلِكَ  
لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَخْلِفُونَ بِهِمَا، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى  
شَيْئًا، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَغْضَهُمَا».

فَقَالَ لَهُ بَحِيرَى: فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ. فَقَالَ لَهُ: «سَلْنِي عَمَّا بَدَأَ  
لَكَ». فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ أَشْيَاءٍ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْبَتِهِ وَأُمُورِهِ؛ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ

(١) حَدَاثَةُ السِّنِّ: كِنَايَةٌ عَنِ الشَّبَابِ وَأَوَّلِ الْعُمُرِ.

(٢) الرَّحْلُ: مَا يُوَضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِلرُّكُوبِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَعْدُ لِلرَّحِيلِ مِنْ وَعَاءٍ لِلْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ، جَمْعُهُ:  
أَرْحَالٌ، وَرِحَالٌ.

(٣) اللَّوْمُ ضِدُّ الْكَرَمِ، وَاللَّيْمُ: الدَّنِيءُ الْأَصْلُ الشَّحِيحُ النَّفْسِ.

(٤) لِحَظُهُ يَلْحَظُهُ لِحَظًا وَلِحَظًا، وَلِحَظٌ إِلَيْهِ: نَظَرَهُ بِمَوْخِرِ عَيْنِهِ مِنْ أَيِّ جَانِبِهِ كَانَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا.

فَيُؤَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَى مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمِحْجَمِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْعِلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. قَالَ لَهُ بَحِيرَى: مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْعِلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبَوْهُ حَيًّا، قَالَ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي، قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبَوْهُ؟ قَالَ: مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ. قَالَ: صَدَقْتَ، فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَيْسَ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لِيَبْعُنَهُ<sup>(٢)</sup> شَرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ.

فَخَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ سَرِيعًا، حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ حِينَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بِالشَّامِ، فَزَعَمُوا -فِيمَا رَوَى النَّاسُ- أَنْ زُرِيرًا وَتَمَامًا وَدَرِيْسًا- وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - قَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بَحِيرَى فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَأَرَادُوهُ فَرَدَّهُمْ عَنْهُ بَحِيرَى، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَمَا يَجِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَتَتْهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا لِمَا أَرَادُوا بِهِ لَمْ يَخْلُصُوا<sup>(٣)</sup> إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى عَرَفُوا مَا قَالَ لَهُمْ، وَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ؛ فَتَرَكُوهُ وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) قال العلامة السهيلي: وَقَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ: كَانَ كَأَثَرِ الْمِحْجَمِ، يَعْنِي: أَثَرُ الْمُحْجَمَةِ الْقَابِضَةِ عَلَى اللَّحْمِ حَتَّى يَكُونَ نَاتِبًا. وَفِي صِفَتِهِ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ كَالْتُّفَاحَةِ وَكَزَّرِ الْحَجَلَةِ. «الروض الأنف» (١٤٢:٢). وهناك أقوال أخرى في صفة خاتم النبوة.

(٢) أي: يريدون ويطلبون له الشر.

(٣) خالص إليه: أي وصل. بمعنى أنكم لا تستطيعون الوصول إليه، ولا يمكنكم إيقاع الشر به.

(٤) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص ١٢٣) واللفظ له، وابن هشام في «السيرة» (١: ١٨٠)، وابن سعد في «الطبقات» (١: ١٥٣) بأسانيد معضلة، وأخرج القصة الترمذي في «جامعه» (٥٩٠:٥) رقم (٣٦٢٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والحاكم في «المستدرک» (٢: ٦٧٢) رقم

(٤٢٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

#### ٤- غلامٌ خديجةٌ (ميسرة) يرى إرهاباتِ النبوة

لقد هياً الله ﷻ للنبي ﷺ مهيباتٍ كثيرة، ووقعت عدة أحداثٍ كانت بمثابة إرهاباتٍ وعلاماتٍ ودلالاتٍ على نبوته ﷺ، منها: تسليم الحجر. فعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»<sup>(١)</sup>. ومنها: الرؤيا الصادقة، كما روت عائشة رضي عنها: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»<sup>(٢)</sup>. وغيرهما، ومن ذلك ما شاهده ميسرة في رحلته مع النبي ﷺ إلى الشام، وإليك الخبر:

قال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال. تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم<sup>(٣)</sup> إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً؛ فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه؛ بعثت إليه،

(١) قال محمد بن علي التهاوني: (الإرهاب) شرعاً: قسم من الخوارق، وهو الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة، سمي به لأن الإرهاب في اللغة بناء البيت، فكانه بناء بيت إثبات النبوة. «كشاف اصطلاحات الفنون» (٣: ٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧)، وأحمد (٨٩: ٥)، والدارمي (٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠). والمراد بفلق الصبح: ضياؤه. وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لا شك فيه.

(٤) المضاربة: أن تُعطي مالاً لغيرك يتجر فيه فيكون له سهم معلوم من الربح، وهي مُفاعلة من الضرب في الأرض، والسير فيها للتجارة.

فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ فِي مَالِ لَهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التُّجَّارِ مَعَ غَلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ: مَيْسِرَةٌ<sup>(١)</sup>. فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا.

وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ وَخَرَجَ مَعَهُ غَلَامُهَا مَيْسِرَةً، حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ. فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ مِنَ الرَّهْبَانِ، فَاطَّلَعَ الرَّاهِبُ إِلَى مَيْسِرَةَ؛ فَقَالَ لَهُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ لَهُ مَيْسِرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ.

ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِلْعَتَهُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ، ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلًا<sup>(٢)</sup> إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ. فَكَانَ مَيْسِرَةُ -فِيمَا يَزْعُمُونَ- إِذَا كَانَتْ الْمُهَاجِرَةَ<sup>(٣)</sup> وَاشْتَدَّ الْحَرُّ، يَرَى مَلَكَينِ يُظِلَّانِيهِ مِنَ الشَّمْسِ، وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ فَأَضْعَفَ<sup>(٤)</sup> أَوْ قَرِيبًا. وَحَدَّثَهَا مَيْسِرَةُ عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَعَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ إِظْلَالِ الْمَلَكَينِ إِيَّاهُ.

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيَّةً مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهَا مَيْسِرَةُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ -فِيمَا يَزْعُمُونَ-: يَا ابْنَ عَمِّ، إِنِّي قَدْ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: ميسرة غلام خديجة، ذكر في السيرة، وكان رفيق النبي ﷺ في تجارة خديجة قبل أن يتزوجها، وحكى بعض أدلة نبوته، وترجم له ابن عساکر، ولم أفهم على رواية صريحة بأنه بقي إلى البعثة، فكتبته على الاحتمال. «الإصابة في تمييز الصحابة» (٦: ٢٤٠).

(٢) أي: راجعاً.

(٣) المهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرِّ.

(٤) أي: تضاعف المال إلى مثله أو قريباً منه.

رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ، وَسَطَتِكَ<sup>(١)</sup> فِي قَوْمِكَ، وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا. وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا؛ كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

### ٥- خَدِيجَةُ تَخْطُبُ النَّبِيَّ ﷺ

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ عَنْ عُمَيْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ نَيْفَسَةَ بِنْتِ مُنِيَةَ، قَالَتْ: كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ امْرَأَةً حَارِمَةً جَلْدَةً شَرِيفَةً؛ مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْخَيْرِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، وَكُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى نِكَاحِهَا لَوْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَذُكِرَ بِهَا وَبَدَلُوا لَهَا الْأَمْوَالَ، فَأَرْسَلْتَنِي دَسِيسًا<sup>(٣)</sup> إِلَى مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ فِي عَيْرِهَا مِنَ الشَّامِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزَوَّجَ؟ فَقَالَ: «مَا بِيَدِي مَا أَنْزَوْجَ بِهِ».

قُلْتُ: فَإِنْ كُفِّتَ ذَلِكَ وَدُعِيتَ إِلَى الْجَمَالِ وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْكَفَاءَةِ، أَلَا تُجِيبُ؟ قَالَ: «فَمَنْ هِيَ؟». قُلْتُ: خَدِيجَةُ، قَالَ: «وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: عَلِيٌّ، قَالَ: «فَأَنَا أَفْعَلُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) السُّطَّةُ مِنَ الْوَسَطِ مَصْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ، وَالْوَسَطُ مِنْ أَوْصَافِ الْمَدْحِ وَالتَّفْضِيلِ، وَلَكِنْ فِي مَقَامَيْنِ: فِي ذِكْرِ النَّسَبِ، وَفِي ذِكْرِ الشَّهَادَةِ. «الروض الأنف» (٢: ١٥٣).

(٢) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١: ١٢٨). «سيرة ابن هشام» (١: ١٨٧). والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤٤٦: ١) من طريق ابن إسحاق. ونرى هنا ابن إسحاق ناقدًا للرواية بقوله المتكرر: فِيهَا يُزْعَمُونَ.

(٣) أي: خفية إلى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام.

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١: ١٣١)، ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة بنت حويلد ﷺ.

## ٦- نُزُولُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ (١) الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ (٢) فِي النَّوْمِ (٣)؛ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ (٤)، وَكَانَ يَجْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ (٥) فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيْلِي دَوَاتِ الْعَدَدِ (٦) قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ (٧) إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ (٨)، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيءٍ» (٩).

(١) تصريح من السيدة عائشة رضي الله عنها بأن رؤيا النبي ﷺ من جملة أقسام الوحي، وهذا متفق عليه، وإنما بدئ ﷺ بالوحي في المنام قبل جميع أقسام الوحي؛ ليكون تمهيداً وتوطئة بمجيء الملك إليه في اليقظة بالوحي؛ لئلا يأتيه بصريح النبوة بغتة.

(٢) أنها الصادقة؛ لأنها صالح ما يرى في المنام من الأضغاث، وأباطيل الأحلام.

(٣) «في النوم» لزيادة الإيضاح، أو ليخرج رؤيا العين في اليقظة؛ لجواز إطلاقها مجازاً.

(٤) لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ لِعَدَمِ تَحَقُّقِ الْبَاعِثِ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ لِيُسَبَّحَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَاعِثِ الْبَشَرِ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الْإِلَهَامِ، وَالسَّرُّ فِيهِ أَنَّ الْخَلْوَةَ فَرَاغُ الْقَلْبِ لِمَا يَتَوَجَّهُ لَهُ.

(٥) (التَّحَنُّنُ) التَّعَبُّدُ، وَأَصْلُ الْحُنْتِ الْإِثْمُ، فَمَعْنَى يَتَحَنَّنُ يَتَجَنَّبُ الْحُنْتَ، فَكَأَنَّهُ بِعِبَادَتِهِ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْحُنْتِ، وَمِثْلُ يَتَحَنَّنُ يَتَحَرَّجُ وَيَتَأَنَّمُ أَيُّ يَتَجَنَّبُ الْحَرَجَ وَالْإِثْمَ.

(٦) أي الليالي الكثيرة.

(٧) يرجع.

(٨) ويتزود لمدة خلوته وتعبدته، والتزود اتخاذ الزاد، والزاد هو الطعام الذي يستصعبه المسافر.

(٩) لا أعرف القراءة ولا أحسنها.

قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي»<sup>(١)</sup> حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادَهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فَقَالَ: «رَمَلُونِي رَمَلُونِي»<sup>(٣)</sup>. فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ<sup>(٤)</sup>؛ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْرِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ<sup>(٥)</sup>، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ<sup>(٦)</sup>، وَتَقْرِي الضَّيْفَ<sup>(٧)</sup>، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ<sup>(٨)</sup>.

فَانطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ؛ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ

(١) ضممني وعصريني حتى حبس نفسي ومثله غتني.

(٢) قال الإمام النووي: وَأَمَّا (الْجُهْدُ) فَيَجُوزُ فَتَحُ الْجِيمُ وَضَمُّهَا، لُعْتَانٌ. وَهُوَ الْعَايَةُ وَالْمَشَقَّةُ. وَيَجُوزُ نَصْبُ الدَّالِ وَرَفْعُهَا: فَعَلَّ النَّصْبُ: بَلَغَ جَبْرِيلُ مِنِّي الْجُهْدَ، وَعَلَى الرَّفْعِ: بَلَغَ الْجُهْدَ مِنِّي مَبْلَغَهُ وَعَايَتَهُ.

(٣) أَي: لُفُونِي، يُقَالُ: زَمَلَهُ فِي ثَوْبِهِ، إِذَا لَفَّهُ فِيهِ.

(٤) الروع: الفزع.

(٥) أَي: أَنْتَ تَعِينُ الضَّعِيفَ، وَتَرْفَعُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الثَّقَلِ.

(٦) تَتَبَرَّعُ بِالْمَالِ لِمَنْ عَدَمَهُ، وَتَعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عِنْدَ غَيْرِكَ.

(٧) تَهْبِيءُ لَهُ الْقَرَى، وَهُوَ مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ.

(٨) النوائب جمع نائبة، وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات، وأضيفت إلى الحق؛ لأنها تكون في الحق

والباطل.

عَمَّ، اسْمَعُ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَّةٌ: يَا ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَّةٌ: هَذَا النَّامُوسُ<sup>(١)</sup> الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا<sup>(٢)</sup>، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْخُرِجِي هُمْ؟! قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ<sup>(٣)</sup> أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ<sup>(٥)</sup> وَرَقَّةٌ أَنْ تُؤْفِي، وَفَتَرَ<sup>(٦)</sup> الْوَحْيَ<sup>(٧)</sup>.

## ٧- خديجة عليها السلام تتأكد من صيف النبي ﷺ

رَوَى ابْنُ هِشَامٍ عَنْ خَدِيجَةَ عليها السلام أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ ابْنِ عَمٍّ أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ. فَجَاءَهُ جَبْرِيلُ عليه السلام كَمَا كَانَ يَصْنَعُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِخَدِيجَةَ: يَا خَدِيجَةُ، هَذَا جَبْرِيلٌ قَدْ جَاءَنِي.

قَالَتْ: فَمَنْ يَا ابْنَ عَمٍّ - فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُسْرَى. قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخِذِي الْيُمْنَى. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيَّ فَخِذَهَا الْيُمْنَى؛ فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ

(١) صاحب سر الملك الذي لا يحضر إلا بخير، ولا يظهر إلا الجميل، ويقال: نامسه ينامسه منامسة، إذا سارَهُ، وُسْمِي جبريل عليه السلام ناموساً؛ لأنه مخصوص بالوحي والغيب اللذين لا يطلع عليهما غيره.

(٢) جدع: شاب، والجدع في الأصل الصغير من البهائم، ثم استعير للشباب من الإنسان.

(٣) يومك: يوم إخراجك، أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك.

(٤) مؤزرا: قويا من الأزور وهو القوة.

(٥) فلم ينشب: بفتح الشين، أي: لم يمكث. وأصل النشوب التعلق، فكأنه قال: لم يتعلق بشيء غير ما ذكر.

(٦) فتر الوحي: فتوره عبارة عن تأخره مدة، وكان ذلك ليذهب ما كان عليه السلام وجدَهُ مِنَ الرَّوْعِ.

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣)، ومسلم رقم (١٦٠).

فَاجْلِسْ فِي حَجْرِي<sup>(١)</sup>. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ فِي حَجْرِهَا. قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَتَحَسَّرَتْ وَأَلْقَتْ حِمَارَهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي حَجْرِهَا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: يَا ابْنَ عَمِّ، وَأُبَشِّرُ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَمْلُوكٌ، وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ<sup>(٢)</sup>.

## ٨- سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ<sup>(٣)</sup> أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

(١) حَجْرُ الْإِنْسَانِ - بِالْفَتْحِ وَقَدْ يَكْسُرُ - حِصْنُهُ وَهُوَ مَا دُونَ إِبْطِهِ إِلَى الْكُفْحِ.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «سيرته» (١: ٩٥)، و «ابن هشام» (١: ٢٣٨)، والماوردي في «أعلام النبوة» (ص ٢٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢: ١٥٢). وهو حديث مرسل.

قَالَ الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ: وَهَذَا شَيْءٌ كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَصْنَعُهُ تَسْتَشِيبُ بِهِ الْأَمْرَ اخْتِطَاطًا لِدِينِهَا وَتَصَدِّيقًا، فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ كَانَ قَدْ وَثِقَ بِمَا قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ وَأَرَاهُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَمَا كَانَ مِنْ تَسْلِيمِ الشَّجَرِ وَالْحَجْرِ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ مِنْ إِجَابَةِ الشَّجَرِ لِدُعَائِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ وَسَكَاهُمْ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَأَرَادَ أَنْ يُطِيبَ قَلْبَهُ.

(٣) أَدَمْتُ الْحَبْرَ وَأَدَمْتُهُ بِاللُّغَتَيْنِ: إِذَا أَصْلَحْتَ إِسَاعَتَهُ بِالْإِدَامِ، وَالْإِدَامُ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مَائِعًا كَانَ أَوْ جَامِدًا، وَجَمَعُهُ أُدْمٌ مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتِبَ.

(٤) الْقَصَبُ: اللُّوْلُوُ الْمُجَوَّفُ، وَالصَّخْبُ: الصَّوْتُ الْمُخْتَلِطُ الْمُرْتَفِعُ، وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ.

وذكر الصخب والنصب أيضاً من باب المشاكلة؛ لأنه لما دعاها إلى الإيمان أجابته سريعاً ولم توجهه إلى أن يصخب كما يصخب الرجل إذا تعصت عليه امرأته، ولا أن ينصب، بل أزالته عنه كل نصب، وأنسته من كل وحشة، وهوتت عليه كل مكروه، وأزاحت بهاها كل كدر ونصب، فوصف منزلها الذي بشرت به بالصفة المقابلة لفعالها بصورة حالها.

(٥) أخرجه البخاري (٣: ١٣٨٩) رقم (٣٦٠٩)، ومسلم (٤: ١٨٨٧) رقم (٢٣٤٢).

## ٩- لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ حَدَّثَ، أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ: إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَضِيرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا<sup>(١)</sup>، وَعَيْبِ آهِنِنَا، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ فَعَظَمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ وَلَمْ يَطْبُ نَفْسًا بِإِسْلَامِ<sup>(٢)</sup> رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ وَلَا خِذْلَانِهِ، فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبَى عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحْمَلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ. فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لِعَمِّهِ فِيهِ أَنَّهُ خَازِلُهُ<sup>(٣)</sup> وَمُسْلِمُهُ<sup>(٤)</sup>، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنِ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمُّ: وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتَهُ» قَالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ<sup>(٥)</sup> رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَى، ثُمَّ قَامَ.

(١) أي: نسب عقولنا إلى السفه، وهو خفة العقل.

(٢) أي: تسليم النبي ﷺ إلى قريش.

(٣) خَذَلْتَهُ وَخَذَلْتُ عَنْهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ، وَالْإِسْمُ الْخِذْلَانُ إِذَا تَرَكْتَ نُصْرَتَهُ وَإِعَانَتَهُ وَتَأَخَّرْتَ عَنْهُ.

(٤) أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو عامٌّ في كلِّ من أسلمته إلى شيء، لكن دخله التخصيصُ وغلبَ عليه الإلقاء في الهلكة.

(٥) من العبرة، وهي تحلب الدمع.

فَلَمَّا وَتَى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ؛ فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛  
فَقَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُكَ لِسَيْءٍ أَبَدًا<sup>(١)</sup>.

## ١٠- أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ بَنُو مُحْزُومٍ يُحْرَجُونَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَبِيهِ، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ  
إِسْلَامٍ، إِذَا حَمَيْتِ الظَّهِيرَةُ يُعَذَّبُونَ بِرَمَضَاءَ<sup>(٢)</sup> مَكَّةَ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ، فِيمَا  
بَلَّغَنِي: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ» فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا، وَهِيَ تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أُمِّ هَانِيَةَ رضي الله عنها: أَنَّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَأَبَاهُ وَأَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَسُمَيَّةَ أُمَّ عَمَّارٍ رضي الله عنهم  
كَانُوا يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى، فَمَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ،  
مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ». وَفِي رِوَايَةٍ «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِآلِ يَاسِرٍ، وَقَدْ فَعَلْتَ» فَمَاتَ يَاسِرٌ  
فِي الْعَذَابِ.

وَأُعْطِيَتْ سُمَيَّةُ لِأَبِي جَهْلٍ فَطَعَنَهَا فِي قُبُلِهَا فَمَاتَتْ. بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهَا: مَا أَمَنْتِ بِمُحَمَّدٍ  
إِلَّا لِأَنَّكَ عَشِقْتِهِ لِحَمَالِهِ. ثُمَّ طَعَنَهَا بِالْحَرْبَةِ فِي قُبُلِهَا<sup>(٤)</sup> حَتَّى قَتَلَهَا، فَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي  
الْإِسْلَامِ<sup>(٥)</sup>.

(١) «سيرة ابن هشام» (١: ٢٦٦). وقول أبي طالب هنا يؤكد ظن النبي ﷺ في أول الرواية.

(٢) الرَّمَضَاءُ الْجَجَارَةُ الْحَامِيَّةُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ، وَرَمَضَ يَوْمُنَا رَمَضًا: اشْتَدَّ حَرُّهُ.

(٣) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ٢٢٩).

(٤) أي: في فرجها.

(٥) «السير الحلبية» (٢: ١٤٨).



## ١٢- عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ يَقْتَرِبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: «كُنْتُ -وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ- أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَتَمُّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجْلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَتَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَتَقَدَّمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَّاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ<sup>(١)</sup>، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ؛ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟<sup>(٢)</sup> قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ» فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ» قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»<sup>(٣)</sup> قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ. فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الإمام النووي: قوله: (جُرَّاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ) هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ الْأُصُولِ جُرَّاءُ -بِالْحِيمِ الْمَضْمُومَةِ- جَمْعُ جَرِيءٍ -بِالْهَمْزِ- مِنَ الْجُرَّاءِ، وَهِيَ الْإِفْدَامُ وَالْتَسْلُطُ، وَذَكَرَهُ الْحَمِيدِيُّ فِي «الْجُمُعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ» (جُرَّاءُ) بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَكْسُورَةِ، وَمَعْنَاهُ: غِيْظٌ ذُو عَمٍّ، قَدْ عِيلَ صَبْرَهُمْ بِهِ حَتَّى أَثَّرَ فِي أَجْسَامِهِمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: حَرَى جِسْمِهِ يَجْرِي كَصَرْبٍ يَضْرِبُ إِذَا نَقَصَ مِنْ أَلْمٍ وَغَيْرِهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بِالْحِيمِ.

(٢) قال الإمام النووي: قوله: (فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟) هَكَذَا هُوَ فِي الْأُصُولِ (مَا أَنْتَ؟) وَإِنَّمَا قَالَ: (مَا أَنْتَ؟) وَلَمْ يَقُلْ: (مَنْ أَنْتَ؟) لِأَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ صِفَتِهِ لَا عَنْ ذَاتِهِ، وَالصِّفَاتُ مِمَّا لَا يُعْقَلُ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: ويقال: إن معنى قوله ﷺ: «حر وعبد» اسم جنس، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عبسة، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً، فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه، فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستترون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثيراً أحدٌ من قرابتهم، دع الأجنبي، دع أهل البادية من الأعراب. «السيرة النبوية» (١: ٤٤٣).

(٤) «صحيح مسلم» (١: ٥٦٩) رقم (٨٣٢)، «السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٣٦٩) رقم (١٢٨٧٤).

## ١٣- الهجره إلى أرض الحبشه

قال ابن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء. وما هو فيه من العافية؛ بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشه؛ فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشه؛ مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام<sup>(١)</sup>.

## ١٤- إسلام عمر بن الخطاب

قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغني: أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها<sup>(٢)</sup> سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام -رجل من قومه من بني عدي بن كعب- قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً<sup>(٣)</sup> من قومه.

وكان حباب بن الأرت يختلِف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً متوشحاً<sup>(٤)</sup> سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً<sup>(٥)</sup> من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ٢١٤)، «الروض الأنف» (٢: ٨٩).

(٢) زوجها.

(٣) خوفاً.

(٤) توشح الرجل بسيفه إذا تقلده، أي: علقه عليه.

(٥) الرهط: ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة، وسكون الهاء أفصح من فتحها، وهو جمع لا واحد له من لفظه.

حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصَّدِيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﷺ مَمَّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ. فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ<sup>(١)</sup> الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ أَهْلِهَا، فَأَقْتَلَهُ.

فَقَالَ لَهُ نُعَيْمٌ: وَاللَّهِ، لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، أَرَأَيْتَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا، أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتَقِيمَ أَمْرَهُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟ قَالَ: خَتْنُكَ<sup>(٢)</sup> وَأَبْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُطَّابِ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ فَعَلَيْكَ بِهِمَا.

قَالَ: فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا<sup>(٣)</sup> إِلَى أُخْتِهِ وَخَتْنِهِ وَعِنْدَهُمَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا: ﴿طَه﴾ يُقْرِئُهُمَا إِيَّاهَا، فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ<sup>(٤)</sup> عُمَرَ تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فِي مَخْدَعٍ<sup>(٥)</sup> لَهُمْ، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فِخْذِهَا.

وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ ذَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْمَنَةُ<sup>(٦)</sup> الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا؛ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمْ تَابِعْتُمَا

(١) صَبَأٌ: خَرَجَ مِنْ دِينَ إِلَى دِينٍ آخَرَ، كَمَا تَصَبُّأُ النُّجُومُ، أَي: تَخْرُجُ مِنْ مَطَالِعِهَا، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ الصَّابِئَ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى الْإِسْلَامِ.

(٢) الْخَتْنُ -بِفَتْحَتَيْنِ- عِنْدَ الْعَرَبِ: كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْمَرْأَةِ كَالْأَبِ وَالْأَخِ وَالْجُمُعُ أَخْتَانُ، وَخَتْنُ الرَّجُلِ عِنْدَ الْعَامَّةِ زَوْجُ ابْنَتِهِ.

(٣) عَمَدْتُ إِلَيْهِ قَصَدْتُ. أَي: رَجَعْتُ عُمَرَ قَاصِدًا بَيْتَ أُخْتِهِ.

(٤) الْحِسُّ وَالْحَسِيسُ الصَّوْتُ الْحَقِيقِيُّ.

(٥) الْمَخْدَعُ: الْحُجْرَةُ فِي الْبَيْتِ.

(٦) هِيَ الْكَلَامُ الْحَقِيقِيُّ لَا يُفْهَمُ.

مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ. وَبَطَشَ<sup>(١)</sup> بِحَتْبَةِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ؛ فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحَطَّابِ لِتَكْفُمَهُ  
عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا<sup>(٢)</sup>؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ وَحَتْنُهُ: نَعَمْ، قَدْ أَسْلَمْنَا، وَأَمْنَا  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ.

فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَارْعَى<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِنِي  
هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرُؤُونَ أِنْفَا أَنْظُرْ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ -وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا-  
فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا؛ قَالَ: لَا تَخَافِي. وَحَلَفَ لَهَا بِأَلْهَيْتِهِ لِيَرُدَّهَا  
إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا؛ فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ طَمَعَتْ فِي إِسْلَامِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الطَّاهِرُ. فَقَامَ عُمَرُ  
فَاغْتَسَلَ فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ وَفِيهَا ﴿ طه ﴾ فَقَرَأَهَا؛ فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا  
الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ  
يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ  
بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْحَطَّابِ» فَأَلَّهِ اللَّهُ يَا عُمَرُ.

فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدَلَّنِي يَا خَبَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسَلِّمَ؛ فَقَالَ لَهُ خَبَابٌ:  
هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ،  
فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ<sup>(٤)</sup> الْبَابِ فَرَأَهُ  
مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فَرَعٌ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ

(١) الْبَطَشُ هُوَ الْأَخْذُ بِعَنْفٍ.

(٢) شَجَّهَ شَجًّا، إِذَا شَقَّ جِلْدَهُ.

(٣) الْارْعَاءُ: النَّزُوعُ عَنِ الْجَهْلِ وَحُسْنُ الرَّجُوعِ عَنْهُ.

(٤) الْخَلَلُ -بِمَفْتَحَتَيْنِ-: الْفُرْجَةُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْجُمُعُ خِلَالَ.

الْحَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ؟ فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَأَذِنَ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا  
بَدَلْنَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُذِنَ لَهُ» فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى لَقِيَهُ فِي  
الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ حُجْرَتَهُ<sup>(١)</sup> أَوْ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ ثُمَّ جَبَذَهُ جَبْدَةً<sup>(٢)</sup> شَدِيدَةً، وَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ  
الْحَطَّابِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً؟» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ  
لَأُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عُمَرَ  
قَدْ أَسْلَمَ؛ فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ وَقَدَّ عَزُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ  
إِسْلَامِ حَمْزَةَ، وَعَرَفُوا أَنَّ هُمَا سَيَمْنَعَانِ<sup>(٣)</sup> رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَتَّصِفُونَ<sup>(٤)</sup> بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ  
يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَدَّ هُمَا النَّجَاشِيَّ بِمَا يَكْرَهُونَ، وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ

---

(١) اخْتَجَزَ الرَّجُلُ بِإِزَارِهِ شَدَّهُ فِي وَسْطِهِ، وَحُجْرَةُ الْإِزَارِ مَعْقِدُهُ، وَحُجْرَةُ السَّرَاوِيلِ مَجْمَعُ شَدِّهِ، وَالْجَمْعُ  
حُجْرٌ، مِثْلُ: عُرْفَةٍ وَعُرْفٍ.

(٢) الْجَبْدُ: الْجَذْبُ، لُغَةٌ فِيهِ.

(٣) أَي: قُوَّةٌ تَمْنَعُ مَنْ يُرِيدُهُ بِسُوءٍ.

(٤) انْتَصَفَ مِنْهُ: إِذَا اسْتَوْفَى حَقَّهُ مِنْهُ كَامِلًا.

(٥) «سيرة ابن هشام» (١: ٣٤٤).

الْحَطَّابِ، وَكَانَ رَجُلًا ذَا شَكِيمَةٍ<sup>(١)</sup> لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، ائْتَمَعَ بِهِ<sup>(٢)</sup> أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِحَمْزَةٍ حَتَّى عَاذُوا<sup>(٣)</sup> قُرَيْشًا.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَيْنَا مَعَهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً، وَلَقَدْ كُنَّا مَا نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَيْنَا مَعَهُ<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَبَشَةِ.

### ١٥- إِسْلَامُ أَبِي ذَرٍّ وَقَوْمِهِ ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ازْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَأَعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي.

فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ؛ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتَهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفِيتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ؛ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ سِنَّةً<sup>(٥)</sup> لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ،

(١) يقال: فلانٌ شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أيبًا قويًّا، وأصله من شكيمة اللجام فإن قوتها تدلُّ على قوَّة الفرس.

(٢) ائتمَعَ بقومهم: تقوى بهم، وهو في منعه - بفتح النون - أي: في عز قومه، فلا يقدر عليه من يريدُه.

(٣) أي: غلبوهم.

(٤) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ٢٢٠). «سيرة ابن هشام» (١: ٣٤١).

(٥) السنَّة: القرية الخلق (والخلق: البالي من الثياب والجلد) يكون الماء فيها أبرد من غيرها.

حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاصْطَجَعَ فَرَأَهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ عَرِيبٌ، فَلَمَّا رَأَهُ تَبِعَهُ؛ فَلَمْ يَسْأَلْ  
وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قَرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ  
الْيَوْمَ وَلَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ؛ فَقَالَ: أَمَا أَنْ لِلرَّجُلِ أَنْ  
يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ، فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ لَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ  
الثَّلَاثِ فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ  
أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ، فَفَعَلْتُ؛ فَأَخْبَرَهُ.

قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ  
عَلَيْكَ؛ فَمُتْ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِن مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي. فَفَعَلَ فَاَنْطَلَقَ  
يَقْفُوهُ<sup>(١)</sup> حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:  
«ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ  
ظَهْرَانِيهِمْ<sup>(٢)</sup>.

فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا  
رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ<sup>(٣)</sup>، وَآتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ

(١) يَتَّبِعُهُ.

(٢) بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، وَهُوَ يَفْتَحُ النَّوْنَ، وَيُقَالُ: بَيْنَ ظَهْرِيهِمْ. أَي: بَيْنَهُمْ.

(٣) رَمَوْهُ عَلَى الْأَرْضِ.

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ<sup>(١)</sup>. فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْعَدِ  
لِمِثْلِهَا؛ فَضَرَبُوهُ، وَنَارُوا إِلَيْهِ؛ فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

## ١٦- ضِمَادٌ ﷺ يَرْقِي النَّبِيَّ ﷺ

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ - وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ<sup>(٤)</sup> -  
وَكَانَ يَرْقِي مِنَ هَذِهِ الرِّيحِ<sup>(٥)</sup>، فَسَمِعَ سَفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ  
أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ. قَالَ: فَلَقِيَهُ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنَ هَذِهِ  
الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءٍ، فَهَلْ لَكَ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ  
يُضِلِّهِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،  
أَمَّا بَعْدُ».

(١) قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث ما يدلُّ على حُسنِ تَأْيِي العباسِ وجودَ فطنته حيث توصل إلى  
تخليصه منهم بتخوينهم من قومه أن يقاصوهم، بأن يقطعوا طرق متجرهم، وكان عيشهم من التجارة،  
فلذلك بادروا إلى الكف عنه. «فتح الباري» (١٧٦:٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠١:٣) رقم (٣٦٤٨)، ومسلم (١٩٣٢:٤) رقم (٢٤٧٤).

(٣) قال الإمام النووي: وَهِيَ قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «أَدَبِ الْكُتَّابِ»: سُمُّوا بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِكَ: رَجُلٌ  
فِيهِ شَنْوَاءٌ، أَيُّ: تَقَرُّزٌ. قَالَ: وَيُقَالُ: سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ تَشَانَتْوُا وَتَبَاعَدُوا. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الشَّنْوَاءُ: التَّقَرُّزُ،  
وَهُوَ التَّبَاعُدُ مِنَ الْأَدْنَسِ، وَمَنْهُ أَزْدُ شَنْوَاءَ، وَهُمْ حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ (سُنِّيٌّ).

(٤) الْمُرَادُ بِالرِّيحِ هُنَا الْجُنُونُ وَمَسَّ الْجُنُنُ. وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ مُسْلِمٍ «يَرْقِي مِنَ الْأَرْوَاحِ» أَيُّ: الْجِنِّ، سُمُّوا  
بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرُهُم النَّاسُ، فَهُمْ كَالرُّوحِ وَالرِّيحِ.

فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ<sup>(١)</sup>.

فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ: فَبَايَعَهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ» قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي<sup>(٢)</sup>.

### ١٧- مَحَاوَلَةُ إِحْبَاطِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَبِي لَهَبٍ (عَمَّ النَّبِيُّ ﷺ)

عَنْ رِبِيعَةَ بِنِ عَبْدِ الدَّيْلِيِّ قَالَ: «إِنِّي لَمَعَ أَبِي -رَجُلٌ شَابٌّ- أَنْظَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُ الْقَبَائِلَ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلٌ<sup>(٣)</sup> وَضِيءٌ<sup>(٤)</sup>، ذُو جُمَّةٍ<sup>(٥)</sup>، يَقِفُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَبِيلَةِ، وَيَقُولُ: يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي حَتَّى أَنْفِذَ<sup>(٦)</sup> عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ.

(١) قال الإمام النووي: «صَبَطْنَاهُ بِوَجْهَيْنِ أَشْهَرَهُمَا: (نَاعُوسٌ) بِالنُّونِ وَالْعَيْنِ هَذَا هُوَ الْمَوْجُودُ فِي أَكْثَرِ نُسْخِ بِلَادِنَا، وَالثَّانِي: (قَامُوسٌ) بِالْقَافِ وَالْمِيمِ، وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الْمَشْهُورُ فِي رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ». قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: قَامُوسُ الْبَحْرِ وَسَطُهُ. وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: جُمَّتُهُ. وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ «الْعَيْنِ»: قَعْرُهُ الْأَقْصَى، وَقَالَ الْحَرَبِيُّ: قَامُوسُ الْبَحْرِ قَعْرُهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٣:٢) رقم (٨٦٨)، وأحمد (٣٠٢:١) رقم (٢٧٤٩)، وابن حبان (٥٢٧:١٤) رقم (٦٥٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٤:٣) رقم (٥٥٩٢).

(٣) الحَوْلُ: ارتفاعُ الحلقَتَيْنِ إِلَى الْحَاجِبِينَ أَوْ عَيْبٍ فِي الْعَيْنِ يَتَسَبَّبُ فِي تَقَارُبِ الْقَرْنِيتَيْنِ أَوْ تَبَاعُدِهِمَا.

(٤) الوضَاءُ: الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ.

(٥) الْجُمَّةُ: وَهِيَ مَا سَقَطَ عَلَى الْمُنْكَبِينَ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ.

(٦) أَوْصَلَ وَأَبْلَغَ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ.

فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَقَالَتِهِ، قَالَ الْآخَرُ مِنْ خَلْفِهِ: يَا بَنِي فَلَانٍ، إِنَّ هَذَا يُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسْلُخُوا<sup>(١)</sup> اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَحُلَفَاءَكُمْ مِنَ الْحَيِّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أْقِيْشٍ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَلَا تَسْمَعُوا لَهُ وَلَا تَتَّبِعُوهُ. فَقُلْتُ لِأَبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ<sup>(٢)</sup>.

### ١٨- أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَفَدَّ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]<sup>(٣)</sup>.

### ١٩- دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ

قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَا جَزُورٍ<sup>(٤)</sup> بَنِي فَلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ. فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ<sup>(٥)</sup>، فَجَاءَ بِهِ فَنَظَرَ<sup>(٦)</sup> حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ<sup>(٧)</sup>.

(١) أي: تتركوا.

(٢) أخرجه أحمد (٤٩٢:٣) رقم (١٦٠٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٦٣:٥) رقم (٤٥٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٤٥:٣) رقم (٣٤٧٥).

(٤) هو الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم كالشميمة للآدميات.

(٥) أكثرهم خبيثا، وهو: عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ.

(٦) فنظر، أي: فانتظر.

(٧) أي: لو كان معي من يمنعني - أي يحميني - لكفيت شرهم وصرفتهم.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ<sup>(١)</sup>، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّىٰ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْهُ عَنْ ظَهْرِهِ. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ<sup>(٢)</sup>» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

فَشَقَّ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَعى فِي الْقَلْبِ<sup>(٤)</sup>، قَلْبِ بَدْرٍ<sup>(٥)</sup>.

## ٢٠- إِكْرَامُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْفُقَرَاءِ

قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَفَرٌ؛ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنكَ فَإِنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ. قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُدَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجْلَانِ نَسِيتُ أَسْمَاءَهُمَا. قَالَ: فَوَقَعَ -يَعْنِي فِي نَفْسِهِ- مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ

(١) أي: يميل بعضهم على بعض ويقبل عليه من كثرة الضحك. وقال ابن بطال: يعني: ينسب ذلك بعضهم إلى بعض، من قولك: أحلت الغريم، إذا جعلت له أن يتقاضى ماله عليك من غيرك.

(٢) أهللك كفارهم ومن فعل ذلك منهم.

(٣) أي: اشتد عليهم، وضايقوا من هذا الدعاء.

(٤) القليب: البئر التي لم تُطَوَّ. وإنما وضعوا في القليب تحقيراً لهم، ولثلاثاً يتأذى الناس برائحتهم وليس هو دفناً لأن الحربي لا يجب دفنه.

(٥) أخرجه البخاري (٩٤:١) رقم (٢٣٧)، ومسلم (١٤١٨:٣) رقم (١٧٩٤).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وفي هذا الحديث أنواع من معجزات النبي ﷺ: إجابة دعوته، وتعجيل عقوبة من آذاه، وأن العقوبة من جنس الذنب، بأن هؤلاء تواطؤوا على وضع فرث الجزور على ظهره في السجود، فما مضى إلا يسير حتى قتلوا وسحبوا إلى القليب في يوم شديد الحرِّ، وخرج فرث كلِّ منهم وحشوته من بطنه، وكان ذلك جزاءً وفاقاً. «فتح الباري» (٧٣٢:٢).

وَجَلَّ ﴿ وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢] <sup>(١)</sup>.

## ٢١- مَثَلٌ لِدِينِ اللَّهِ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْعِشَاءَ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى خَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ؛ فَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ خَطَّ عَلَيْهِ خَطًّا <sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ: «لَا تَبْرَحَنَّ خَطِّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ <sup>(٣)</sup> رِجَالٌ فَلَا تُكَلِّمُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَلِّمُونَكَ».

قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَيْثُ أَرَادَ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ فِي خَطِّي إِذْ أَتَانِي رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ الرُّطُّ <sup>(٤)</sup>، أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ، لَا أَرَى عَوْرَةَ، وَلَا أَرَى قِشْرًا <sup>(٥)</sup>، وَيَنْتَهُونَ إِلَيَّ وَلَا يُجَاوِزُونَ الْحِطَّ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ <sup>(٦)</sup> إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا جَالِسٌ؛ فَقَالَ: «لَقَدْ أَرَانِي مِنْذُ اللَّيْلَةِ» <sup>(٧)</sup> ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فِي خَطِّي، فَتَوَسَّدَ فِخْذِي فَرَقَدَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَقَدَ نَفَخَ.

فَبَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُتَوَسِّدٌ فِخْذِي إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا بِهِمْ مِنَ الْجَمَالِ، فَانْتَهُوا إِلَيَّ، فَجَلَسَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ

(١) أخرجه مسلم (٤: ١٨٧٨) رقم (٢٤١٣).

(٢) أَي خَطَّ حَوْلَهُ خَطًّا مُسْتَدِيرًا مُحِيطًا بِهِ.

(٣) أَي سَيَصِلُ إِلَيْكَ.

(٤) قَالَ الْفَيْرُوزِ أِبَادِي: الرُّطُّ - بِالضَّمِّ - جِيلٌ مِنَ الْهِنْدِ مُعْرَبٌ (جَتٌّ) بِالْفَتْحِ، وَالْقِيَاسُ يَنْتَهِي فَتَنْحَ مُعْرَبُهُ أَيضًا، وَالْوَاحِدَةُ رُطِيٌّ. وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «النَّهَائَةِ»: الرُّطُّ: هُمْ جِنْسٌ مِنَ السُّودَانِ وَالْهُنُودِ.

(٥) أَي: لَا أَرَى مِنْهُمْ عَوْرَةَ مُنْكَشَفَةً وَلَا أَرَى عَلَيْهِمْ ثِيَابًا.

(٦) أَي: يَرَجُوعُونَ.

(٧) أَي: لَمْ أَنْمِ.

عِنْدَ رَجُلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا بَيْنَهُمْ: مَا رَأَيْنَا عَبْدًا قَطُّ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا النَّبِيُّ، إِنَّ عَيْنَيْهِ تَنَامَانٍ وَقَلْبُهُ يَقْضَانٌ<sup>(١)</sup>. اضْرِبُوا لَهُ مِثْلًا: مِثْلَ سَيِّدِ بَنِي قَصْرًا، ثُمَّ جَعَلَ مَأْدِبَةً فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرِبَ مِنْ شَرَابِهِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ، أَوْ قَالَ: عَذَّبَهُ. ثُمَّ ارْتَفَعُوا.

وَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: «سَمِعْتُ مَا قَالَ هُوَ لَاءِ، وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هُوَ لَاءِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَتَدْرِي مَا الْمِثْلُ الَّذِي ضَرَبُوا؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «الْمِثْلُ الَّذِي ضَرَبُوا: الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى الْجَنَّةَ، وَدَعَا إِلَيْهَا عِبَادَهُ، فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقَبَهُ أَوْ عَذَّبَهُ»<sup>(٢)</sup>.

## ٢٢- الشَّاعِرُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ ﷺ يُقِيمُ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «كَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلًا شَرِيفًا شَاعِرًا لَيْبًا، قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ - وَهُوَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا - فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسَّحْرِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَإِنَّمَا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ حَلَّ عَلَيْنَا؛ فَلَا تُكَلِّمُهُ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْهُ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا رَأَوْنِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا أَكَلِّمُهُ حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنِي حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا<sup>(٣)</sup>؛ فَرَقًا<sup>(٤)</sup> مِنْ أَنْ يُبْلَغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ.

(١) يَعْنِي: فَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِمَّا تَقُولُ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٤٥:٥) رَقْم (٢٨٦١) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) الْكُرْسُفُ: الْقَطْنُ.

(٤) أَي: خَوْفًا.

قَالَ: فَعَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فُقِمْتُ قَرِيباً مِنْهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلَاماً حَسَنًا؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَائْتِكَلُ أُمِّي<sup>(١)</sup>، وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَيْبِبٌ شَاعِرٌ مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحُسْنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ؟ فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ حَسَنًا قَبِلْتُ، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُ.

قَالَ: فَمَكَّنْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَتَبِعْتُهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ؛ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِي بِكَرْسُفٍ؛ لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلِكَ، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيهِ، فَسَمِعْتُ قَوْلًا حَسَنًا، فَأَعْرَضَ عَلَيَّ أَمْرَكَ. فَعَرَّضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلَا وَاللَّهِ، مَا سَمِعْتُ قَوْلًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ؛ فَأَسْلَمْتُ، وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ<sup>(٢)</sup>.

### ٢٣- الصُّحْبَةَ الصُّحْبَةَ

جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ نِصْفَ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ فِيهَا مُتَمَنِّعًا<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ لَهُ: «الْأَخْرَجَ مَنْ عِنْدَكَ» فَقَالَ: «إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ»<sup>(٤)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ -بِأَيِّ وَأُمِّي<sup>(٥)</sup> - إِيحْدَى رَاحِلَتِي هَاتَيْنِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالْثَمَنِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) التُّكَلُّ: فَقَدَ الْوَالِدَ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (٤: ٢٣٨)، وَالْأَصْبَهَانِي فِي «دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ» (ص ٢١٣)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١١: ٢٥).

(٣) مَغْطِيًا رَأْسَهُ، لِيَخْفَى شَخْصَهُ؛ لِئَلَّا يُعْرَفَ.

(٤) أَي: لَا يَوْجَدُ أَحَدٌ يُشْكُ فِيهِ، إِنَّمَا هِيَ زَوْجَتُكَ عَائِشَةُ وَأَخْتُهَا أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أَي: أَفْدِيكَ هَهُمَا.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٣١)، وَابْنُ خَزِيمَةَ (٢٥١٨)، وَابْنُ حَبَانَ (٦٨٦٨) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

## ٢٤- نَوْمُ عَلِيٍّ ﷺ فِي مَضْجَعِهِ ﷺ

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا أَنْ يَبِيْتَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَاجْتَمَعَ أَوْلِيَاكَ النَّفَرُ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَطَلَّعُونَ مِنْ صَيْرِ الْبَابِ<sup>(١)</sup> وَيَرِضُدُونَهُ، وَيُرِيدُونَ بِيَاتَهُ، وَيَأْتِمُرُونَ أَنَّهُمْ يَكُونُ أَشْقَاهَا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ فَأَخَذَ حَفَنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَجَعَلَ يَذُرُّهُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَهُمْ لَا يَرَوْنَهُ، وَهُوَ يَتَلَوُ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩]. وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ<sup>(٢)</sup> فِي دَارِ أَبِي بَكْرٍ لَيْلًا.

وَجَاءَ رَجُلٌ وَرَأَى الْقَوْمَ بِيَابِهِ؛ فَقَالَ مَا تَنْتَظِرُونَ؟ قَالُوا: مُحَمَّدًا. قَالَ خِبْتُمْ وَخَسِرْتُمْ، قَدْ وَاللَّهِ مَرَّ بِكُمْ وَدَرَّ عَلَى رُؤُوسِكُمُ التُّرَابُ. قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا أَبْصَرْنَا. وَقَامُوا يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَن رُؤُوسِهِمْ، وَهُمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ الْعَاصِ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَأَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ، وَنُبَيْهَةُ وَنُبَيْهَةُ ابْنَا الْحَجَّاجِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَامَ عَلِيٌّ عَنِ الْفِرَاشِ؛ فَسَأَلُوهُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَا عَلِمَ لِي بِهِ. ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ فَدَخَلَاهُ، وَصَرَبَ الْعَنْكَبُوتُ عَلَى بَابِهِ. وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُرَيْقَطِ اللَّيْثِيَّ، وَكَانَ هَادِيًا مَاهِرًا بِالطَّرِيقِ، وَكَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَمَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ وَسَلَّمَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ، وَجَدَّتْ<sup>(٣)</sup> قُرَيْشٌ فِي طَلَبِهِمَا، وَأَخَذُوا مَعَهُمُ الْقَافَةَ<sup>(٤)</sup> حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ فَوَقَفُوا عَلَيْهِ.

(١) صير الباب: من شَقَّه.

(٢) قال الخطابي: الخوخة: بوب صغير.

(٣) جَدَّ فِيهِ وَأَجَدَّ: إِذَا اجْتَهَدَ.

(٤) الْقَافَةُ: الَّذِي يَسْتَبَعُ الْآثَارَ وَيَعْرِفُهَا وَيَعْرِفُ سَبَبَهُ الرَّجُلُ بِأَخِيهِ وَأَبِيهِ، وَالْجَمْعُ: الْقَافَةُ.

ففي «الصحيحين»: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِأَتَيْنِ اللَّهَ تَالِثُهُمَا، لَا تَحْزَنُ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يَسْمَعَانِ كَلَامَهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَمَى عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمَا، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَرَعَى عَلَيْهِمَا غَنَمًا لِأَبِي بَكْرٍ، وَيَسْمَعُ مَا يُقَالُ بِمَكَّةَ ثُمَّ يَأْتِيهِمَا بِالْخَبَرِ، فَإِذَا كَانَ السَّحْرُ سَرَحَ مَعَ النَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْسَنَ الْجِهَازِ، وَوَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً<sup>(٢)</sup> فِي جِرَابٍ<sup>(٣)</sup>، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا<sup>(٤)</sup> فَأَوْكَتْ<sup>(٥)</sup> بِهِ الْجِرَابَ، وَقَطَعَتْ الْأُخْرَى فَصَيَّرْتَهَا عِصَامًا<sup>(٦)</sup> لِنِمْ الْفِرْبَةِ؛ فَلِذَلِكَ لُقِّبَتْ ذَاتَ النَّطَاقِينَ<sup>(٧)</sup>.

وَذَكَرَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» عَنْ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْغَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي سَاعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَاعَةً خَلْفَهُ، حَتَّى فَطِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ لَهُ:

(١) أخرجه البخاري (١٧١٢:٤) رقم (٤٣٨٦)، ومسلم (١٨٥٤:٤) رقم (٢٣٨١).

(٢) السُّفْرَةُ: طَعَامٌ يُصْنَعُ لِلْمُسَافِرِ، وَالْجَمْعُ سُفْرٌ، وَسُمِّيَتْ الْجِلْدَةُ الَّتِي يُوعَى فِيهَا الطَّعَامُ سُفْرَةً مَجَازًا.

(٣) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

(٤) النِطَاقُ وَجَمْعُهُ: مَنَاطِقٌ وَهُوَ أَنْ تَلْبَسَ الْمَرْأَةُ ثَوْبَهَا ثُمَّ تَشُدُّ وَسَطَهَا بِشَيْءٍ وَتَرْفَعُ وَسَطَ ثَوْبِهَا وَتُرْسِلُهُ عَلَى الْأَسْفَلِ عِنْدَ مُعَانَاةِ الْأَشْغَالِ لثَلَا تَعَثُرُ فِي ذَيْلِهَا.

(٥) الْوِكَاءُ الْحَيْطُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الصَّرَّةُ وَالْكَيْسُ وَغَيْرَهُمَا. أَي: شَدَّتْ رُؤُوسَهَا بِالْوِكَاءِ، لِثَلَا يَدْخُلُهَا حَيَوَانٌ أَوْ يَسْقُطُ فِيهَا شَيْءٌ.

(٦) العِصَامُ: حَبْلٌ تَشُدُّ بِهِ الْقِرْبَةَ وَتَحْمَلُ، وَعُرُودُ الْوِعَاءِ الَّتِي يَلْقَى بِهَا.

(٧) أخرجه البخاري (١٤١٧:٣) رقم (٣٦٩٢).

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكَرُ الطَّلَبِ<sup>(١)</sup> فَأَمْسِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكَرُ الرَّصْدِ<sup>(٢)</sup> فَأَمْسِي بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحَبِّتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ<sup>(٣)</sup>.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَكَانَكَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - حَتَّى أَسْتَبْرِيَّ لَكَ الْغَارَ؛ فَدَخَلَ فَاسْتَبْرَاهُ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَبْرِئِ الْجِحْرَةَ؛ فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَسْتَبْرِيَّ الْجِحْرَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَنْزِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَزَلَّ فَمَكَثًا فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى حَمَدَتْ عَنْهُمَا نَارُ الطَّلَبِ، فَجَاءَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْيِقَطٍ بِالرَّاحِلَتَيْنِ فَارْتَحَلَا وَأَزْدَفَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَسَارَ الدَّلِيلُ أَمَامَهُمَا، وَعَيْنَ اللَّهِ تَكَلُّوهُمَا، وَتَأْيِيدُهُ يَصْحَبُهُمَا، وَإِسْعَادُهُ يَرْحَلُهُمَا وَيُنِزُّهُمَا<sup>(٤)</sup>.

## ٢٥- سُرَاقَةٌ يَطْمَحُ لِنَيْلِ الْجَائِزَةِ

وَلَمَّا نَيْسَ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الظَّفَرِ بِهِمَا جَعَلُوا لِمَنْ جَاءَ بِهِمَا دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَجَدَّ النَّاسُ فِي الطَّلَبِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، فَلَمَّا مَرُّوا بِحَيِّ بْنِ مُدَلِّجٍ مُصْعِدِينَ مِنْ قُدَيْدٍ، بَصَرَ بِهِمْ رَجُلٌ مِنَ الْحَيِّ، فَوَقَفَ عَلَى الْحَيِّ؛ فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتَ أَنْفًا بِالسَّاحِلِ أَسْوَدَةً<sup>(٥)</sup> مَا أَرَاهَا إِلَّا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

(١) الطَّلَبُ: هو جمعُ طالب، أو مَصْدَرٌ أُقِيمَ مَقَامَهُ، أو على حَذْفِ المضاف: أي أهل الطَّلَبِ. وهم فرسان قريش الذين كانوا يريدون اللحاق والظفر بهما.

(٢) الرَّاصِدُ للشيء: الراقب له، والرَّصْدُ أيضاً -بفتحتين-: القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث.

(٣) أخرجه الحاكم (٧:٣) رقم (٤٢٦٨).

(٤) ذكره بهذا السياق الحافظ ابن القيم في «زاد المعاد» (٤٥:٣)، ومصادر الرواية: «سيرة ابن هشام»

(٤٨٥:١) ومابعدهما، «السيرة» لابن حبان (ص ١٢٧)، وكتب الحديث المذكورة في الهوامش السابقة.

(٥) أي: أشخصاً.

فَقَطِنَ بِالْأَمْرِ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَهُ حَاصَّةً، وَقَدْ سَبَقَ لَهُ مِنَ الظَّفَرِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ؛ فَقَالَ: بَلْ هُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، خَرَجَا فِي طَلَبِ حَاجَةٍ هُنَمَا. ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ خَبَاءَهُ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ لِحَادِمِهِ: أُخْرِجْ بِالْفَرَسِ مِنْ وَرَاءِ الْحَبَاءِ، وَمَوْعِدُكَ وَرَاءَ الْأَكْمَةِ<sup>(٢)</sup>. ثُمَّ أَخَذَ رُمْحَهُ وَخَفَضَ عَلَيْهِ يَخْطُ بِهِ الْأَرْضَ<sup>(٣)</sup> حَتَّى رَكِبَ فَرَسَهُ.

فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهُمْ، وَسَمِعَ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْرِئُ الْإِلْتِفَاتَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَلْتَفِتُ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ قَدْ رَهَقَنَا<sup>(٤)</sup>؛ فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَاخَتْ<sup>(٥)</sup> يَدَا فَرَسِهِ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَصَابَنِي بِدُعَائِكُمَا؛ فَادْعُوا اللَّهَ لِي، وَلَكُمْمَا عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا.

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَلَصَتْ يَدَا فَرَسِهِ. فَانْطَلَقَ، وَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا، فَكَتَبَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَمْرِهِ فِي أُدِيمٍ<sup>(٦)</sup>، وَكَانَ الْكِتَابُ مَعَهُ إِلَى يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ، فَجَاءَهُ بِالْكِتَابِ فَوَقَّاهُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «يَوْمٌ وَفَاءٍ وَبِرٌّ»<sup>(٧)</sup>.

(١) خيمة تكون من وبر أو صوف وهي على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك، مشتق من خبات خبيثاً.  
(٢) الْأَكْمَةُ: تَلٌّ، وَقِيلَ: شُرْفَةٌ كَالرَّابِيَةِ: وَهُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنَ الْحِجَارَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَرُبَّمَا غَلِظَ وَرُبَّمَا لَمْ يَغْلُظْ، وَالْجَمْعُ أَكْمٌ وَأَكْمَاتٌ.

(٣) فعل هذا ليواري خروجه في طلب النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ.

(٤) أي: دنا وقرب منا، يُقال: رَهَقَ شَخْصٌ فُلَانًا، أي: دنا وأزفَ، وَطَلَبْتُ فُلَانًا حَتَّى رَهَقْتُهُ، أي: حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ. «تاج العروس من جواهر القاموس» (٢٥: ٣٨٠).

(٥) أي: غاصت في الأرض.

(٦) الأديم: الجلد.

(٧) هذا اللفظ أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢: ٤٠١) رقم (٩٠٢)، والطبراني في «الكني» (٦٦٠٢).

وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الرَّادَ وَالْحِمْلَانَ فَقَالَا: لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنْ عَمَّ عَنَّا الطَّلَبُ<sup>(١)</sup>. فَقَالَ: قَدْ كُفَيْتُمْ، وَرَجَعَ فَوَجَدَ النَّاسَ فِي الطَّلَبِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: قَدْ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمْ الْحَبْرَ، وَقَدْ كُفَيْتُمْ مَا هَاهُنَا، وَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَيْهِمَا، وَآخِرُهُ حَارِسًا لِهَمَا<sup>(٢)</sup>.

## ٢٦- أضواء أيام المدينة المنورة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْعِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، قَالَ: حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ، فَكُنَّا فِي بَعْضِ حِرَارِ<sup>(٣)</sup> الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثْنَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِيُؤْذَنَ<sup>(٤)</sup> بِهِمَا الْأَنْصَارَ، فَاسْتَبْلَهَمَا زُهَاءً<sup>(٥)</sup> خَمْسِ مِائَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا. فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلَقْنَا آمِنِينَ مُطَاعِينَ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَوَاتِقَ<sup>(٦)</sup> لَفَوْقَ الْبُيُوتِ يَرَاءِيْنَهُ يَقُلْنَ: أَيُّهُمْ هُوَ، أَيُّهُمْ هُوَ؟

(١) التَّعْمِيَةُ: أَنْ تُعْمِيَ عَلَى إِنْسَانٍ شَيْئًا فُتَلَبَّسَهُ عَلَيْهِ تَلْبِيسًا. أَي: أَخْفِ أَمْرًا عَنْ فِرْسَانَ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْإِمْسَاكَ بِنَا.

(٢) ذَكَرَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْحَافِظُ ابْنَ الْقَيْمِ فِي «زَادَ الْمَعَادَ» (٤٥:٣)، وَمِصَادِرُ الرَّوَايَةِ: «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (١٤٢٠:٣) رَقْم (٣٦٩٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٨:٤) رَقْم (٢٠٠٩)، وَ«سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (١:٤٨٩)، وَ«دَلَائِلُ النَّبُوَّةِ» (١:١٠٥).

(٣) الْحَرَّةُ - بِالْفَتْحِ - أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ سُوْدِيٍّ، وَالْجُمُعُ حِرَارٌ، مِثْلُ كَلْبَةٍ وَكِلَابٍ.

(٤) أَدْنَتْ بِالشَّيْءِ: عَلِمْتُ بِهِ، وَيُعَدَّى بِالْهُمَزَةِ؛ فَيُقَالُ: أَدْنَتْهُ إِيدَانًا وَتَأَدْنَتْ: أَعْلَمْتُ.

(٥) زُهَاءٌ فِي الْعَدَدِ وَرَانَ غُرَابٍ، يُقَالُ: هُمْ زُهَاءٌ أَلْفٍ. أَي: قَدَّرُ أَلْفٍ.

(٦) الْعَوَاتِقُ: الشَّابَّةُ أَوَّلَ مَا تُدْرِكُ. وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَمْ تَبِنْ مِنْ وَالِدِيهَا وَلَمْ تُزَوَّجْ، وَقَدْ أُدْرِكَتْ وَشَبَّتْ. وَتُجْمَعُ عَلَى الْعُتُقِ وَالْعَوَاتِقِ.

قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَنْظَرًا مُشَبِّهًا بِهِ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا، وَيَوْمَ قُبِضَ، فَلَمْ أَرِ يَوْمَيْنِ مُشَبِّهًا بِهِمَا<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ رَدِيفَ<sup>(٢)</sup> رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْتَلِفُ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يُعْرِفُ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا يُعْرِفُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا هَذَا الْعِلَامُ بَيْنَ يَدَيْكَ؟ قَالَ: هَذَا يَهْدِينِي السَّبِيلَ. فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَا الْحَرَّةَ، وَبَعَثْنَا إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَاءُوا؛ فَقَالُوا: قُومًا آمِنِينَ مُطَاعِينَ.

قَالَ: فَشَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَاتَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَفْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

## ٢٧- مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ صلى الله عليه وسلم خَيْرًا مِنْهَا

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَغَرَّتْ يَوْمًا؛ فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشُّدْقِ<sup>(٤)</sup>، قَدْ أَبَدَلَكَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم بِهَا خَيْرًا مِنْهَا. قَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢:٣) رقم (١٣٣٤٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (ص ٣٧٨) رقم (١٢٦٩). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) الرَّدِيفُ: الَّذِي تَحْمَلُهُ خَلْفَكَ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ.

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٧:٣) رقم (١٤٠٩٥)، والدرامي في «سننه» (١:٥٤) رقم (٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٩:٦) رقم (٣١٨١٢). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٤) حمراء الشدق، معناها: عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثاتها.

«مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِخَيْرٍ مِنْهَا، قَدْ آمَنْتُ بِهَا إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ بِهَا وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

## ٢٨- إني قد رزقت حبها

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي؛ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لِيَذْبُحَ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا<sup>(٢)</sup> مِنْهَا مَا يَسْعُهُنَّ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ، كَيْفَ حَالِكُمْ، كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟».

قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمَّا خَرَجَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُقْبَلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالُ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَانَ خَدِيجَةَ، وَإِنْ حُسِنَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيْمَانِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١١٧:٦) رقم (٢٤٩٠٨) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات.

(٢) هلكت: أي ماتت. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَلْبُكُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤].

(٣) (خلائِلها) صديقاتها جمع خليلة. وهذا يشعر باستمرار حبه لها فهو مما يزيدا غيرة عليها.

(٤) ما يسعهن: ما يشبعهن ويسد حاجتهن.

أخرجه البخاري (١٣٨٨:٣) رقم (٣٦٠٥)، ومسلم (١٨٨٨:٤) رقم (٢٤٣٥).

(٥) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (١:٦٢) (٤٠)، والبيهقي في «شعب الإیمان» (٦:٥١٧) (٩١٢٢).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ عَجُوزٌ تَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِيهِشُّ<sup>(١)</sup> بِهَا وَيَكْرِهُهَا، فَقُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! إِنَّكَ لَتَصْنَعُ بِهَذِهِ الْعَجُوزِ شَيْئًا لَا تَصْنَعُهُ بِأَحَدٍ؟ قَالَ: إِتْمَا كَانَتْ تَأْتِينَا عِنْدَ خَدِيجَةَ، أَمَا عَلِمْتِ أَنْ كَرَمَ الْوُدِّ مِنَ الْإِيمَانِ<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أُرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ». قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا»<sup>(٣)</sup>.

### ٢٩- زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرَيْتِكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ<sup>(٤)</sup> مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا. فَإِذَا هِيَ أَنْتِ. فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضُهُ<sup>(٥)</sup>»<sup>(٦)</sup>.

(١) قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: الْهَشَاشَةُ وَالْبَشَاشَةُ بِمَعْنَى طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ اللَّقَاءِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٥١٧: ٦) رَقْم (٩١٢١).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٨٨٨: ٤) رَقْم (٢٤٣٥).

(٤) سَرَقَةٌ: هِيَ الشَّقُّقُ الْبَيْضُ مِنَ الْحَرِيرِ. قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ.

(٥) يُمِضُهُ: يَنْفِذُهُ وَيَأْمُرُ بِهِ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٤١٥: ٣) رَقْم (٣٦٨٢)، وَمُسْلِمٌ (١٨٨٩: ٤) رَقْم (٢٤٣٨).

### ٣٠- دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِابْنِي تَقِيْفٍ بَعْدَ إِسَاءَتِهِمْ إِلَيْهِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: لَمَّا تُوِّفِيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَا شِئاً عَلَى قَدَمَيْهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَاَنْصَرَفَ فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي<sup>(١)</sup>، وَفَلَةَ حِيلَتِي<sup>(٢)</sup>، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ<sup>(٣)</sup>، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ<sup>(٤)</sup>».

أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتَنِي؟<sup>(٥)</sup> إِلَى عَدُوِّ يَتَجَهَّمُنِي<sup>(٦)</sup>؟ أَمْ إِلَى قَرِيبٍ<sup>(٧)</sup> مَلَكَتُهُ أَمْرِي<sup>(٨)</sup>؟  
 إِنَّ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي<sup>(٩)</sup>، وَلَكِنْ عَافَيْتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي<sup>(١٠)</sup>.  
 أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلِّحْ<sup>(١١)</sup> عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ.

- (١) قَدَّمَ (إِلَيْكَ) لِيُفِيدَ الْإِخْتِصَاصَ، أَي: أَشْكُو إِلَيْكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ؛ فَإِنَّ الشُّكُورَ إِلَى الْغَيْرِ لَا تَنْفَعُ.
- (٢) الْحِيلَةُ: الْحِدْقُ فِي تَدْبِيرِ الْأُمُورِ، وَهُوَ تَقْلِيْبُ الْفِكْرِ حَتَّى يَهْتَدِيَ إِلَى الْمَقْصُودِ.
- (٣) أَي: احْتِقَارَهُمْ إِيَّايَ وَاسْتِهَانَتَهُمْ وَاسْتِخْفَافَهُمْ بِشَأْنِي وَاسْتِهْزَاؤَهُمْ بِي.
- (٤) أَي: يَا مَوْصُوفاً بِكَمَالِ الْإِحْسَانِ بِجَلَائِلِ النِّعَمِ وَدِقَائِقِهَا، وَالشُّكُورَ إِلَيْهِ تَعَالَى لَا تَنَافِي أَمْرَهُ بِالصَّبْرِ فِي النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ.
- (٥) أَي: تَفَوُّضَ أَمْرِي.
- (٦) أَي: يَلْقَانِي بِغُلْظَةٍ وَوَجْهِ كَرِيهٍ.
- (٧) مِنْ النَّسَبِ.
- (٨) أَي: جَعَلْتَهُ مُتَسَلِّطاً عَلَيَّ إِذْنًا، وَلَا أُسْتَطِيعُ دَفْعَهُ.
- (٩) فَلَا أَبَالِي: بِمَا تَصْنَعُ بِي أَعْدَائِي. مَا دَمَّتْ عَنِي رَاضٍ.
- (١٠) الَّتِي هِيَ السَّلَامَةُ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمَحَنِّ وَالْمَصَائِبِ.
- (١١) اسْتِقَامَ وَانْتَضَمَ.

لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى<sup>(١)</sup>، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ<sup>(٢)</sup>».

وَعَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ<sup>(٣)</sup>، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ؛ فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أُسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ<sup>(٤)</sup>، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرَيْلُ فَنَادَانِي؛ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ.

فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمْ

(١) أي: أسترضيك حتى ترضى.

(٢) استعاذ بهذا بعد استعاذته بذاته تعالى رمزاً إلى أنه لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون في خير وشر إلا بأمره التابع لمشيئته، وفي هذا من كمال خوف المصطفى ﷺ من ربه ما لا يخفى، وكلما ارتفعت منزلة العبد عظم خوفه.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١١١:٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٥:٦) رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

(٤) قَالَ الطَّبِيُّ: (أَشَدُّ مَا لَقِيتُ) خَبْرٌ كَانَ، وَأَسْمُهُ عَائِدٌ إِلَى مُقَدَّرٍ، وَهُوَ مَفْعُولٌ قَوْلِهِ: لَقَدْ لَقِيتُ، وَيَوْمَ الْعَقَبَةِ ظَرْفٌ، فَالْمَعْنَى: كَانَ مَا لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ يَوْمَ الْعَقَبَةِ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ. «مرقاة المفاتيح» (٩:٣٧٤٠).

(٥) قرن الثعالب: جبل مشرف على أسفل منى، بينه وبين مسجد منى ألف وخمسمائة ذراع، وقيل له: قرن

الثعالب؛ لكثرة ما كان يأوي إليه من الثعالب. وأصل القرن: كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير.

الْأَحْشَبِيِّنَ<sup>(١)</sup>. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا<sup>(٢)</sup>.

### ٣١- بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ وَتَصَدِيقُهُمْ إِيَّاهُ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَبَثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ<sup>(٣)</sup> وَبِمَجَنَّةٍ<sup>(٤)</sup> وَبِعُكَاظٍ<sup>(٥)</sup>، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمَنَى، يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّي ﷻ وَلَهُ الْجَنَّةُ» فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَرَحُلُ مِنْ مُضَرَ أَوْ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى ذِي رَحْمِهِ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ: احْذَرِ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ. وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ ﷻ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيُؤْمِنُ بِهِ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيَسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إِلَّا فِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ.

(١) هما جبلا مكة : أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

(٢) أخرجه البخاري (٣: ١١٨٠) رقم (٣٠٥٩)، ومسلم (٣: ١٤٢٠) رقم (١٧٩٥)، وابن حبان (٥١٦: ١٤) رقم (٦٥٦١).

(٣) أي: موسم الحج.

(٤) مَجَنَّة: موضع بأسفل مكة على أميال . وكان يقيم بها للعرب سوق.

(٥) عُكَاظُ: سوقٌ مِنْ أَعْظَمِ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ وَرَاءَ قَرْنِ الْمَنَازِلِ بِمَرَحَلَةٍ مِنْ عَمَلِ الطَّائِفِ عَلَى طَرِيقِ الْيَمَنِ، وَكَانَ يُقَامُ فِيهَا السُّوقُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ شَهْرٍ، ثُمَّ يَأْتُونَ سُوقَ مَجَنَّةَ فَيُقَامُ فِيهِ السُّوقُ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ، ثُمَّ يَأْتُونَ مَوْضِعًا قَرِيبًا مِنْهُ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْمَجَازِ فَيُقَامُ فِيهِ السُّوقُ إِلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ إِلَى مَنَى.

ثُمَّ بَعَثْنَا اللَّهُ ﷺ فَأْتَمَرْنَا<sup>(١)</sup> وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ، فَرَحَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدَنَا هُ شَعْبَ الْعَقَبَةِ؛ فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هُوَ لِأَيِّ الْقَوْمِ الَّذِينَ جَاؤُوكَ، إِنِّي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ ﷺ فِي وُجُوهِنَا؛ قَالَ: هُوَ لِأَيِّ قَوْمٍ لَا أَعْرِفُهُمْ، هُوَ لِأَيِّ أَحْدَاثٍ.

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَامَ نُبَايَعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ<sup>(٢)</sup>، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي<sup>(٣)</sup> مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ؛ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ».

فَقُمْنَا نُبَايَعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ؛ فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ<sup>(٤)</sup> إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةٌ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعْصَكُمْ السُّيُوفُ<sup>(٥)</sup>، فِيمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ نَصِيرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً؛ فَخَذُوهُ وَأَجْرَكُمُ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ فَهُوَ أَعْدَرُ عِنْدَ اللَّهِ.

(١) شاور بعضنا بعضا في ذلك وعزم عليه.

(٢) أي: عهدنا بالتزام السمع والطاعة في حالتي الشدة والرخاء، والضراء والسراء.

(٣) من المنعة والحماية، أي: تحمونني مما تحمون أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم.

(٤) أي: المَحَادِي لِأَكْبَادِهَا، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ إِسْرَاعِ الْإِبِلِ وَإِجْهَادِهَا فِي السَّيْرِ. قَالَ الطَّبِيُّ: ضَرَبُ أَكْبَادِ الْإِبِلِ كِنَايَةٌ عَنِ السَّيْرِ السَّرِيعِ؛ لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ ذَلِكَ يَرْكَبُ الْإِبِلَ وَيَضْرِبُ عَلَى أَكْبَادِهَا بِالرَّجْلِ.

(٥) أي: تجرحكم.

قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَّارَةَ، أَمْطُ<sup>(١)</sup> عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقْبِلُهَا<sup>(٢)</sup>.  
فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ<sup>(٣)</sup>، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ<sup>(٤)</sup>.

### ٣٢- ضِيَاةُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ،  
فَأَنْزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السُّفْلَ<sup>(٥)</sup>، وَنَزَلَ أَبُو أَيُّوبَ الْعُلُوَّ<sup>(٦)</sup>، فَلَمَّا أَمْسَى وَبَاتَ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُّوبَ  
يَذْكُرُ أَنَّهُ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَهُوَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَحْيِ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُّوبَ لَا  
يَنَامُ يُحَازِرُ أَنْ يَتَنَاثَرَ عَلَيْهِ الْعُبَارُ، وَيَتَحَرَّكَ فَيُؤْذِيهِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا جَعَلْتُ اللَّيْلَةَ فِيهَا عَمَضًا أَنَا  
وَلَا أُمُّ أَيُّوبَ<sup>(٧)</sup>، قَالَ: «وَمِمَّ ذَاكَ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟» قَالَ: ذَكَرْتُ أَنِّي عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ أَنْتَ أَسْفَلَ مِنِّي،  
فَأَتَحَرَّكَ فَيَتَنَاثَرُ عَلَيْكَ الْعُبَارُ، وَيُؤْذِيكَ تَحْرِيكِي، وَأَنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْوَحْيِ.

قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ بِالْغَدَاةِ<sup>(٨)</sup> عَشْرَ مَرَّاتٍ،  
وَبِالْعِشِيِّ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ أُعْطِيَتْ مِنْ عَشْرِ حَسَنَاتٍ، وَكُفِّرَ لَكَ مِنْ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَكَ مِنْ

(١) نَحَّ وَأَبْعَدُ.

(٢) أَي: لَا نَطْلُبُ الْإِقَالَةَ مِنْهَا، اسْتِعَارَةً مِنْ إِقَالَةِ الْبَيْعِ وَهُوَ إِبْطَالُهُ.

(٣) (بشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ): يَعْنِي الْمَوَاطِيقَ الَّتِي أَخَذَهَا الْعَبَّاسُ عَلَيْهِمُ بِالْوَفَاءِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٢٢:٣) رَقْمَ (١٤٤٩٦)، وَابْنُ حِبَانَ (١٧٢:١٤) رَقْمَ (٦٢٧٤)، وَابْنُ بَيْهَقِي فِي «السَّنَنِ

الْكَبْرَى» (١٤٦:٨) رَقْمَ (١٦٣٣٣). وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطَ.

(٥) أَي: أَسْفَلَ الْبَيْتِ.

(٦) أَي: أَعْلَى الْبَيْتِ.

(٧) أَي: مَا نَمْتُ أَنَا وَزَوْجَتِي.

(٨) مَا بَيْنَ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَعْدِلِ عَشْرِ مُحَرَّرِينَ<sup>(١)</sup>، تَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ  
وَلَهُ الْحَمْدُ، لَا شَرِيكَ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

### ٣٣- دُسْتُورُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ  
تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ: الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رُبْعِهِمْ<sup>(٣)</sup>  
يَتَعَاقَلُونَ<sup>(٤)</sup> بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ<sup>(٥)</sup> بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى  
رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ<sup>(٦)</sup> الْأُولَى، كُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ  
الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا  
بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وبنو الْحَارِثِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا  
بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رُبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلُّ  
طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو النَّجَّارِ عَلَى رُبْعَتِهِمْ  
يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) أي: كعتق عشر رقاب.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤: ١٥٤) رقم (٣٩٨٦).

(٣) الحال التي هم عليها.

(٤) يدفعون ديّاتهم بعضهم مع بعض.

(٥) أسيرهم.

(٦) ديّاتهم.

وَبَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو النَّبِيِّ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا<sup>(١)</sup> بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلِ.

وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا دُونَهُ<sup>(٢)</sup>، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً<sup>(٣)</sup> ظَلَمَ أَوْ إِثْمًا أَوْ عُذْوَانًا، أَوْ فَسَادًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَوَلَدَ أَحَدِهِمْ، وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ<sup>(٤)</sup>، وَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ وَاحِدَةً يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَذْنَاهُمْ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعْنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ<sup>(٥)</sup>.

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمُفْرَحُ: الْمُثْقَلُ بِالذَّنْبِ وَالْكَثِيرُ الْعِيَالِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُوَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحْتِكَ الْوَدَائِعُ

(٢) يَقْرَأُ النَّبِيُّ ﷺ مَبْدَأَ التَّحَالِفِ، وَلَكِنْ عَلَى أَنْ يَحْدِثَ بَدُونَ تَجَاوِزَ عَلَى حَقُوقِ الْوَلَاءِ، فَلَا يَجُوزُ التَّحَالِفُ مَعَ الْمُعْتَقِينَ دُونَ إِذْنِ سَيِّدِهِمْ.

(٣) أَي: طَلَبَ دَفْعًا عَلَى سَبِيلِ الظُّلْمِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالذَّسِيعَةِ الْعَطِيَّةِ، أَي: ابْتَغَى مِنْهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَطِيَّةً عَلَى وَجْهِ ظُلْمِهِمْ.

(٤) هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دَمَ الْكَافِرِ لَا يَكْفِي دَمَ الْمُؤْمِنِ، وَتَأْكِيدُ التَّرَابُطِ الْمَتِينِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(٥) أَي: أَنَّ مَسْئُولِيَّةَ السَّلَامِ مَشْرُوكَةٌ بَيْنَ الْجَمِيعِ، فَلَا يَتَفَرَّدُ أَحَادُ الْمُسْلِمِينَ بِاتِّخَاذِ قَرَارِ الْحَرْبِ أَوْ الْمَصَالِحِ وَالْمُهَادَنَةِ مَعَ مَنْ يِقَاتِلُهُ الْمُسْلِمُونَ، بَلْ مَرْجِعُ الْأَمْرِ كُلِّهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَرْتَبُطٌ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ لِلدَّوْلَةِ.

وَإِنَّ كُلَّ غَازِيَةٍ عَزَتْ مَعَنَا يَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا<sup>(١)</sup>، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ<sup>(٢)</sup> بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَدْيٍ وَأَقْوَمِهِ، وَإِنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ<sup>(٣)</sup>.

وَإِنَّهُ مَنِ اعْتَبَطَ<sup>(٤)</sup> مُؤْمِنًا قَتَلًا عَنْ بَيْنَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ<sup>(٥)</sup> بِهِ إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْمَقْتُولِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبَ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصَرَ مُحَمَّدًا<sup>(٦)</sup>، وَلَا يُؤْوِيهِ، وَأَنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ<sup>(٧)</sup>، وَإِنَّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَعُ<sup>(٨)</sup> إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي

(١) بمعنى: أن أعباء الحرب لا تقع على عشيرة دون أخرى، بل إن الجهاد فرض على جميع المؤمنين، يتناوبون الخروج في السرايا والغزوات.

(٢) قَوْلُهُ: (يُبِيءُ) هُوَ مِنَ الْبَوَاءِ، أَي: الْمُسَاوَاةُ.

(٣) أَي: أَنْ مِنْ بَقِي عَلَى الشَّرْكِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ لَا يَحِقُّ لَهُ إِجَارَةُ قُرَيْشٍ وَتِجَارَتِهَا، وَلَا يَقِفُ حَاجِزًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَصَدَّوْا لَهَا وَتِجَارَتِهَا.

(٤) أَي: قَتَلَهُ دُونَ جَنَايَةٍ أَوْ سَبَبٍ يَوْجِبُ قَتْلَهُ.

(٥) الْقَوْدُ: الْقِصَاصُ وَقَتْلُ الْقَاتِلِ بِدَلِّ الْقَتِيلِ.

(٦) الْمَحْدَثُ: كُلُّ مَنْ أَتَى حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ حِمَايَتُهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحُدِّ عَلَيْهِ.

(٧) الصَّرْفُ التَّوْبَةُ، وَالْعَدْلُ الْفِدْيَةُ. أَي لَا يَقْبَلُ مِنْهُ التَّوْبَةَ عَنْ فِعْلَتِهِ فِي نَصْرَةِ الْمُجْرِمِينَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ فِدْيَةَ لَذَلِكَ.

(٨) لَا يُوْتَعُ: أَي لَا يَهْلِكُ إِلَّا نَفْسَهُ.

الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ  
 بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ  
 لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَنْتُمْ فَإِنَّهُ لَا يُوتَعُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ،  
 وَإِنَّ جَفْنَةَ بَطْنٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ لِبَنِي الشَّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنَّ الْبَرَّ دُونَ  
 الْإِثْمِ، وَإِنَّ مَوَالِي ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّ بَطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنَّهُ لَا يُخْرَجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ  
 مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِنَّهُ لَا يَنْحَجِرُ عَلَى ثَأْرِ جُرْحٍ، وَإِنَّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، وَإِنَّ  
 اللَّهَ عَلَى أَبْرِّ هَذَا، وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ  
 حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْبَرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتُمْ أَمْرٌ  
 بِحَلِيفِهِ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَثْرِبَ  
 حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ<sup>(١)</sup>.

(١) أي أن جوف يثرب حرم لا يحل انتهاكه، فلا يقتل صيده، ولا يقطع شجره، وحدود حرم المدينة كما  
 ذكره الشيخ محمد بن محمد بن حسن شراب، فقال:

حرم المدينة: وردت في الأحاديث التي حددت حرم المدينة، معالم سأذكرها، وأكتب ما اهتمت إليه من  
 تحديد أماكنها، مع الترجمة لكل واحد في حرفة الأول.

١- اللابتان: ما بين لابتيتها حرام: اللابة: الحرة: وهما حرتان، الشرقية شرق المدينة، والغربية في غرب  
 المدينة وتسمى الأولى واقم، والثانية حرة الوبرة. وتعطف الشرقية والغربية من جهة الشمال  
 والجنوب، مما يجعل المدينة بين حرات أربع.

٢- جبل عير (مرادف الحمار): جبل في قبة المدينة، بقرب ذي الحليفة ميقات أهل المدينة.

٣- جبل ثور: جبل صغير خلف جبل أحد.

٤- ذات الجيش: تكون في طريق المدينة إلى مكة بعد ذي الحليفة.

٥- مشيرب: جبل في شامي ذات الجيش.

وَأَنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرِ مُضَارٍ وَلَا آئِمٍّ، وَأَنَّهُ لَا يُجَارُ حُرْمَةً إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادَهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَتَقَىٰ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ، وَأَنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرَبٌ<sup>(١)</sup>، وَإِذَا دُعُوا إِلَىٰ صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ، وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ هُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ، عَلَىٰ كُلِّ أَنَسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ، وَإِنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ عَلَىٰ مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مَعَ الْبَرِّ الْمَحْضِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: مَعَ الْبَرِّ الْمُحْسِنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَإِنَّ الْبَرَّ دُونَ الْإِثْمِ لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَأَئِمٍّ، وَأَنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ آئِمٍّ، وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَأَتَقَىٰ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْيَهُودِ<sup>(٢)</sup>.

٦ - أشرف مخيض: جبال في طريق الشام.

٧ - الحفيا: مكان في الغابة، شامي المدينة.

٨ - ثيب، ويصحف إلى تيم، و يثيب: جبل شرقي المدينة.

٩ - وعيرة: جبل شرقي ثور، أكبر من ثور و أصغر من أحد. «المعالم الأثرية في السنة والسيرة» (ص ٨٩).

وبهذا حفظ النبي ﷺ الأمن الداخلي للمدينة المنورة.

(١) أي: أن من تشمله بنود الصحيفة من يهود وغيرهم عليهم النصر في حال تعرض المدينة إلى هجوم خارجي.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص ٢٦٩)، وابن هشام (٣: ٣١)، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٦: ٨) بعضه.

### ٣٤- فَضِيلَةُ أَهْلِ بَدْرِ

رَوَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً<sup>(٢)</sup> وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا».

فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى<sup>(٣)</sup> بِنَا خَيْلَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالطَّعِينَةِ؛ فَقُلْنَا: أَخْرَجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْفَيْنَنَّ الشَّيْبَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا<sup>(٤)</sup>.

فَأْتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا<sup>(٥)</sup> فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ؛ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَخْتَذَ عِنْدَهُمْ يَدًا<sup>(٦)</sup> يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ صَدَقَكُمُ».

(١) رَوْضَةُ خَاخٍ: بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ بِقُرْبِ الْمَدِينَةِ.

(٢) الطَّعِينَةُ هُنَا الْجَارِيَّةُ، وَأَصْلُهَا الْهُودُجُ، وَسُمِّيَتْ بِهَا الْجَارِيَّةُ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِيهِ. وَاسْمُ هَذِهِ الطَّعِينَةُ سَارَةَ مَوْلَاةُ لِعِمْرَانَ بْنِ أَبِي صَنْفِيٍّ الْقُرَشِيِّ.

(٣) تَعَادَى بِنَا خَيْلَنَا: هُوَ بَفَتْحِ التَّاءِ، أَيُّ: تَجْرِي.

(٤) عِقَاصِهَا: هُوَ بَكْسِرِ الْعَيْنِ، أَيُّ: شَعْرُهَا الْمَضْفُورُ، وَهُوَ جَمْعُ عَقِيصَةٍ.

(٥) مُلْصَقًا: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا.

(٦) يَدًا: نِعْمَةً وَمِنَّةً عَلَيْهِمْ.

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ<sup>(١)</sup> عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ؛ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

### ٣٥- لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ<sup>(٣)</sup>، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا<sup>(٥)</sup>، وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا<sup>(٦)</sup> وَلَا امْرَأَةً<sup>(٧)</sup>، وَلَا تَغْلُوا وَضُمُّوا عَنَائِمَكُمْ<sup>(٨)</sup>، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»<sup>(٩)</sup>.

وَعَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ، قَالَ: فَأَفْرَجُوا لَهَا<sup>(١٠)</sup>؛ فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ».

(١) اطَّلَعَ: نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَعَلِمَ حَالَهُمْ وَمَا سَبَّكَ مِنْهُمْ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٥:٣) رقم (٢٨٤٥)، ومسلم (١٩٤١:٤) رقم (٢٤٩٤).

(٣) يعني: معتمدين على الله متوكلين عليه مستعينين به.

(٤) يعني: على سنته وطريقته ومنهجه ودينه.

(٥) يعني: ليس من أهل القتال، إلا إن كان ذا رأي وخبرة في الحرب بحيث يستفيدون منه فيقتل وإن كان كبيراً؛ للتخلص من شره.

(٦) الصغير: هو الذي لم يبلغ الحلم، ولكن الحكم (لا يقتل) هو الذي لا يقاتل، أما من يكون من المقاتلة ولو لم يبلغ فهو يقتل لقتاله.

(٧) المرأة كذلك لا تقتل إلا أن تكون من المقاتلة؛ فإنها تقتل.

(٨) يعني: اجمعوها وضموا بعضها إلى بعض، حتى لا يؤخذ منها من غير حق.

(٩) أخرجه أبو داود (٤٤:٢) رقم (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٨٣:٦) رقم (٣٣١١٨).

(١٠) أي: تفرَّجُوا لِأَجْلِهِ.

ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: «انْطَلِقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ، يَقُولُ: لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً<sup>(١)</sup> وَلَا عَسِيفًا<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ جِيُوشَهُ قَالَ: «اُخْرُجُوا، بِسْمِ اللَّهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْدِرُوا<sup>(٤)</sup> وَلَا تَغْلُوا<sup>(٥)</sup> وَلَا تَمَثَلُوا<sup>(٦)</sup>، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ<sup>(٧)</sup>»<sup>(٨)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وَجَدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَيَّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ<sup>(٩)</sup>.

- 
- (١) الذَّرِيَّةُ: اسْمٌ يَجْمَعُ نَسْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ النِّسَاءُ؛ لِأَجْلِ الْمَرْأَةِ الْمَقْتُولَةِ.
  - (٢) أَيُّ: أَجِيرًا، وَكَانَ الْمُرَادُ الْأَجِيرَ عَلَى حِفْظِ الدَّوَابِّ وَنَحْوِهِ، لَا الْأَجِيرَ عَلَى الْقِتَالِ.
  - (٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٨:٤) رَقْمَ (١٧٦٤٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٩٤٨:٢) رَقْمَ (٢٨٤٢)، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ فِي «مُصْنَفِهِ» (٢٠١:٥) رَقْمَ (٩٣٨٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصْنَفِهِ» (٤٨٢:٦) رَقْمَ (٣٣١١٧).
  - (٤) الْعَدْرُ: نَقْضُ الْعَهْدِ، وَتَرْكُ الْوَفَاءِ بِهِ.
  - (٥) الْغُلُولُ: الْأَخْذُ مِنَ الْغَنِيمَةِ مِنْ غَيْرِ قِسْمِهَا.
  - (٦) وَالتَّمَثِيلُ هُنَا: التَّشْوِيهِ بِالْقَتِيلِ؛ كَجَدْعِ أَنْفِهِ، وَأَذْنِهِ، وَالْعَبْثِ بِهِ.
  - (٧) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ مَنْ كَانَ مُتَخَلِّيًا لِلْعِبَادَةِ مِنَ الْكُفْرَانِ كَالرَّهْبَانِ؛ لِإِعْرَاضِهِ عَنْ ضَرِّ الْمُسْلِمِينَ، وَيُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ كَانَ مَقْعَدًا أَوْ أَعْمَى أَوْ نَحْوَهُمَا مَنْ كَانَ لَا يَرِجَى نَفْعَهُ وَلَا ضَرَّهُ.
  - (٨) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٠٠:١) رَقْمَ (٢٧٢٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٢٤:١١) رَقْمَ (١١٥٦٢)، وَأَبُو يَعْلَى (٤٢٢:٤) رَقْمَ (٢٥٤٩)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكَبِيرَى» (٩٠:٩) رَقْمَ (١٧٩٣٣).
  - (٩) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٠٩٨:٣) رَقْمَ (٢٨٥٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصْنَفِهِ» (٤٨٢:٦) رَقْمَ (٣٣١١٢).

### ٣٦- مَكِيدَةُ صَفْوَانَ وَعُمَيْرٍ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرِ

جَلَسَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ الْجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ -بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرِ مِنْ قُرَيْشٍ- فِي الْحِجْرِ بَيْسِيرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقُونَ مِنْهُمْ عِتْنًا، إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهَبٌ بْنُ عُمَيْرٍ فِي أُسَارَى أَصْحَابِ بَدْرِ.

قَالَ: فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْقَلْبِ بِمَصَابِيئِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَانُ: وَاللَّهِ إِنَّ<sup>(١)</sup> فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ خَيْرٌ. وَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ: صَدَقْتَ وَاللَّهِ، لَوْلَا دِينَ عَلِيٍّ لَيْسَ عِنْدِي قَصَاؤُهُ، وَعِيَالٌ أَحْسَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ<sup>(٢)</sup> بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً<sup>(٣)</sup>، ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ.

فَاعْتَنَمَهَا صَفْوَانُ، فَقَالَ: عَلِيٌّ دِينُكَ، أَنَا أَقْضِيهِ عَنْكَ، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسْوِيهِمْ<sup>(٤)</sup> مَا بَقُوا، لَا يَسَعُهُمْ شَيْءٌ نَعَجَزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْرٌ: أَكْتُمُ عَلِيَّ شَأْنِي وَشَأْنُكَ، قَالَ: أَفْعَلُ.

قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ، فَشَحَذَ<sup>(٥)</sup> وَسَمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَا<sup>(٦)</sup> عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالْمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَذَكَّرُونَ يَوْمَ بَدْرِ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ قَدْ أَنَاخَ بَبَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْفِ، فَقَالَ: هَذَا

(١) إن مخففة من الثقيلة، ومعناها هنا النفي، أي: ما في العيش بعدهم خير.

(٢) الضيعة: الضياع والتشتت.

(٣) العلة: السبب.

(٤) من المواساة، وهي المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق.

(٥) أَحَدَّ سِنَانَهُ.

(٦) أَصْلُ بَيْنًا: بَيْنٌ، فَأُشْبِعَتِ الْفَتْحَةُ فَصَارَتْ أَلِفًا، يُقَالُ: بَيْنَا وَبَيْنَمَا.

الْكَلْبُ عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ مَا جَاءَ إِلَّا لِشَرِّ، هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا<sup>(١)</sup> لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ قَالَ: فَأَدْخَلَهُ. فَأَقْبَلَ عُمَرُ حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِهِ، فَلَبَّيْهُ<sup>(٢)</sup> بِهَا، وَقَالَ عُمَرُ لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ: ادْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا هَذَا الْكَلْبَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعُمَرُ أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ، فَقَالَ: «أَرْسَلُهُ يَا عُمَرُ، اذْنُ يَا عُمَيْرُ». فَدَنَا.

فَقَالَ: أَنْعَمُوا صَبَاحًا، وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، السَّلَامُ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثِ الْعَهْدِ بِهَا، قَالَ: «فَمَا جَاءَ بِكَ؟».

قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَالَ: «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟». قَالَ: قَبَحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَعْنَتْ سَيِّئًا؟ قَالَ: «اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟». قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِهَذَا، قَالَ: «بَلْ فَعَدْتِ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِي الْحَجْرِ فَتَذَاكْرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلْبِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتَ: لَوْلَا دِينَ عَلِيٍّ وَعِيَالِي؛ لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتَلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَلْتُ صَفْوَانَ لَكَ بِدِينِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتَلَنِي، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ».

قَالَ عُمَيْرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَيْرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَخْضُرْهُ إِلَّا أَنَا وَصَفْوَانُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، وَسَاقِنِي هَذَا الْمَسَاقَ، ثُمَّ شَهِدَ

(١) حزرنا: حَمَنَ وَقَدَّرَ أَعْدَادَنَا لِقُرَيْشٍ .

(٢) لَبَّيْهُ وَأَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ وَتَلَابِيئِهِ: إِذَا جُمِعَتْ ثِيَابُهُ عِنْدَ صَدْرِهِ وَنَحَرِهِ، ثُمَّ جَرَّزَتْهُ .

شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقَهُوا أَحَاكِمَ فِي دِينِهِ، وَأَفْرُتُوهُ الْقُرْآنَ، وَأَطْلِقُوا لَهُ أُسَيْرَهُ»<sup>(١)</sup>.

### ٣٧- مُشَاوَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي الْخُرُوجِ أَوْ الْبَقَاءِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ

خَرَجَتْ فُرَيْشٌ بِحَدِّهَا وَحَدِيدِهَا وَأَحَابِيشَهَا<sup>(٢)</sup>، وَمَنْ تَابَعَهَا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ، وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالظُّعْنِ<sup>(٣)</sup> التَّمَّاسَ الْحَفِيطَةَ<sup>(٤)</sup> وَاللَّا يَفْرُوا .

فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَهُوَ قَائِدُ النَّاسِ بِنْتِ عْتَبَةَ، وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِأُمَّ حَكِيمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَخَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بِنْتِ مَسْعُودِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمِيرِ الثَّقَفِيِّ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : رُقِيَّةٌ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِرَيْطَةَ بِنْتِ مُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو، وَخَرَجَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَأَبُو طَلْحَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بِسُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ شَهِيدِ الْأَنْصَارِيَّةِ، وَهِيَ أُمُّ بَنِي طَلْحَةَ : مُسَافِعٌ وَالْجُلَّاسُ وَكِلَابٌ، فُقِتِلُوا يَوْمَئِذٍ هُمْ وَأَبُوهُمْ .

(١) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» رقم (١٣٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٧: ٨٥) رقم (١١٨).

(٢) الْأَحَابِيشُ: بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ وَالْمُهُونُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُرَاعَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : تَخَالَفُوا جَمِيعًا، فَسُمُّوا الْأَحَابِيشَ لِلْحِلْفِ . وَالتَّجْبُشُ : التَّجْمَعُ . وَقِيلَ حَالَفُوا فُرَيْشًا تَحْتَ جَبَلٍ يُسَمَّى حُبْشِيًّا فَسُمُّوا بِذَلِكَ .

(٣) الظُّعْنُ: النَّسَاءُ وَاحِدَتُهَا: ظُعِينَةٌ . وَأَصْلُ الظُّعِينَةِ: الرَّاحِلَةُ الَّتِي يُرْحَلُ وَيُطْعَنُ عَلَيْهَا: أَي يُسَارُ . وَقِيلَ لِلْمَرْأَةِ ظُعِينَةٌ؛ لِأَنَّهَا تَطْعَنُ مَعَ الزَّوْجِ حَيْثُمَا طَعَنَ، أَوْ لِأَنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الرَّاحِلَةِ إِذَا طَعْنَتْ .

(٤) الحفيظة: الغضب والحمية.

وَوَخَّرَجَتْ حِنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ الْمُضَرِّبِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ مَعَ ابْنِهَا  
أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَهِيَ أُمُّ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَوَخَّرَجَتْ عَمْرَةَ بِنْتُ عَلْقَمَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي  
الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ.

وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرَّ بِهَا، قَالَتْ: وَيَا أَبَا دَسْمَةَ، اشْفِ  
وَاسْتَشْفِ. وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَكْتُمِي بِأَبِي دَسْمَةَ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِيْطْنِ السَّبْخَةِ مِنْ  
فَنَاءِ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي، مُقَابِلِ الْمَدِينَةِ.

لَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
لِلْمُسْلِمِينَ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا، رَأَيْتُ بَقْرًا، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ سَيْفِي»<sup>(١)</sup> ثَلَمَّا، وَرَأَيْتُ أَنِّي  
أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعِ حَصِينَةٍ، فَأَوْلَتْهَا الْمَدِينَةَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ بَقْرًا لِي  
تُذْبِحُ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْبَقْرُ فَهِيَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي يُقْتَلُونَ، وَأَمَّا الثَّلْمُ الَّذِي رَأَيْتُ فِي ذُبَابٍ سَيْفِي،  
فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ -يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ-: «فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ  
حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا».

وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَالْأَ  
يُخْرِجُ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ؛ فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ أَكْرَمَ اللَّهُ  
بِالشَّهَادَةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ فَاتَهُ بَدْرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُخْرِجْ بَنَاءَ إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرُونَ أَنَّا  
جَبْنَا عَنْهُمْ وَصَعَفْنَا.

(١) ذُبَابُ السِّيفِ: طَرَفُهُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سَلُولٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِمِ بِالْمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَحْبَسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرَّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاؤُوا.

فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَمْرِهِمْ حُبًّا لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ فَلَبِسَ لِأَمْتِهِ<sup>(١)</sup>، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ.

وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ - فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكْرَهْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَكْرَهْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَافْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبِسَ لِأَمْتِهِ أَنْ يَصْعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ». فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ<sup>(٢)</sup>.

### ٣٨- مَصَابِيحُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَرَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجُوبٌ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ<sup>(٤)</sup>. قَالَ: وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، وَكَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

(١) اللأمة مهموزة: الدُّزَع. وقيل: السَّلَاح. ولأمة الحرب: أداته.

(٢) ذكره بهذا السياق السهيلي في «الروض الأنف» (٢٤٣:٣)، وأخرجه أحمد (٣٥١:٣) رقم (١٤٨٢٩)، والدارمي (١٧٣:٢) رقم (٢١٥٩)، والواقدي في «المغازي» (ص ٢١٤) وابن هشام في «سيرته» (٦٣:٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣٩:٣).

(٣) مترس عليه بنفسه، يقيه من ضربات المشركين ونبالهم.

(٤) ترس من الجلد ليس فيها خشب.

قَالَ: فَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجُعْبَةُ<sup>(١)</sup> مِنَ النَّبْلِ؛ فَيَقُولُ: «أَنْتَرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ».  
 قَالَ: وَيُسْرِفُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ؛ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي  
 لَا تُسْرِفْ<sup>(٢)</sup>، لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سَهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ<sup>(٣)</sup>.  
 وَمِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ﷺ، فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ  
 اللَّهِ ﷺ يَقْدِي أَحَدًا بِأَبْوَيْهِ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ  
 أَبِي وَأُمِّي»<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْهُمْ سَهْلُ بْنُ حَنِيْفٍ وَكَانَ مِنْ مَشَاهِيرِ الرَّمَاةِ، نَضَحَ<sup>(٥)</sup> عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالنَّبْلِ حَتَّى  
 انْفَرَجَ عَنْهُ النَّاسُ. وَمِنْهُمْ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ الْأَنْصَارِيُّ تَرَسَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ،  
 فَصَارَ النَّبْلُ يَقَعُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ. وَكَانَ يُقَاتِلُ عَنِ الرَّسُولِ زِيَادُ بْنُ  
 السَّكَنِ<sup>(٦)</sup> فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ - وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّهَا هُوَ عِمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ -  
 فَقَاتَلُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ ثُمَّ رَجُلٌ يُقْتَلُونَ دُونَهُ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادًا، أَوْ عِمَارَةَ بْنَ  
 زِيَادٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَنْبَتَهُ الْجِرَاحَةُ<sup>(٧)</sup>.

(١) الْجُعْبَةُ: الْكِنَانَةُ الَّتِي تُجْعَلُ فِيهَا السَّهَامُ.

(٢) لَا تُسْرِفُ: أَي: لَا تُتَسَرَّفُ مِنْ أَعْلَى مَوْضِعٍ، أَي: لَا تُتَطَلَّعُ.

(٣) نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ: أَقْفُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِحَيْثُ إِذَا جَاءَ السَّهْمُ يُصِيبُ نَحْرِي وَلَا يُصِيبُ نَحْرَكَ، وَالنَّحْرُ  
 الصَّدْرُ وَأَسْفَلُ الْعُنُقِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٩٠: ٤) رَقْم (٣٨٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٣: ٣) رَقْم (١٨١١).

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢٤: ١)، وَابْنُ مَاجَةَ (٤٧: ١) رَقْم (١٢٩)، وَالطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رَقْم (١٠٢).

(٦) نَضَحَ الْقَوْمُ بِالنَّبْلِ: رَمَاهُمْ فَفَرَقَهُمْ، وَفَلَانٌ يَنْضَحُ عَنْ نَفْسِهِ يَدْفَعُ عَنْهَا.

(٧) فِي كِتَابِ «نُورِ الْيَقِينِ»: زِيَادَةُ بْنُ الْحَارِثِ. وَهُوَ خَطَأٌ، وَمَا أَثْبَتَاهُ مِنْ كِتَابِ السِّيَرَةِ، وَالتَّرَاجِمِ.

(٨) أَي: مَنَعْتَهُ مِنَ الْحَرَكَةِ.

ثُمَّ فَأَعَتْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيْئَةً فَأَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ<sup>(١)</sup>؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذُوهُ مِنِّي» فَأَذَوْهُ مِنْهُ، فَوَسَدَهُ فَدَمَهُ فَمَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ أَصَابَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شِدَائِدٌ عَظِيمَةٌ تَحْمَلُهَا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الثَّبَاتِ، فَقَدْ أَقْبَلَ أَبِي بَنْ خَلْفٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَأَخَذَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ الْحَرْبَةَ مِمَّنْ كَانُوا مَعَهُ، وَقَالَ: «حَلُّوا طَرِيقَهُ»، فَلَمَّا قَرَبَ مِنْهُ صَرْبُهُ صَرْبَةً كَانَتْ سَبَبَ هَلَاكِهِ وَهُوَ رَاجِعٌ، وَلَمْ يَقْتُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرَهُ، لَا فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا.

وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ قَدْ حَفَرَ حُفْرًا وَعَظَّاهَا لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الرَّسُولُ فِي حُفْرَةٍ مِنْهَا، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، وَخُدِشَتْ رُكْبَتَاهُ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ - وَهُمَا مِمَّنْ ثَبَتَ - حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا، فَرَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِحَجَرٍ كَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ<sup>(٢)</sup>؛ فَتَبِعَهُ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ فَقَتَلَهُ، وَشَجَّ وَجْهَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، وَجَرِحَتْ وَجَّتَاهُ بِسَبَبِ دُخُولِ حَلَقَتِي الْمَغْفَرِ<sup>(٣)</sup> فِيهِمَا مِنْ صَرْبَةٍ صَرْبَهُ بِهَا ابْنُ قَمَيْتَةَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>، فَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَعَالِجُ الْحَلَقَتَيْنِ حَتَّى نَزَعَهُمَا، فَكَسَرَتْ فِي ذَلِكَ ثَنِيَّتَاهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: أزالوهم وغلّبوهم.

(٢) والرباعية، مخففة الياء: السن التي بعد كل ثنية، وهي أربع رباعيات.

(٣) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. والزرد حلق المغفر.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨: ١٣٠) رقم (٧٥٩٦).

(٥) الثنيتان: السنان المتقدمتان، والجمع الثنايا، وهي الأسنان المتقدمّة: اثنتان فوق واثنتان تحت.

وَقَالَ حِينَئِذٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِم بِالِدَمِّ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». فَأَنْزِلَتْ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] (١).

وَعَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانَ، قَالَ: «أَهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْسٌ فَدَفَعَهَا إِلَيَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَرَمَيْتُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْدَقَتْ (٢) عَنْ سِيَّتِهَا (٣)، وَلَمْ أَزَلْ عَنْ مَقَامِي نَصَبَ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلْقَى السَّهَامَ بَوَجْهِ، كُلَّمَا مَالَ سَهْمٌ مِنْهَا إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَيَّلْتُ رَأْسِي لِأَقْبِي وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلا رَمِي أَرْمِيهِ، فَكَانَ آخِرُهَا سَهْمًا بَدَرْتُ مِنْهُ حَدَقْتِي عَلَى خَدِّي، وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ، فَأَخَذْتُ حَدَقْتِي بِكَفِّي، فَسَعَيْتُ بِهَا فِي كَفِّي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَفِّي دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ قَتَادَةَ قَدْ أَوْجَهَ نَبِيكَ بَوَجْهِهِ، فَاجْعَلْهَا أَحْسَنَ عَيْنِيهِ، وَأَحَدَهُمَا نَظْرًا». فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا نَظْرًا (٤).

### ٣٩- صَبْرُ امْرَأَةِ مُؤْمِنَةٍ

كَانَتْ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ، وَهِيَ امْرَأَةٌ غَزِيَّةٌ بِنُ عَمْرُو، وَشَهِدَتْ أُحُدًا هِيَ وَرَوْجَهَا وَابْنَاهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَارَةَ نُسَيْبَةَ بِنْتُ كَعْبٍ الْمَازِنِيَّةُ يَوْمَ أُحُدٍ. فَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَّ أُمَّ سَعْدِ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ عُمَارَةَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا خَالَهٗ، أَخْبِرِينِي خَبْرَكَ؟

(١) أخرجه أحمد (١٧٨:٣) رقم (١٢٨٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (٣١٤:٦) رقم (١١٠٧٧). وسياق الخبر كاملاً من كتاب «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» (ص ١٢٠).

(٢) أي: انكسرت.

(٣) سِيَّةُ الْقَوْسِ: مَا عَطَفَ مِنْ طَرَفَيْهَا وَلَهَا سَيِّتَانِ وَالْجَمْعُ سَيَّاتٌ.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨: ١٩) رقم (١٢).

فَقَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِيَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالِدَوْلَةَ وَالرَّيْحُ<sup>(١)</sup> لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْهَرَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُمْتُ أَبَاشِرَ الْقِتَالِ وَأَذْبْتُ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وَأَزْمِي عَنِ الْقَوْسِ حَتَّى خَلَصْتُ<sup>(٢)</sup> الْجِرَاحَ إِلَيَّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجُوفَ لَهُ عَوْرٌ<sup>(٣)</sup>، فَقُلْتُ: مَنْ أَصَابَكَ بِهَذَا؟ قَالَتْ: ابْنُ فَمِيَّةَ أَقَمَاهُ اللَّهُ، لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ: دُلُونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجُوتُ إِنْ نَجَا، فَأَعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَأَنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانٌ<sup>(٤)</sup>.

#### ٤٠- مُعَالِجَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ

عَنْ أَبِي حَازِمٍ: أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، وَسَأَلَهُ النَّاسُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ: بِأَيِّ شَيْءٍ دُوي جُرْحِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِرُؤْسِهِ فِيهِ مَاءٌ، وَفَاطِمَةُ تُغَسِّلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ، فَأُخَذَ حَصِيرٌ فَأُحْرِقَ فَحُثِّي بِهِ جُرْحُهُ»<sup>(٥)</sup>.  
وَحَدَّثَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ؛ فَقَالَ: «جُرْحُ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَهَشِمَتْ الْبَيْضَةُ<sup>(٦)</sup> عَلَى رَأْسِهِ، فَكَانَتْ

(١) أي: الظفر والنضرة.

(٢) أي: وصلت.

(٣) أي: جرحاً مجوفاً عميقاً.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢: ٨١).

(٥) أخرجه البخاري (٩٦: ١) رقم (٢٤٠)، والترمذي (٤١١: ٤) رقم (٢٠٨٥).

(٦) الهشيم: الكسر. والبيضة: الخوذة.

فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَعْسِلُ الدَّمَ، وَعَلِيٌّ يُمْسِكُ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ حَصِيرًا فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْزَقَتْهُ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ»<sup>(١)</sup>.

#### ٤١- اسْتِقَادَ لَهَا سَعْدُ

وَلَمَّا صَاحَ إِبْلِيسُ: «إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ» تَفَرَّقَ النَّاسُ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَرَدَ الْمَدِينَةَ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ يُخْبِرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ سَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ أَبُو عُبَادَةَ. ثُمَّ وَرَدَ بَعْدَهُ رِجَالٌ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى نِسَائِهِمْ، حَتَّى جَعَلَ النِّسَاءُ يَقْلُنَ: أَعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَفَرُّونَ؟! قَالَ: يَقُولُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ: أَعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَفَرُّونَ؟ ثُمَّ جَعَلَ يُؤَفِّفُ بِهِمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ بِالْمَدِينَةِ، يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: اعْدُلُونِي عَلَى الطَّرِيقِ -يَعْنِي طَرِيقَ أَحَدٍ- فَعَدَلُوهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ يَسْتَخِيرُ كُلُّ مَنْ لَقِيَ عَن طَرِيقِ أَحَدٍ حَتَّى لَحِقَ الْقَوْمَ، فَعَلِمَ بِسَلَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ.

وَكَانَ مِمَّنْ وَلَى: فُلَانٌ وَالْحَارِثُ بْنُ حَاطِبٍ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ، وَسَوَادُ بْنُ عَزِيَّةَ، وَسَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَعُقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ، وَخَارِجَةُ بْنُ عَامِرٍ بَلَغَ مَلَلٌ<sup>(٢)</sup>، وَأَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بَلَعُوا الشَّقْرَةَ<sup>(٣)</sup>، وَلَقِيَتْهُمْ أُمَّ أَيْمَنَ تَحْتِي فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ، وَتَقُولُ لِبَعْضِهِمْ: هَاكَ الْمِغْزَلُ فَاغْزِلْ بِهِ، وَهَلُمَّ سَيْفَكَ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٠٦٦:٣) رقم (٢٧٥٢)، ومسلم (١٤١٦:٣) رقم (١٧٩٠).

(٢) موضع في طريق مكة بين الحرمين. قال ابن السكيت: هو منزل على طريق المدينة إلى مكة عن ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة.

(٣) الشقرة: موضع بطريق فيد بين جبال حُمر على نحو ثمانية عشر ميلاً من النخيل، وعلى يوم من بئر السائب، ويومين من المدينة.

(٤) «مغازي الواقدي» (ص ٢٧٨).

قال الواقدي: «وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَذْلَقُوا<sup>(١)</sup> الْمُسْلِمِينَ بِالرَّمِي، مِنْهُمْ حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، وَأَبُو أُسَامَةَ الْجُسَمِيُّ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: «ارْمِ، فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

وَرَمَى حِبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَ ذَيْلَ أُمِّ أَيْمَنَ - وَجَاءَتْ يَوْمَئِذٍ تَسْقِي الْجَرْحَى - فَعَقَلَهَا وَانْكَشَفَ عَنْهَا<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَعْرَبَ فِي الصَّحِكِ<sup>(٣)</sup>؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَ إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ سَهْمًا لَا نَصْلَ لَهُ؛ فَقَالَ: «ارْمِ» فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي ثُغْرَةٍ<sup>(٤)</sup> نَحَرَ حِبَّانَ، فَوَقَعَ مُسْتَلْقِيًا وَبَدَتْ عَوْرَتُهُ.

قَالَ سَعْدٌ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ يَوْمَئِذٍ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. ثُمَّ قَالَ: «اسْتَقَادَ<sup>(٥)</sup> لَهَا سَعْدٌ، أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، وَسَدَّدَ رَمِيَتَكَ». وَفِي رِوَايَةٍ: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ» فَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ<sup>(٦)</sup>.

#### ٤٢- وَحَشِيٌّ يُحَدِّثُ عَنْ قَتْلِهِ حَمْزَةَ

قَالَ: كُنْتُ غَلَامًا لِحُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ، وَكَانَ عَمُّهُ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا سَارَتْ فُرَيْشٌ إِلَى أَحَدٍ قَالَ لِي حُبَيْرٌ: «إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ». قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْدَفٌ بِالْحَرْبَةِ قَذَفَ الْحَبْشَةَ قَلَمًا أَخْطَى بِهَا شَيْئًا، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ وَأَنْبَصِرُهُ، حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عَرْضِ النَّاسِ

(١) أي: أوجعوههم.

(٢) عقلاها: صرعها، وانكشف ذيلها عنها.

(٣) أي: بالغ فيه، وقيل: هو القهقهة.

(٤) الثغرة: وهي ثغرة النحر فوق الصدر.

(٥) انتقم منه بمثل فعله.

(٦) «مغازي الواقدي» (ص ٢٤١). وأخرج الرواية الأخيرة الترمذي (٣٧٥١).

كَانَهُ الْجُمْلُ الْأَوْرُقُ<sup>(١)</sup> يَهْدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَذَا مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتَمِّبُ لَهُ أُرِيدُهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ بِحَجَرٍ لِيَدُنُو مِنِّي، إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ، فَلَمَّا رَأَاهُ حَمْرَةً قَالَ: هَلُمَّ إِلَى يَابِنَ مُقَطَّعَةِ الْبُظُورِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ: فَضْرَبُهُ ضْرِبَةً كَانَتْهَا أَحْطَأُ رَأْسَهُ<sup>(٣)</sup>، قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَفَعْتُ فِي نُتْبِهِ<sup>(٤)</sup>، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَنْوَأَ<sup>(٥)</sup> نَحْوِي فَعَلِبَ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بَعِيرُهُ حَاجَةً، إِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ.

فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ عُنِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ، حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَنْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدَّ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُسَلِّمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَحَقُّ بِالشَّامِ أَوْ بِالْيَمَنِ أَوْ بِبَعْضِ الْبِلَادِ، فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ.

قَالَ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَلَمْ يُرِعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ لِي: «أَوْحِشِي أَنْتِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَعُدَّ فَحَدَّثَنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْرَةً؟».

قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمْ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: «وَيْحَكَ غَيْبٌ عَنِّي وَجْهَكَ فَلَا أُرِيَنَّكَ».

(١) الجمل الأورق: الذي لونه بين الغبرة والسواد، سمَّاهُ كَذَلِكَ لما عَلِيهِ مِنَ الْعُبَارِ.

(٢) لأن أمه كانت ختانه.

(٣) يقال هذا: عند المبالغة في الإصابة.

(٤) الثنة: ما بين السرة والعانة من أسفل البطن.

(٥) ينوَأ: ينهض متثاقلاً.

قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ؛ لِئَلَّا يَرَانِي، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

### ٤٣- بلالٌ في ورطةٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَيِّ الْهُوزَنِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ بِلَالًا، مُؤَدِّنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا بِلَالُ، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَ: مَا كَانَ لَهُ مِنْ شَيْءٍ، وَكُنْتُ أَنَا الَّذِي أَلِي<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ حَتَّى تُوفِّيَ ﷺ، فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمَ، فَرَاهُ عَارِيًا، يَأْمُرُنِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَقْرِضُ، فَأَشْتَرِي الْبُرْدَةَ، أَوْ النَّمْرَةَ<sup>(٣)</sup>، فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ، حَتَّى اعْتَرَضَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: يَا بِلَالُ، إِنَّ عِنْدِي سَعَةً، فَلَا تَسْتَقْرِضْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مِنِّي، فَفَعَلْتُ.

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، تَوَضَّأْتُ، ثُمَّ قُمْتُ أُؤَدِّنُ بِالصَّلَاةِ، فِإِذَا الْمُشْرِكُ فِي عِصَابَةٍ<sup>(٤)</sup> مِنْ الثُّجَّارِ، فَلَمَّا رَأَانِي، قَالَ: يَا حَبَشِيُّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا لَيْتَنِي<sup>(٥)</sup>، فَتَجَهَّمَنِي<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ لِي قَوْلًا غَلِيظًا، وَقَالَ: أَتَدْرِي كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّهْرِ؟

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢ : ٧٢). وأخرجه الطيالسي في «مسنده» (١٤١٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤٨٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨١٨٨).

(٢) بِصِغَةِ الْمُتَكَلِّمِ مِنَ الْوَلَايَةِ، أَي: اتَّوَلَّى.

(٣) بُرْدَةٌ مُحْطَطَةٌ. قال الجوهري: وهي من صوف تلبسها الأعراب. وقال ابن الأثير: كلُّ سَمَلَةٍ مُحْطَطَةٌ من مآزر الأعراب.

(٤) أَي: جَمَاعَةٌ.

(٥) أَي: لَيْتَنِي.

(٦) أَي: تَلَقَّانِي بِوَجْهِ كَرِيهٍ.

قَالَ: قُلْتُ: قَرِيبٌ، قَالَ لِي: إِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَرْبَعٌ، فَأَخَذَكَ بِالَّذِي عَلَيْكَ<sup>(١)</sup>، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِكَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ عَلَيَّ، وَلَا كَرَامَةَ صَاحِبِكَ، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُعْطَيْتَكَ لِتَجِبَ لِي عَبْدًا، فَأَرَدْتُكَ تَرَعَى الْغَنَمَ، كَمَا كُنْتَ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَأَخَذَ فِي نَفْسِي<sup>(٢)</sup> مَا يَأْخُذُ النَّاسُ، فَاَنْطَلَقْتُ، ثُمَّ أَذَنْتُ بِالصَّلَاةِ، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الْعَتَمَةَ<sup>(٣)</sup>، رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذَنْ لِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، إِنَّ الْمُشْرِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنِّي كُنْتُ أَتَدِينُ مِنْهُ، قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تَقْضِي عَنِّي، وَلَا عِنْدِي، وَهُوَ فَاضِحِي<sup>(٤)</sup>، فَأَذَنْ لِي أَنْ أَبْقَ<sup>(٥)</sup> إِلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْأَحْيَاءِ<sup>(٦)</sup> الَّذِينَ أَسْلَمُوا، حَتَّى يَرُزِقَ اللَّهُ رَسُولَهُ مَا يَقْضِي عَنِّي. فَقَالَ ﷺ: «إِذَا شِئْتَ اعْتَمَدْتَ».

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا أَتَيْتُ مَنْزِلِي، فَجَعَلْتُ سِنْفِي وَجِرَابِي وَنَعْلِي وَمِحْنِي عِنْدَ رَأْسِي<sup>(٧)</sup>، وَاسْتَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ الْأُفُقَ، فَكَلَّمَا نِمْتُ سَاعَةً اسْتَبْهَتُ، فَإِذَا رَأَيْتُ عَلَيَّ لَيْلًا نِمْتُ، حَتَّى أَسْفَرَ الصُّبْحَ الْأَوَّلَ<sup>(٨)</sup>، أَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يَسْعَى يَدْعُو: يَا بِلَالُ، أَجِبْ رَسُولَ

(١) أَي: أَخَذَكَ عَلَى رَأْسِ الشَّهْرِ فِي مُقَابَلَةِ مَا عَلَيْكَ مِنَ الْمَالِ، وَأَخَذَكَ عَبْدًا فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ الْمَالِ.

(٢) أَي: مِنْ الْهَمِّ.

(٣) أَي: الْعِشَاءَ.

(٤) إِسْمُ فَاعِلٍ مُصَافٍ إِلَى يَأءِ الْمُتَكَلِّمِ. قَالَ فِي «الْقَامُوسِ»: فَضَحَهُ كَمَنْعَهُ: كَشَفَ مَسَاوِيَهُ.

(٥) أَي: أَذْهَبَ وَأَقْرَبَ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَانَ «أَنْ أَنْوَأَ». وَنَاءٌ: نَهَضَ.

(٦) جَمْعُ حَيٍّ، بِمَعْنَى قَبِيلَةٍ.

(٧) الْجِرَابُ: هُوَ الْوِعَاءُ مِنَ الْجِلْدِ، يَكُونُ فِيهِ الْمَتَاعُ، وَالقِرَابُ: قِرَابُ السِّيفِ، وَهُوَ وَعَاءُ كَالجِرَابِ مُسْتَطِيلٌ يَجْعَلُ فِيهِ السِّيفَ بِغَمَدِهِ، وَالْمِجْنُ هُوَ التَّرْسُ الَّذِي يَتَّقَى بِهِ السِّلَاحَ فِي الْحَرْبِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْجُنَّةِ وَهِيَ السِّتْرَةُ وَالْوَقَايَةُ.

(٨) أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إِذَا انْكَشَفَ وَأَضَاءَ، الصُّبْحُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الصُّبْحُ الْكَاذِبُ دُونَ الْفَجْرِ.

الله ﷺ فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُهُ، فَإِذَا أَرْبَعُ رَكَائِبٍ<sup>(١)</sup> مُنَاخَاتٌ<sup>(٢)</sup>، عَلَيْهِنَّ أَهْمَالُهُنَّ، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَشِّرْ، فَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِقَضَائِكَ<sup>(٣)</sup>» فَحَمَدْتُ اللَّهَ، وَقَالَ: «أَلَمْ تَمُرَّ عَلَى الرِّكَائِبِ الْمُنَاخَاتِ الْأَرْبَعِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «إِنَّ لَكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ، كِسْوَةٌ وَطَعَامٌ أَهْدَاهُنَّ إِلَيَّ عَظِيمٌ فَدَكَ، فَأَقْبِضِيهِنَّ، ثُمَّ اقْبِضِي دَيْنَكَ».

قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَحَطَّطْتُ<sup>(٤)</sup> عَنْهُنَّ أَهْمَالَهُنَّ، ثُمَّ عَقَلْتُهُنَّ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى تَأْذِينِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَرَجْتُ لِلْبَيْعِ، فَجَعَلْتُ إِصْبَعِي فِي أُذُنِي، فَنَادَيْتُ: مَنْ كَانَ يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دِينًا فَلْيَحْضُرْ، فَمَا زِلْتُ أَبِيعُ وَأَقْبِضِي، وَأَعْرِضُ فَأَقْبِضِي.

حَتَّى إِذَا فَضَلَ فِي يَدِي أُوقِيَّتَانِ، أَوْ أُوقِيَّةٌ وَنِصْفٌ، أَنْطَلَقْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقَدْ ذَهَبَ عَامَّةُ النَّهَارِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَدُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ مَا قَبْلَكَ؟»<sup>(٥)</sup> فَقُلْتُ: قَدْ قَضَى اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلَ شَيْءٍ؟»<sup>(٦)</sup> قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «انظُرْ<sup>(٧)</sup> أَنْ تُرِيحَنِي مِنْهَا<sup>(٨)</sup>، فَلَسْتُ بِدَاخِلٍ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّى تُرِيحَنِي مِنْهَا». فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَتَمَةَ دَعَانِي،

(١) جَمْعُ رُكُوبَةٍ وَهُوَ مَا يُرَكَبُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ.

(٢) أَي: بَارَكَاتٍ، مَلَازِمَاتٍ لِمَوَاضِعِ بَرُوكِهِنَّ.

(٣) أَي: مَا تَقْضِي بِهِ الدَّيْنَ.

(٤) أَي: أَنْزَلْتُ مَا عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَهْمَالِ.

(٥) أَي: مَا حَالٌ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْمَالِ، هَلْ قُضِيَ الدَّيْنُ أَمْ لَا؟

(٦) أَبْقِيَ شَيْءٌ مِمَّا جَاءَ مِنَ الْأَهْمَالِ.

(٧) أَي: أَسْعَ فِي إِرَاحَتِي مِنْهُ وَأَنْظُرْ فِي أَسْبَابِهِ.

(٨) أَي: تُفْرِغْ قَلْبِي مِنْهُ بِأَنْ تُنْفِقَهُ عَلَى مَصَارِفِهِ.

فَقَالَ: «مَا فَعَلَ مَا قَبْلَكَ؟». قَالَ: قُلْتُ: هُوَ مَعِيَ لَمْ يَأْتِنَا أَحَدٌ، فَبَاتَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَصْبَحَ، فَظَلَّ فِي الْمَسْجِدِ الْيَوْمَ الثَّانِي، حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ، جَاءَ رَاكِبَانِ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهِمَا، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَطْعَمْتُهُمَا، حَتَّى إِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ دَعَانِي، فَقَالَ ﷺ: «مَا فَعَلَ الَّذِي قَبْلَكَ؟» فَقُلْتُ: قَدْ أَرَاكَ اللَّهُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَبَّرَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، شَفَقًا<sup>(١)</sup> أَنْ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ وَعِنْدَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَاءَ أَرْوَاجُهُ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ امْرَأَةً امْرَأَةً، حَتَّى أَتَى مَبِيَّتَهُ، فَهَذَا الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup>

#### ٤٤- خُوَيْدُمُكَ ادْعُ اللَّهَ لَهُ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا، وَأُمِّي، وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي، فَقَالَ: «قُومُوا فَلِأَصْلِي بِكُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ<sup>(٤)</sup>». فَصَلَّى بِنَا - فَقَالَ رَجُلٌ لِثَابِتٍ: أَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا مِنْهُ؟ قَالَ: جَعَلَهُ عَلَى يَمِينِهِ - ثُمَّ دَعَا لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ بِكُلِّ خَيْرٍ مِنَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خُوَيْدُمُكَ ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكَانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لِي بِهِ» أَنْ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ».

قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ، إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُونَ عَلَيَّ نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: خوفًا.

(٢) الْمُخَاطَبُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ الْهُزْرِيُّ الَّذِي سَأَلَ بِأَلَّا عَنْ نَفَقَتِهِ ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٨٧:٢) رقم (٣٠٥٥)، وابن حبان (٢٦١:١٤) رقم (٦٣٥١)، والطبراني في

«الكبير» (٣٦٣:١) رقم (١١١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٠:٦) رقم (١١٢١٧).

(٤) أي في غير وقت فريضة.

(٥) أخرجه مسلم (٤٧٥:١) و(١٩٢٩:٤).

## ٤٥- وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ

عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءُ عُرَاءُ مُجْتَابِي<sup>(١)</sup> النَّمَارِ<sup>(٢)</sup> أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ<sup>(٣)</sup> وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ<sup>(٤)</sup>؛ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِالْأَلَا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ؛ فَقَالَ: «﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾<sup>(٥)</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ» [الحشر: ١٨]، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كَفَّهُ تَعَجُّزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ: ثُمَّ تَبَاعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَهْتَلُّ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ<sup>(٦)</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا

(١) المجتباب: اللباس.

(٢) النمار: جمع نمرة وهي كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه الأعراب.

(٣) تمعر: تغير، والأصل في التمعر قلة النظارة وعدم إشراق اللون.

(٤) الفاقة: الحاجة والفقر.

(٥) يقول الإمام النووي: (مذهبة) صبغوه بوجهين: أحدهما، وهو المشهور وبه جزم القاضي والجمهور: (مذهبة). والثاني: (مذهنة). وسرحه الحميدي في كتابه «غريب الجمع بين الصحيحين» فقال هو وغيره ممن فسّر هذه الرواية إن صحّت: المذهن: الإناء الذي يذهن فيه، وهو أيضاً اسم للثقرة في الجبل التي يستجمع فيها ماء المطر؛ فسبّه صفاء وجهه الكريم بصفاء هذا الماء، وبصفاء الدهن والمذهن. وقال القاضي عياض في «المسارق» وغيره من الأئمة: هذا تصحيف، وهو بالذال المعجمة والباء الموحدة، وهو المعروف في الروايات، وعلى هذا ذكر القاضي وجهين في تفسيره أحدهما: معناه: فضة مذهبة، فهو أبلغ في حسن الوجه

بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْزَائِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا  
وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

#### ٤٦- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا  
يَنْفُتِحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ<sup>(٢)</sup> لَيْلَتَهُمْ  
أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ عَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا؛ فَقَالَ: «أَيْنَ  
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَارْشُلُوا إِلَيْهِ» فَأَتِيَ بِهِ فَبَصَقَ  
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ.

فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَأَتْلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ<sup>(٣)</sup> حَتَّى  
تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنَّ  
يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>(٤)</sup>.

---

وَإِسْرَاقِهِ، وَالثَّانِي: شَبَّهَهُ فِي حُسْنِهِ وَنُورِهِ بِالْمُذْهَبَةِ مِنَ الْجُلُودِ، وَجَمَعَهَا مَذَاهِبَ، وَهِيَ شَيْءٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تَصْنَعُهُ  
مِنْ جُلُودٍ، وَتَجَعَلُ فِيهَا خُطُوطًا مُذْهَبَةً يَرَى بَعْضُهَا أَثَرَ الْبَعْضِ. (شرح النووي على مسلم) (٤٦١: ٣).

(١) أخرجه مسلم (٧٠٤: ٢) رقم (١٠١٧)، والنسائي (٧٥: ٥) رقم (٢٥٥٤).

(٢) أي: يَحُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ فِي ذَلِكَ.

(٣) امض لوجهك مترفقا متببئا.

(٤) قال الإمام النووي: هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْرُ، وَهِيَ أَنْفُسُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، يَضْرِبُونَ بِهَا السَّمَلَ فِي نَفَاسَةِ الشَّيْءِ،  
وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ تَشْبِيهَ أُمُورِ الْأَجْرَةِ بِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ لِلتَّقْرِيبِ مِنَ  
الْأَفْهَامِ، وَإِلَّا فَدَرَّةٌ مِنَ الْأَجْرَةِ الْبَاقِيَةِ خَيْرٌ مِنَ الْأَرْضِ بِأَسْرَهَا، وَأَمَّا هَا مَعَهَا لَوْ تَصَوَّرَتْ. (شرح النووي على  
مسلم) (١٧٨: ١٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٩٨)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأحمد (٣٣٣: ٥).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا؛ فَقِيلَ: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا» فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا<sup>(١)</sup> فِي هَوَاتٍ<sup>(٢)</sup> رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أَنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ حَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ أَهَدَتْهَا إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْهَا الذَّرَاعَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ الرَّهْطُ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ»<sup>(٥)</sup>.

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاها، فَقَالَ لَهَا: «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟» فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَمَنْ أَخْبَرَكَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَخْبَرْتَنِي هَذِهِ فِي يَدَيَّ» لِلذَّرَاعِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَاذَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرْحَنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يُعَاقِبْهَا<sup>(٦)</sup>، وَتُوْفِّيَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ.

(١) أعرفها: أي العلامة، كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

(٢) هوات: جمع لهاة، وهي ما يبدو من الفم عند التبسم، وقيل: هي اللحمة التي بأعلى الخنجره من أقصى الفم.

(٣) أخرجه البخاري (٢: ٩٢٣)، ومسلم (٤: ١٧٢١)، رقم (٢١٩٠).

(٤) أي: مشوية.

(٥) لا تأكلوا منها.

(٦) قال شمس الحق العظيم آبادي: أي لم يؤاخذ النبي صلى الله عليه وسلم اليهودية بهذا الفعل. قال في «مرقاة الصعود»: وفي الحديث الذي يليه: فأمر بقتلها فقتلت.

قال الواقدي: الثابت عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها، وأمر بلحم الشاة فأحرق.

وقال البيهقي في «سننه»: اختلفت الروايات في قتلها، وما روي عن أنس أصح، قال: ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم في الإبتداء لم يعاقبها حين لم يمت أحد من الصحابة ممن أكل، فلم مات بشر بن البراء أمر بقتلها، فروى كل واحد من الرواة ما شاهد. إنتهى.

وَاحْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى كَاهِلِهِ<sup>(١)</sup>، مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ، حَجَمَهُ أَبُو هِنْدٍ، مَوْلَى بَنِي بَيَاضَةَ، بِالْقَرْنِ وَالشَّفْرَةِ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ مِنْ بَنِي ثَمَامَةَ، وَهُمْ حَيٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ<sup>(٣)</sup>.  
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ. فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْرِ شَاءَةٍ مَصْلِيَّةً سَمَّتَهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ؛ فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ» فَمَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ.  
 فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟» قَالَتْ: «إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا لَمْ يُضْرَكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتُ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ. فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَتَلَتْ.  
 ثُمَّ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ بِخَيْرٍ، فَهَذَا أَوْ أَنْ قَطَعْتُ أَبْهَرِي<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَبِيَّةَ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ أُتِيَ بِشَاءَةٍ مَسْمُومَةٍ مَصْلِيَّةٍ، أَهْدَتْهَا لَهُ امْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ، فَأَكَلَ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ وَبَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ؛ فَمَرَضَا مَرَضًا شَدِيدًا عَنْهَا.

---

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ وَالْأَقْوَابِلِ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهَا أَوْ لَا حِينَ إِطْلَاعِ عَلَى سُمِّهَا، وَقِيلَ لَهُ: أَقْتُلْهَا. فَقَالَ: «لَا»، فَلَمَّا مَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْ ذَلِكَ سَلَمَهَا لِأَوْلِيَائِهِ فَقَتَلُوهَا قِصَاصًا، فَيَصِحُّ قَوْلُهُمْ: لَمْ يَقْتُلْهَا، أَيْ: فِي الْحَالِ، وَيَصِحُّ قَوْلُهُمْ: قَتَلَهَا. أَيْ: بَعْدَ ذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. انْتَهَى. «عون المعبود» (١٧٠٠:٩).

(١) الكَاهِلُ: مُقَدَّمُ أَعْلَى الظَّهْرِ، مِمَّا يَلِي العُنُقَ.

(٢) هُوَ قَرْنٌ تَوْرٌ جُعِلَ كَالْمِحْجَمَةِ، وَالشَّفْرَةُ: السَّكِّينُ العَرِيضَةُ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٥١٠)، وَالدَّارِمِيُّ (٦٨)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «السنن الكبرى» (١٥٧٨٧).

(٤) الْأَبْهَرُ: عَرْقٌ مُسْتَبْطِنُ الصُّلْبِ، وَالقَلْبُ مُنْصَلٌّ بِهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ حَيَاةً.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٨٢:٢) رَقْمَ (٤٥١٢).

ثُمَّ إِنَّ بَشْرًا ثَوْفِيًّا، فَلَمَّا ثَوَّفِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَأْتِيَهَا بِهَا؛ فَقَالَ: «وَيْحُكَ»<sup>(١)</sup>،  
مَاذَا أَطْعَمْتَنَا؟».

قَالَتْ: أَطْعَمْتُكَ السُّمَّ، عَرَفْتُ إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا أَنْ ذَلِكَ لَا يُضْرُّكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَبْلُغُ  
فِيكَ أَمْرَهُ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُرِيحَ النَّاسَ مِنْكَ. فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَصَلَبَتْ<sup>(٢)</sup>.

#### ٤٨- حَدِيثُ إِسْلَامَ سَلْمَانَ ﷺ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا  
مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا: جِيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ<sup>(٣)</sup> قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ  
إِلَيْهِ، لَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا نُحْسُ الْجَارِيَّةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ  
حَتَّى كُنْتُ قَطْنَ النَّارِ<sup>(٤)</sup> الَّذِي يُوقِدُهَا، لَا يَتْرُكُهَا تَحْجُبُو<sup>(٥)</sup> سَاعَةً.

قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي صَيْعَةٌ<sup>(٦)</sup> عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشَغَلَنِي فِي بُنْيَانِ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ  
شَغَلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ صَيْعَتِي، فَاذْهَبْ إِلَيْهَا، فَاطْلِعْهَا - وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ -  
ثُمَّ قَالَ لِي: وَلَا تَحْتَبِسْ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَنِّي كُنْتَ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ صَيْعَتِي، وَشَغَلْتَنِي عَنْ  
كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي.

(١) وَيْحٌ: لَمَنْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ مَعَ تَرْفُوقٍ وَتَرَحُّمٍ فِي حَالِ الشَّفَقَةِ، وَوَيْلٌ: لَمَنْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ مَعَ غَضَبٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٩: ٢٢١)، وَالدَّارِقُطْنِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٣: ١٢٠) رَقْمَ (١٣٠). وَالبَيْهَقِيُّ مِنْ  
طَرِيقِ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي «السَّنَنِ الْكَبْرَى» (٨: ٤٦) رَقْمَ (١٦٤٣٤).

(٣) هُوَ رَعِيمٌ فَلَاحِي الْعَجَمِ، وَقِيلَ: رَعِيمُ الْقَرْيَةِ وَرَأْسُهَا.

(٤) أَي: خَازِنَتِهَا وَخَادِمَتِهَا: أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ لَا زِمًا لَهَا وَلَا يُفَارِقُهَا مِنْ قَطْنٍ فِي الْمَكَانِ إِذَا لَزِمَهُ.

(٥) خَبَتِ النَّارُ: إِذَا خَدَمَتْ وَسَكَنَتْ وَطَفَنَتْ.

(٦) الصَّيْعَةُ: الْأَرْضُ الْمُغْلَّةُ.

قَالَ: فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ الَّتِي بَعَثَنِي إِلَيْهَا، فَمَرَرْتُ بِكَنَيْسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ حُبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا سَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا بَرِحْتُهُمْ<sup>(١)</sup> حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي، فَلَمْ آتِهَا.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصِلُ هَذَا الدِّينَ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ. فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي، وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، فَلَمَّا حِثُّهُ؛ قَالَ: أَيُّ بَنِيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَوْ لَمْ أَكُنْ عَهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهَدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِأَنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنَيْسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. قَالَ: أَيُّ بَنِيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَلَّا وَاللهِ، إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا.

قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ. قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ<sup>(٢)</sup> مِنَ الشَّامِ فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ. قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ مُجَارٌّ مِنَ النَّصَارَى، فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِنُونِي<sup>(٣)</sup> بِهِمْ.

قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبِرُونِي بِهِمْ، فَالْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ عِلْمًا؟

(١) أي: ما زلت عندهم، ولم أغادرهم.

(٢) أصحاب إبل مسافرين، عشرة فما فوقها.

(٣) أعلموني.

قَالُوا: الْأَسْقَفُ<sup>(١)</sup> فِي الْكَنِيْسَةِ. قَالَ فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، وَأَخْدَمَكَ فِي كَنِيْسَتِكَ، فَاتَّعَلَّمْتُ مِنْكَ، وَأَصَلِّيْتُ مَعَكَ، قَالَ: أُدْخِلْ. فَدَخَلْتُ مَعَهُ.

قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ سَوْءٌ؛ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغَبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ: فَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا؛ لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى؛ لِيَدْفِنُوهُ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلًا سَوْءٌ، يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغَبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا.

قَالَ: فَقَالُوا لِي: وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُمْ: أَنَا أَذَلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ. قَالُوا: فَذَلَّلْنَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، فَاسْتَخْرَجُوا سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نُدْفِنُهُ أَبَدًا. قَالَ: فَصَلَبُوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، وَجَاوُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ مَكَانَهُ.

قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْحَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ<sup>(٤)</sup> وَأَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَذَابَ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا مِنْهُ.

قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ. قَالَ: فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تُأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيُّ بَنِيٍّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ، وَبَدَلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلَانُ، وَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقُّ بِهِ.

(١) الأسقف: رئيس من رؤساء النصارى، فوق القسيس ودون المطران.

(٢) القلة: الحُبُّ، الجرَّة أو الضخمة منها. والجمع: قلال.

(٣) الورق: الفضة.

(٤) أي: لا أظن أحداً غير المسلمين أفضل منه.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَعُيِّبَ لِحَقَّتْ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا  
أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ  
عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ.

فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللَّحُوقِ بِكَ،  
وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ  
رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بِنَصِييْنٍ<sup>(١)</sup> وَهُوَ فُلَانُ، فَالْحَقْ بِهِ.

فَلَمَّا مَاتَ وَعُيِّبَ لِحَقَّتْ بِصَاحِبِ نَصِييْنِ؛ فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبَايَ؛  
فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتَهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ. فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا  
لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ  
أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ بَقِي أَحَدٌ  
عَلَى أَمْرِنَا، أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بَعْمُورِيَّةً<sup>(٢)</sup> مِنْ أَرْضِ الرُّومِ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ،  
فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَاتِهِ، فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا.

فَلَمَّا مَاتَ وَعُيِّبَ لِحَقَّتْ بِصَاحِبِ عَمُورِيَّةَ، فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي،  
فَأَقَمْتُ عِنْدَ خَيْرِ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ. قَالَ: وَاکْتَسَبْتُ<sup>(٣)</sup> حَتَّى كَانَتْ لِي بَقَرَاتٌ  
وَعُغْنِيْمَةٌ.

---

(١) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها  
أربعون ألف بستان. «معجم البلدان» (٥: ٢٨٨).

(٢) عمورية - بفتح أوله وتشديد ثانيه - بلد في بلاد الروم. وهي التي فتحها المعتصم، وفتح أنقرة بسبب  
أسر العلوية، وكانت من أعظم فتوح الإسلام.

(٣) أي: عمل وكسب مالا اشترى به ما ذكره من البقر وغيره.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا حَصَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فإِلَى مَنْ تُوصِي بِي؟ وَبِمَ تَأْمُرُنِي؟  
 قَالَ: أَيُّ بَنِيٍّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَمْرُكَ بِهِ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانَ نَبِيٍِّّ، وَهُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخْرِجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرُهُ إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى، يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَيَبْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَعُيِّبَ، وَمَكَثْتُ بِعَمُورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثُ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَارُ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ: اجْمَلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأَعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَعُنَيْمَتِي. قَالُوا: نَعَمْ. فَاعْطَيْتُهُمْهَا، وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا وَادِي الْقُرَى<sup>(١)</sup> ظَلَمُونِي، فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقَّ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا، فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا.

وَبِعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرَّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذِقٍ<sup>(٢)</sup> لِسَيِّدِي أَعْمَلُ لَهُ فِي بَعْضِ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ تَحْتِي، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: يَا فُلَانُ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ<sup>(٣)</sup>، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ<sup>(٤)</sup> عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ.

(١) وَادِي الْقُرَى: وَادٍ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ كَثِيرِ الْقُرَى.

(٢) الْعَذِقُ بِالْفَتْحِ: النَّخْلَةُ.

(٣) بَنِي قَيْلَةَ: وَهُوَ بَفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْيَاءِ، وَهِيَ الْجِدَّةُ الْكُبْرَى لِلْأَنْصَارِ، وَالِدَةُ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَهِيَ قَيْلَةُ بِنْتُ كَاهِلِ بْنِ عَدْرَةَ.

(٤) مَوْضِعٌ بِمِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ مِنْ الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا سَمِعَتْهَا أَحَدَيِ الْفَرَحِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا يَقُولُ؟ فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَطَمَنِي لَطْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَفْتِيَهُ عَمَّا قَالَ.

وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَحَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءٍ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ دَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي صَدَقَةٌ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَأَمْسَكَ هُوَ فَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انصرفتُ عنه، فَجَمَعْتُ شَيْئًا، فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتِكَ بِهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا.

وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ ثِنْتَانِ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبَيْعِ الْغَرْقَدِ<sup>(١)</sup> قَدْ اتَّبَعَ جِنَارَةَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ جَالِسٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدْرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ: هَلْ أَرَى الْحَاتِمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَدْرْتُ عَرَفَ أَنِّي اسْتَبْتُ فِي شَيْءٍ وَوَصَفَ لِي، فَأَلْتَمَسْتُ رِذَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْحَاتِمِ فَعَرَفْتُهُ، فَأَكْبَيْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَوَّلْ» فَتَحَوَّلْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَفَصَّصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ.

ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا، وَأُحَدِّثُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ»، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أَحْبَبَهَا لَهُ، وَبَارِعِينَ أُوقِيَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَعِينُوا أَحَاكِمُمْ». فَأَعَانُونِي فِي النَّخْلِ: الرَّجُلُ بِلَثَاثَيْنِ، وَالرَّجُلُ

(١) وَهُوَ مَوْضِعٌ بِيْظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، فِيهِ قُبُورُ أَهْلِهَا، سُمِّيَ بِبَيْعِ الْغَرْقَدِ؛ لِغَرْقَدٍ كَانَ فِيهِ، فَذَهَبَ وَبَقِيَ اسْمُهُ.

بِعَشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، وَالرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبْ يَا سَلْمَانَ، فَفَقِّرْ<sup>(١)</sup> لَهَا، فَإِذَا فَرَعْتَ فَادْنِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَصْعَمًا بِيَدِي»، فَفَقَّرْتُ لَهَا وَأَعَانِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ.

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِيَ إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدْيَ<sup>(٢)</sup> وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ حَتَّى فَرَعْنَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَ مِنْهُ وَدْيَةٌ وَاحِدَةٌ، فَادْنَيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ، مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟» فَدَعَيْتُ لَهُ، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ؛ فَأَدِّبْهَا مَا عَلَيْكَ» فَقُلْتُ: «وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟»

فَقَالَ: «خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُودِّبُهَا عَنْكَ» فَوَزَنْتُ لَهُ مِنْهَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً، وَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقَ سَلْمَانَ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحُنْدُقَ، ثُمَّ لَمْ يَفْتَهُ مَشْهُدًا<sup>(٣)</sup>.

#### ٤٩- عَوْرَتُ بَنِي الْحَارِثِ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ - يُقَالُ لَهُ: عَوْرَتٌ - قَالَ لِقَوْمِهِ مِنْ غَطَفَانَ وَمُحَارِبٍ: «أَلَا أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمَّدًا؟ قَالُوا: بَلَى، وَكَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ: أَفْتِكَ بِهِ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْ إِلَى سَيْفِكَ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهُ ثُمَّ جَعَلَ يَهْرُهُ وَيَهُمُّ فَيَكْتِبُهُ اللَّهُ،

(١) أي: اخبر لها موضعاً تخرس فيه، واسم تلك الحفرة: فُقْرَةٌ وَفَقِيرٌ.

(٢) الْوَدْيُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ: صِغَارُ النَّخْلِ، الْوَاحِدَةُ: وَدْيَةٌ.

(٣) أخرجه أحمد (٤٤١:٥) رقم (٢٣٧٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٢:٦) رقم (٦٠٦٥)، والبخاري (٢١٥:١).

(٤) «مسند» (٤٦٢:٦) رقم (٢٥٠٠)، «سيرة ابن هشام» (٢١٥:١).

(٤) الفتك: هُوَ أَنْ يَأْتِيَ صَاحِبَهُ وَهُوَ غَافِلٌ فَيَشُدُّ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَخَافُنِي؟ قَالَ: «لَا، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ؟» قَالَ: أَمَا تَخَافُنِي وَفِي يَدِي السَّيْفُ؟  
قَالَ: «لَا، يَمْنَعُنِي (الله) مِنْكَ». ثُمَّ عَمَدَ إِلَى سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا  
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَوْا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].<sup>(١)</sup>

وزاد الإمام أحمد في «مسنده»: «فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ؛ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ:  
«مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ أَخِيذٍ. قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي  
أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ. فَحَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ؛  
قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ<sup>(٢)</sup>.

#### ٥٠- الطَّيْرُ يَفْرُقُ لِفَقْدِ فِرَاحِهِ

عَنْ عَمِّ أَبِي مَنْظُورٍ، عَنْ عَامِرِ الرَّامِ أَخِي الْخُضْرِ قَالَ: «إِنِّي لَبَيْلَادِنَا إِذْ رُفِعَتْ لَنَا رَايَاتُ  
وَالْوَيْةِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا لِيَوَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَيْتُهُ وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةٍ قَدْ بُسِطَ لَهُ  
كِسَاءٌ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
الْأَسْقَامَ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَصَابَهُ السَّقَمُ ثُمَّ أَعْفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ كَانَ كَفَرَارَةً لِمَا مَضَى مِنْ  
ذُنُوبِهِ، وَمَوْعِظَةً لَهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ. وَإِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا مَرِضَ ثُمَّ أَعْفِيَ كَانَ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ  
أَرْسَلُوهُ، فَلَمْ يَدْرِ لِمَ عَقَلُوهُ وَلَمْ يَدْرِ لِمَ أَرْسَلُوهُ». فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَوْلَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا  
الْأَسْقَامُ؟ وَاللَّهِ مَا مَرِضْتُ قَطُّ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ عَنَّا فَلَسْتَ مِنَّا».

(١) «سيرة ابن هشام» (٢: ٢٠٥).

(٢) «مسند أحمد» (٣: ٣٦٤) رقم (١٤٩٧١) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات

رجال الشيخين غير سليمان بن قيس البشكري فقد روى له الترمذي وابن ماجه، وهو ثقة.

فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءٌ، وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ قَدِ التَّفَّ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ  
 اللَّهِ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَمَرَرْتُ بِغَيْصَةِ شَجَرٍ<sup>(١)</sup> فَسَمِعْتُ فِيهَا أَصْوَاتَ فِرَاحٍ طَائِرٍ  
 فَأَخَذْتُهُنَّ فَوَضَعْتُهُنَّ فِي كِسَائِي، فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَيَّ رَأْسِي فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ  
 فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ مَعَهُنَّ؛ فَلَفَفْتُهُنَّ بِكِسَائِي، فَهَنَّ أَوْلَاءٌ مَعِي.

قَالَ: «ضَعْنَنَّ عَنْكَ» فَوَضَعْتُهُنَّ، وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
 لِأَصْحَابِهِ: «أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الْأَفْرَاحِ فِرَاحَهَا؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَوَالَّذِي  
 بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمَّ الْأَفْرَاحِ بِفِرَاحِهَا، ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ  
 أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ». فَارْجِعْ بِهِنَّ<sup>(٢)</sup>.

#### ٥١- خَبْرُ وِلَادَةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي  
 إِبْرَاهِيمَ». ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفِ امْرَأَةٍ قَيْنٍ<sup>(٣)</sup> - يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ<sup>(٤)</sup> - فَاَنْطَلَقَ يَأْتِيهِ، وَاتَّبَعْتُهُ  
 فَانْتَهَيْتُنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكَبِيرِهِ قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا، فَاسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ  
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ، أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَمْسَكَ، فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ  
 بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ.

(١) غَيْصَةُ وَهِيَ الشَّجَرُ الْمَلْتَفُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٩٩:٢) رَقْمَ (٣٠٨٩)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «شُعَبِ الْإِبْرَاهِيمِ» (٤٢١:٥) رَقْمَ (٧١٣٠).

(٣) الْقَيْنُ: الْحَدَّادُ.

(٤) هُوَ الْبَرَاءُ بْنُ أَوْسٍ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سَيْفِ مَرْضُوعَةِ إِبْرَاهِيمَ.

فَقَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ «تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُورُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرَضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي السَّمْدِيَّةِ<sup>(٣)</sup>، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ، وَإِنَّهُ لَيَدَّخِنُ، وَكَانَ ظُهُرُهُ<sup>(٤)</sup> قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ. قَالَ: فَلَمَّا تُوفِّيَ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي النَّدْيِ<sup>(٥)</sup>، وَإِنَّ لَهُ لَظُئْرَيْنِ تُكْمَلَانِ رِضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٦)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ - وَكَانَ ظُئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ<sup>(٧)</sup>؛ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَدْرِفَانِ<sup>(٨)</sup>.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

(١) وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ: أَيُّ جُودِهَا، وَمَعْنَاهُ: وَهُوَ فِي النَّزَعِ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣١٥)، وَأَحْمَدُ (٣: ١٩٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٢١٢٦).

(٣) الْقَرْيَةُ الَّتِي عِنْدَ السَّمْدِيَّةِ.

(٤) الظُّئْرُ: مِنْ ظَأَّرَتِ النَّاقَةُ، إِذَا عَطَفَتْ عَلَى غَيْرِ وَلَدِهَا، وَهِيَ الْمُرْضِعَةُ وَكَدَّ غَيْرُهَا، وَزَوَّجَهَا ظُئْرًا لِذَلِكَ الرَّضِيعِ. فَلَفْظَةُ (الظُّئْرُ) تَقَعُ عَلَى الْأُنْثَى وَالذَّكَرِ.

(٥) مَعْنَاهُ: مَاتَ وَهُوَ فِي سِنِّ رِضَاعِ النَّدْيِ، أَوْ فِي حَالِ تَعَدِّيهِ بِابْنِ النَّدْيِ.

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤: ١٨٠٨)، وَرَقْمٌ (٢٣١٦)، وَأَبُو يَعْلَى (٧: ٢٠٥) رَقْمٌ (٤١٩٥).

(٧) أَيُّ: يَخْرُجُهَا وَيُدْفَعُهَا كَمَا يُدْفَعُ الْإِنْسَانُ مَا لَهُ يَجُودُ بِهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ فِي النَّزَعِ وَسِيَاقِ الْمَوْتِ.

(٨) يَجْرِي دَمْعُهُمَا.

(٩) وَأَنْتَ أَيُّ: تَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ.

فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِأُخْرَى<sup>(١)</sup>؛ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَجْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا»<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»<sup>(٣)</sup>.

## ٥٢- أَبَى مَنْ حَوْلَهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: زَارَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ<sup>(٤)</sup>، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتَهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

## ٥٣- بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ<sup>(٧)</sup>، فَدَخَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا؛ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَجَلَسْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ؛ فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟».

(١) بأخرى: أتبع الدمعة بأخرى، أو بالكلمة التي قالها بأخرى.

(٢) قال القاضي عياض: ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: بنصب ربنا وضم ياء يرضي، ورويناه أيضاً بفتحها ورفع ربنا على الفاعل. «مشارك الأنوار على صحاح الآثار» (٢: ٣٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٩: ١) رقم (١٢٤١).

(٤) أي: بالأبواء بين مكة والمدينة، وذلك كان عام الفتح. قال القاضي عياض: سبب زيارته ﷺ قبرها أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها. ويؤيده قوله ﷺ في آخر الحديث: «فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت». «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٥: ٥١٢).

(٥) (تَذَكُّرُ الْمَوْتِ) يَعْنِي: وَذَكَرَ الْمَوْتَ يُرْهِدُ فِي الدُّنْيَا وَيُرْعَبُ فِي الْعَقْبَى. «مرقاة المفاتيح» (٤: ١٢٥٦).

(٦) أخرجه مسلم (٦٧١: ٢) رقم (٩٧٦).

(٧) أي: مكان للصدقة.

قُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ. قَالَ: «مَا سَأَلْتُكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَجَدْتُ سَجْدَةً خَشِيْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ قَدْ قَبِضَ نَفْسَكَ فِيهَا. فَقَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي؛ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ<sup>(١)</sup> صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَسَجَدْتُ لِلَّهِ ﷻ شُكْرًا»<sup>(٢)</sup>.

#### ٥٤- أَعْجَبَ مَا رَأَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: حَدَّثَنِي بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: «كُلُّ أَمْرِهِ كَانَ عَجَبًا، لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَتَأْذِنِينَ فِي عِبَادَةِ رَبِّي؟» فَقُلْتُ: إِنِّي لِأُحِبُّ فُرْبَكَ وَهَوَاكَ.

قَالَتْ: «فَقَامَ إِلَى قَرْيَةٍ<sup>(٣)</sup> فِي الْبَيْتِ، فَلَمْ يَكْثُرْ صَبَّ الْمَاءِ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى حَتَّى رَأَيْتُ دُمُوعَهُ بَلَّتْ حُجْرَتَهُ<sup>(٤)</sup>»، ثُمَّ أَتَكَأَ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى رَأَيْتُ دُمُوعَهُ قَدْ بَلَّتِ الْأَرْضَ.

فَجَاءَهُ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ<sup>(٥)</sup> بِالصَّلَاةِ فَرَأَهُ يَبْكِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَبْكِي وَقَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟». ثُمَّ قَالَ: «وَمَا لِي لَا أَبْكِي، وَقَدْ

(١) أي: طلب لك من الله دوام التشريف ومزيد التعظيم.

(٢) أخرجه أحمد (١: ١٩١) رقم (١٦٦٤)، وأبو يعلى (٢: ١٧٣) رقم (٨٦٩)، والحاكم (١: ٣٤٤) رقم (٨١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢: ٣٧٠) رقم (٣٧٥٢).

(٣) القرية: وعاء من جلد يوضع فيه الماء.

(٤) الحجزة: معقد الإزار والسراويل.

(٥) يخبره.

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾  
[آل عمران: ١٩٠]، الآياتِ. ثُمَّ قَالَ: «وَيْلٌ<sup>(١)</sup> لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأْ عَلَيَّ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَمَعْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ<sup>(٣)</sup>.

### ٥٥- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُسَهِّرُهُ تَمْرَةٌ

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَحْتَ جَنْبِهِ تَمْرَةً مِنَ اللَّيْلِ فَأَكَلَهَا، فَلَمْ يَنْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ؛ فَقَالَ بَعْضُ نِسَائِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرِقْتَ<sup>(٤)</sup> الْبَارِحَةَ. قَالَ: «إِنِّي وَجَدْتُ تَحْتَ جَنْبِي تَمْرَةً فَأَكَلْتُهَا، وَكَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ؛ فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) ويل: كلمة عذاب، وقيل: وادٍ في جهنم.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٨٦:٢) رقم (٦٢٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٣٦:١٠) رقم (٤٠٠٩)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٦٩:٢) رقم (٥١٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٢٥:٤) رقم (٤٧٦٣) واللفظ له، ومسلم (٥٥١:١) رقم (٨٠٠).

(٤) الأرق: هو مفارقة الرجل النوم من سواسٍ أو حزينٍ أو غير ذلك.

(٥) أخرجه أحمد (١٩٣:٢) رقم (٦٨٢٠)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

## ٥٦- النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ<sup>(١)</sup>

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى عَائِشَةَ، وَهِيَ بَادِئَةُ الْهَيْئَةِ<sup>(٢)</sup>، فَسَأَلَتْهَا: مَا سَأَأُكَ؟

فَقَالَتْ: زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَصُومُ النَّهَارَ. فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ لَهُ؛ فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ؛ فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ<sup>(٣)</sup>»، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَيْنَهَا سَيِّئَةَ الْهَيْئَةِ، فَقُلْنَ: مَا لَكَ، مَا فِي قُرَيْشٍ رَجُلٌ أَعْنَى مِنْ بَعْلِكَ؟ قَالَتْ: مَا لَنَا مِنْهُ شَيْءٌ، أَمَا نَهَارُهُ فَصَائِمٌ، وَأَمَا لَيْلُهُ فَنَائِمٌ.

قَالَ: فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرْنَ ذَلِكَ لَهُ، فَلَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَقَالَ: «يَا عُثْمَانُ، أَمَا لَكَ فِي أُسْوَةٍ؟» قَالَ: وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: «أَمَا أَنْتَ فَتَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، صَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ»<sup>(٥)</sup>. قَالَ: فَاتَّهَمُ الْمَرْأَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَطْرَةَ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ، فَقُلْنَ هَا: مَهْ<sup>(٦)</sup>؟ قَالَتْ: أَصَابَنَا مَا أَصَابَ النَّاسَ<sup>(٧)</sup>.

(١) الراهبانية: التخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها.

(٢) ساءت حالها، ورثت هيئتها.

(٣) اقتداء بي.

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٦:٦) رقم (٢٥٩٣٥)، وابن حبان (١٨٥:١) رقم (٩)، والطبراني في «الكبير»

(٥) رقم (٣٨:٩). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٦) استفهام، ما هذا الذي أنت فيه.

(٧) أخرجه ابن حبان (١٩:٢) رقم (٣١٦)، وأبو يعلى (١٧٤:١٣) رقم (٧٢٤٢).

## ٥٧- تَخَلَّى النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الدُّنْيَا

قَالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ (١) الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ (٢)، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ (٣)، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ» (٤)، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلَتْهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي (٥)، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلَتْهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ (٦).

- (١) كَذَا لِلْأَكْثَرِ بِحَذْفِ حَرْفِ الْجُرْمِ مِنَ الْقَسَمِ.
- (٢) (لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي) أَي: أُلْصِقْتُ بَطْنِي بِالْأَرْضِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَفِيدُ بِذَلِكَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ شَدِّ الْحَجَرِ عَلَى بَطْنِهِ، أَوْ هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ سُقُوطِهِ إِلَى الْأَرْضِ مَعْشِيًا عَلَيْهِ. «فتح الباري» (١١: ٢٨٤).
- (٣) (وَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ) قَالَ الْعُلَمَاءُ فَائِدَةٌ شَدُّ الْحَجَرِ الْمُسَاعَدَةُ عَلَى الْإِعْتِدَالِ وَالْإِنْتِصَابِ، أَوْ الْمَنَعُ مِنْ كَثْرَةِ التَّحَلُّلِ مِنَ الْغَدَاءِ الَّذِي فِي الْبَطْنِ؛ لِكُونَ الْحَجَرَ بِقَدْرِ الْبَطْنِ فَيَكُونُ الصَّغْفَ أَقْلًا، أَوْ لِتَقْلِيلِ حَرَارَةِ الْجُوعِ بِبُرْدِ الْحَجَرِ، أَوْ لِأَنَّ فِيهِ الْإِشَارَةَ إِلَى كَسْرِ النَّفْسِ.
- (٤) (وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ) الصَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ كَانَ طَرِيقَ مَنَازِلِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ مُتَّحِدَةً. «فتح الباري» (١١: ٢٨٥).
- (٥) فِيهِ أَنْ كَتَمَانَ الْحَاجَةَ أُحْرَى بِإِظْهَارِهَا وَأَشْبَهَ بِأَخْلَاقِ الصَّابِرِينَ، وَإِنْ كَانَ جَانِزًا لَهُ الْإِخْبَارُ بِبَاطِنِ أَمْرِهِ وَحَاجَتِهِ لِمَنْ يَرْجُوهُ لِكَشْفِ فَاقَتِهِ. «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠: ١٧٦).
- (٦) (وَلَعَلَّ الْعُذْرَ لِكُلِّ مَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ حَمَلَ سُؤَالَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى ظَاهِرِهِ أَوْ فَهَمًا مَا أَرَادَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمَا إِذْ ذَاكَ مَا يُطْعِمَانِيهِ. «فتح الباري» (١١: ٢٨٥).

ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي الْقَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِهِ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرٍ<sup>(٢)</sup>» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبْنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ.

قَالَ: «أَبَا هُرَيْرٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي». قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ<sup>(٣)</sup> أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا<sup>(٤)</sup>، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا

(١) اسْتَدَلَّ أَبُو هُرَيْرَةَ بِتَبَسُّمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنَّهُ عَرَفَ مَا بِهِ؛ لِأَنَّ التَّبَسُّمَ تَارَةً يَكُونُ لِمَا يُعْجِبُ وَتَارَةً يَكُونُ لِإِيْنَسٍ مَنْ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْحَالُ مُعْجِبَةً فَفَقَوِيَ الْحُمْلُ عَلَى الثَّانِي. كَأَنَّهُ عَرَفَ مِنْ حَالِ وَجْهِهِ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ اِحْتِيَاجِهِ إِلَى مَا يَسُدُّ رَمَقَهُ.

قال ابن بطال: وهذا الحديث علمٌ عظيمٌ من أعلام النبوة، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرف ما في نفس أبي هريرة، ولم يعلم ذلك أبو بكر ولا عمر. «شرح صحيح البخاري» (١٠: ١٧٧).

(٢) قوله: (هُرَيْرٌ) فَهُوَ بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَهُوَ مِنْ رَدِّ الْإِسْمِ الْمُؤَنَّثِ إِلَى الْمَذْكَرِ، وَالْمُصَغَّرِ إِلَى الْمَكْبَرِ، فَإِنَّ كُنْيَتَهُ فِي الْأَصْلِ أَبُو هُرَيْرَةَ تَصْغِيرَ هُرَيْرَةٍ مُؤَنَّثًا، وَأَبُو هُرَيْرٍ مُذْكَرٌ مُكْبَرٌ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يُجُوزُ فِيهِ تَخْفِيفُ الرَّاءِ مُطْلَقًا فَعَلَى هَذَا يُسَكَّنُ. «فتح الباري» (١١: ٢٨٥).

(٣) أَهْلُ الصُّفَّةِ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَأْوُونَ إِلَى مَوْضِعٍ مُظَلَّلٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَفِي «الْقَامُوسِ»: أَهْلُ الصُّفَّةِ كَانُوا أَضْيَافَ الْإِسْلَامِ يَبْتَئُونَ فِي صُفَّةِ مَسْجِدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَكَانَتْ هِيَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، مُعَدَّةٌ لِفُقَرَاءِ أَصْحَابِهِ الْغَيْرِ الْمُتَأَهِّلِينَ، وَكَانُوا يَكْتُرُونَ تَارَةً حَتَّى يَبْلُغُوا نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ وَيَقْبَلُونَ أُخْرَى؛ لِإِرْسَالِهِمْ فِي الْجِهَادِ وَتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ. «مرقاة المفاتيح» (٤: ١٤٥٣).

(٤) أي: لنفسه؛ لحرمة الصدقة عليه؛ لعلو مقامه.

وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا<sup>(١)</sup>، فَسَاءَ فِي ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ<sup>(٣)</sup>، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا<sup>(٤)</sup>، فَإِذَا جَاءَ<sup>(٥)</sup> أَمْرِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ<sup>(٦)</sup>، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ<sup>(٧)</sup>، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بَدًّا<sup>(٨)</sup>، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ.

قَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ».

قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ

(١) (وإذا أتته هدية أرسل إليهم) أي: ببعضها، كما يدل عليه قوله: (وأصاب منها وأشركهم فيها) وما ذكر من بعث الصدقة وبعث الهدية لأهل الصفة هو أحد أحواله معهم، وتارة كان إذا أتاه شيء وقيل له إنه صدقة أمر من عنده بأكله ولم يأكل منه، وإن قيل: إنه هدية ضرب بيده وأكل منه. «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٤: ٤٥٣).

(٢) أي: أحزني قوله: (ادعهم لي). لمزيد ضروري، وشدة فاقتي، ظن أن ذلك اللبن لا يزيد عن حاجته كما هو مقتضى العادة فيه.

(٣) وهم عدد كثير، وفي رواية: «وأين يقع هذا اللبن في أهل الصفة؟»

(٤) أي: أصير ذا قوة من ضعف الجوع بسببها، يقال: تحجر الطين: أي صار حجراً، ويجوز أن يكون بمعنى المجرد: أي أقوى بها بعد الضعف.

(٥) (فإذا جاء) كذا فيه بالإنفراد، أي: من أمرني بطلبه، ولأكثر «فإذا جاءوا» بصيغة الجمع.

(٦) كأنه عرف بالعادة ذلك؛ لأنه كان يلزم النبي ﷺ ويخدمه.

(٧) (وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن) أي: يصل إلي بعد أن يكتبوا منه.

(٨) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup> وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ<sup>(٢)</sup>، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ<sup>(٣)</sup>.

فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفْعُدْ فَأَشْرَبْ» فَفَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا.  
قَالَ: «فَارِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَى<sup>(٤)</sup> وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ<sup>(٥)</sup>.

### ٥٨- فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِمَّا أُرْسِلَ إِلَيَّ؛ فَآتَيْتُهُ؛ فَقَالَ لِي: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ. قَالَ: «فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

(١) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ.

(٢) قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: هَذَا الْحَدِيثُ عِلْمٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ، فَفِيهِ شَرِبَ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ مِنَ اللَّبَنِ الْقَلِيلِ حَتَّى شَبِعُوا بِبِرَّةِ النُّبُوَّةِ. «شرح صحيح البخاري» (١٠: ١٧٧).

(٣) (فَتَبَسَّمَ) كَأَنَّهُ ﷺ كَانَ تَفَرَّسَ فِي أَبِي هُرَيْرَةَ مَا كَانَ وَقَعَ فِي تَوَهُمِهِ أَنْ لَا يُفْضَلُ لَهُ مِنَ اللَّبَنِ شَيْءٌ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، فَلِذَلِكَ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَمْتَنِهِ شَيْءٌ. «فتح الباري» (١١: ٢٨٧).

(٤) (فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَى) أَيُّ: حَمِدَ اللَّهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ الْبَرَكَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي اللَّبَنِ الْمَذْكُورِ مَعَ قَلْتِهِ حَتَّى رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ وَأَفْضَلُوا، وَسَمَى فِي ابْتِدَاءِ الشُّرْبِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥: ٢٣٧٠) (٦٠٨٧).

قَالَ: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا صَوْمَ دَاوُدَ؟ قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا». قَالَ: «وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ». قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَرِكَ<sup>(١)</sup> عَلَيْكَ حَقًّا، وَحِسَابُكَ عَلَيْكَ حَقًّا». قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ.

قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ». قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبُرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُحْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### ٥٩- النَّبِيُّ ﷺ مَعَ بَدْوِيٍّ مُزْعِجٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَعْطِنِي؛ فَإِنَّكَ لَا تُعْطِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، وَأَغْلَظَ لِلنَّبِيِّ<sup>(٣)</sup>، فَوَثَبَ أَصْحَابُهُ؛ فَقَالُوا: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، تَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ! فَقَالَ ﷺ: «عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ<sup>(٤)</sup> لَمَّا أَمْسَكْتُمْ».

فَدَعَاهُ فَدَخَلَ بَيْتَهُ فَأَعْطَاهُ، فَقَالَ: «أَرْضَيْتَ؟» قَالَ: لَا. ثُمَّ أَعْطَاهُ أَيْضًا؛ فَقَالَ: «أَرْضَيْتَ؟» قَالَ: لَا. ثُمَّ أَعْطَاهُ الثَّالِثَةَ؛ فَقَالَ: «أَرْضَيْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاخْرُجْ إِلَى أَصْحَابِي فَاخْبِرْهُمْ أَنَّكَ قَدْ رَضَيْتَ؛ فَإِنَّ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَيْكَ شَيْئًا».

(١) (ولزورك) قال في «النهاية»: «الزائر، هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم، وقد يكون الزور جمعاً لزائر كركب في جمع راكب». أي: لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك وأنت تعجز بسبب توالي الصيام والقيام عن القيام بحسن معاشرتهم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٢:٥) رقم (٥٧٨٣)، ومسلم (٨١٢:٢) رقم (١١٥٩).

(٣) اشتد عليه في الكلام.

(٤) عزم عليه: أقسم عليه. أو أمره أمراً بجد.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَتَدْرُونَ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ، مَثَلُ رَجُلٍ فِي فَلَاةٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الْأَرْضِ مَعَهُ زَادُهُ وَرَاحِلَتُهُ فَفَفَرَّتْ<sup>(٢)</sup> رَاحِلَتُهُ؛ فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَمَا زَادُوهَا إِلَّا نُفُورًا؛ فَقَالَ: دَعُونِي فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَاقَتِي مِنْكُمْ، فَعَمِدَ إِلَى قُمَامِ الْأَرْضِ - يَعْنِي الْحَشِيشَ - فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: هُوِيُّ هُوِيُّ<sup>(٣)</sup>، حَتَّى رَجَعَتْ، فَأَنَاحَهَا<sup>(٤)</sup> فَحَمَلَ عَلَيْهَا زَادَهُ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى مَتْنِهَا<sup>(٥)</sup>، فَلَوْ تَرَكْتُمْ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَفَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ، فَمَا زِلْتُ حَتَّى فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ، وَقَالَ مَا قَالَ»<sup>(٦)</sup>.

### ٦٠- شَيْخٌ كَادَ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يُجَاسِبُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ عَجَلًا». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَجُونَا وَرَبِّ الْكُعْبَةِ! فَقَالَ: «وَكَيْفَ يَا أَعْرَابِيٌّ؟» فَقَالَ: إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَرَ عَفَا<sup>(٧)</sup>.

(١) الفلاة: الصحراء.

(٢) شردت ناقته.

(٣) صَوَّتْ، لنداء الناقة.

(٤) أبركها.

(٥) أي: ظهرها.

(٦) «الأمثال في الحديث» لأبي الشيخ الأصبهاني (ص ٣٠١) رقم (٢٥٦).

(٧) أخرجه ابن النجار كما ذكر صاحب «كنز العمال» (١٤: ٦٢٨) رقم (٣٩٧٤٩)، قال الحافظ العراقي:

لم أجد له أصلاً.

وَعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: «جَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ هَرِمٌ<sup>(١)</sup> قَدْ سَقَطَتْ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَدَرَ<sup>(٢)</sup> وَفَجَرَ<sup>(٣)</sup>، لَمْ يَدَعْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً<sup>(٤)</sup> إِلَّا اقْتَطَعَهَا بِيَمِينِهِ<sup>(٥)</sup>، لَوْ قُسِّمَتْ خَطِيئَتُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَوْبَقْتَهُمْ<sup>(٦)</sup>، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «أَسَلِمْتَ؟» فَقَالَ: أَمَا أَنَا، فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ اللَّهَ غَافِرٌ لَكَ مَا كُنْتَ كَذَلِكَ، وَمُبْدِلٌ سَيِّئَاتِكَ حَسَنَاتٍ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي، قَالَ: «وَعَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ» قَالَ: فَوَلَّى الرَّجُلُ يَكْبُرُ وَيَهْلُلُ<sup>(٧)</sup>.

### ٦١- أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَمَرَّ بِقَوْمٍ؛ فَقَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» فَقَالُوا: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ. وَامْرَأَةٌ مَحْصَبٌ<sup>(٨)</sup> تُتَوَرَّأُهَا وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا؛ فِإِذَا ارْتَفَعَ وَهَجُّ التَّنَوُّرِ تَنَحَّتْ بِهِ.

فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَتْ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟ قَالَ: «بَلَى».

(١) بلغ أقصى الكبر وضعف.

(٢) الغدر ضد الوفاء.

(٣) الفجور: معاصي الذنوب.

(٤) دَاجَةٌ إِبْتِغَاءٌ لِحَاجَةٍ.

(٥) المعنى: ما تركتُ شيئاً دعوتني إليه نفسي إلا ركبته من الذنوب.

(٦) أي: لأهلكتهم.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠: ٣٧٤). وقد وصله الإمام أحمد في «مسنده» (٤: ٣٨٤) من طريق

نوح بن قيس عن أشعث الحُدَّانِي عن مكحول عن عمرو بن عبسة به مرفوعاً باختصار في أوله وآخره.

(٨) (تحصب) أي: ترمي فيه ما يوحد النار به.

قَالَتْ: أَوْلَيْسَ اللهُ بِأَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مِنَ الْأُمِّ بِوَالِدِهَا؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَتْ: فَإِنَّ الْأُمَّ لَا تُلْقِي  
وَلَدَهَا فِي النَّارِ.

فَأَكْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَبْكِي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا  
الْمَارِدَ الْمُتَمَرِّدَ»<sup>(١)</sup> الَّذِي يَتَمَرَّدُ عَلَى اللَّهِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

## ٦٢- لَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ  
وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضُ قَوْلِهِ؛ فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ.

فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ  
بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ.

قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ؛ فَلَمْ  
أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُعْضِي<sup>(٣)</sup> عَنْهَا اللهُ عَزَّ  
وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا

(١) أي: العاتي الشديد المفرط في الاعتداء أو العناد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٧) قال البوصيري: ضعيف، لضعف إسماعيل بن يحيى، متفق على تضعيفه. قال  
أبو الحسن المباركفوري بعد أن ذكر أقوال الأئمة في تضعيف الحديث: ويشهد له ما روى أحمد (٢٨٥:٥)  
برجال ثقات من حديث أبي أمامة بلفظ: «كلكم في الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله». ورواه  
أيضًا الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن كما في «مجمع الزوائد». «مرعاة المفاتيح» (١٠٨:٨).

(٣) أي: يسكت.

فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ<sup>(١)</sup> يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً<sup>(٢)</sup> إِلَّا زَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قَلَّةً<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

٦٣- أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللهِ

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ فُرَيْشٍ يُكَلِّمُنَهُ وَيَسْتَكْثِرُنَهُ<sup>(٥)</sup>، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ<sup>(٦)</sup>، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَمَنْ فَبَادَرَنَ الْحِجَابَ<sup>(٧)</sup>، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عُمَرُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ<sup>(٨)</sup>؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هُوَ لَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْتَ صَوْتَكَ ابْتَدَرَنَ الْحِجَابَ».

فَقَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبِنِي<sup>(٩)</sup> وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟

(١) أي: طلب من الناس.

(٢) في معاشه.

(٣) بأن يمحق البركة منه ويجوجه حقيقة.

(٤) أخرجه أحمد (٤٣٦:٢) رقم (٩٦٢٢) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٥) قَالَ الْقَسْطَلَايُ: هُنَّ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَرَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ وَغَيْرُهُنَّ.

(٦) قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا قَبْلَ النَّهْيِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ ﷺ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ عَلُوَّ أَصْوَاتِهِنَّ إِنَّمَا كَانَ لِاجْتِمَاعِهِنَّ فِي الصَّوْتِ، لَا أَنَّ كَلَامَ كُلِّ وَاحِدٍ بِأَنْفِرَادِهِ أَعْلَى مِنْ صَوْتِهِ ﷺ.

(٧) (فَبَادَرَنَ بِالْحِجَابِ)، أَي سَارَ عَنِ إِلَى حِجَابِهِنَّ عَلَى مُقْتَضَى آدَابِهِنَّ.

(٨) أَي: أَدَامَ اللهُ فَرْجَكَ الْمَوْجِبَ لِرُبُوزِ سِنَّكَ وَظُهُورِ نُورِكَ، لَكِنَّ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ وَظُهُورِ أَمْرِ عَجِيبٍ، فَأَطَّلَعْنِي عَلَيْهِ وَسَرَّفَنِي بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ. «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩: ٣٨٩٣).

قال الحافظ ابن حجر: لَمْ يُرِدْ بِهِ الدُّعَاءَ بِكَثْرَةِ الصَّحْحِ بَلْ لَازِمُهُ وَهُوَ السَّرُورُ أَوْ نَفْيُ ضِدِّ لَازِمِهِ وَهُوَ الْحُزْنُ. «فتح الباري» (٧: ٤٧). وقال أيضاً: وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ مَا يُقَالُ لِلْكَبِيرِ إِذَا صَحَّكَ. «فتح الباري» (١٠: ٥٠٥).

(٩) (أَتَهَبِنِي) مِنْ الْهَبِيَّةِ، أَي: تُوقِّرُنِي.

فَقُلْنَا: نَعَمْ، أَنْتَ أَفْظٌ وَأَعْلَظُ<sup>(١)</sup> مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيهًا يَا ابْنَ الْحَطَّابِ<sup>(٢)</sup>، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

## ٦٤- وَصَايَا دَهْيِيَّةٌ

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَسَارَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ، لَمْ يَتَقَدَّمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(٦)</sup>، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي فِي أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ عَلَى طَيْبَةِ نَفْسِي؟ قَالَ: «نَعَمْ».

فَاقْتَرَبَ مُعَاذٌ إِلَيْهِ فَسَارَا جَمِيعًا، فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا قَبْلَ يَوْمِكَ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ شَيْءٌ -وَلَا نَرَى شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- فَأَيُّ الْأَعْمَالِ نَعْمَلُهَا بَعْدَكَ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ الشَّيْءُ الْجِهَادُ وَالَّذِي بِالنَّاسِ أَمْلَكُ مِنْ ذَلِكَ».

(١) اللفظُ الغليظُ بمعنى واحد، وهو عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب. قال العلماء: وليست لفظةً أفعل هنا للمفاضلة، بل هي بمعنى فظ غليظ. قال القاضي: وقد يصح حملها على المفاضلة، وأن القدر الذي منها في النبي ﷺ هو ما كان من إغلاظه على الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]. وكان يغضب ويغلظ عند انتهاك حرمت الله تعالى. والله أعلم.

(٢) (إيهًا) اسم، بمعنى زد، والمراد إظهار رضاه عن قول عمر ﷺ، وفعله الذي يدل على توقيره ﷺ وتعظيم جانبه واستزادة منه لهذا التصرف ليزداد عمر ﷺ منزلة ورفعة عند الله عز وجل.

(٣) (فجًّا) أي: طريقًا واسعًا، وقوله: (قَطُّ) تأكيدٌ للنفي.

(٤) قَالَ النَّوَوِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَهْرُبُ إِذَا رَأَاهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٣: ١٣٤٧) رقم (٣٤٨٠)، ومسلم (٤: ١٨٦٣) رقم (٢٣٩٦).

(٦) وهذا من كمال أدبهم معه ﷺ.

قال: فَالصَّيَّامُ وَالصَّدَقَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ الشَّيْءُ الصَّيَّامُ وَالصَّدَقَةُ، وَعَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ».

فَذَكَرَ مُعَاذُ كُلِّ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ ابْنُ آدَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ».

قَالَ: فَمَاذَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي عَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى فِيهِ، قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ». قَالَ: وَهَلْ نُوَاخِذُ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَلَيْسَتْنَا؟

قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقْتَ بِهِ أَلَيْسَتْهُمْ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسْكَ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَعْمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا»<sup>(١)</sup>.

## ٦٥- حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ، وَفَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ<sup>(٢)</sup>. قَالَ: «أَعْتَقَ رَقَبَةً». قَالَ: لَيْسَ لِي. قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ» قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «فَأَطْعِمْ سِتِينَ مَسْكِينًا» قَالَ: لَا أَجِدُ. فَأُتِيَ بِعَرَقٍ<sup>(٣)</sup> فِيهِ تَمْرٌ فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟ تَصَدَّقْ

(١) أخرجه الحاكم (٣١٩:٤) رقم (٧٧٧٤)، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٣٦:١٠) إلى الطبراني. وقال: وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَمْرٍو وَبْنِ مَالِكِ الْجَنَبِيِّ، وَهُوَ ثَقَّةٌ.

فائدة: قال الإمام الحاكم عقب تخريجه الحديث: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى سَرَطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَالغَرَضُ فِي إِخْرَاجِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِبَاحَةُ دُعَاءِ الْمُتَعَلِّمِ لِعَالِمِهِ الَّذِي يَفْتَسِحُ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ مِيتَتَهُ قَبْلَ عَالِمِهِ، فَإِنِّي قَدَّمْتُ قَبْلَ هَذَا أَخْبَارًا صَحِيحَةً فِي إِبَاحَةِ قَوْلِ النَّاسِ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ.

(٢) أي جامع زوجته نهار رمضان.

(٣) قال إبراهيم: العَرَقُ الْمَمْكُوتُ. وهو زنبيلٌ مَنْسُوحٌ مِنْ خُوصٍ.

بِهَا» قَالَ: عَلَى أَفْقَرِ مِنِّي، وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا<sup>(١)</sup> أَهْلُ بَيْتِ أَفْقَرٍ مِنَّا؛ فَصَحَّحَكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ<sup>(٢)</sup>، قَالَ: «فَأَنْتُمْ إِذَا»<sup>(٣)</sup>.

## ٦٦- النَّبِيُّ ﷺ يُدَارِي فَا حِشًا

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «بِسِ ابْنِ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ هَشَّ<sup>(٤)</sup> لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ. فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ آخَرَ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ لَمْ يَنْبَسِطْ إِلَيْهِ كَمَا انْبَسَطَ إِلَى الْآخَرِ، وَلَمْ يَهَشَّ لَهُ كَمَا هَشَّ. فَلَمَّا خَرَجَ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَأْذَنَ فَلَانٌ فَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ، ثُمَّ هَشَّشْتَ لَهُ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، وَقُلْتَ لِفُلَانٍ مَا قُلْتَ، وَلَمْ أَرَكَ صَنَعْتَ بِهِ مَا صَنَعْتَ لِلْآخَرِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ اتَّقِي لِفُحْشِهِ»<sup>(٥)</sup>. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيَسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ.

(١) اللَّابَتَانِ: الْحَرَتَانِ، وَاحِدَتُهُمَا لَابَةٌ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُلْبَسَةُ حِجَارَةً سُودًا، وَلِلْمَدِينَةِ لَابَتَانِ: شَرْقِيَّةٌ، وَغَرْبِيَّةٌ. وَهِيَ بَيْنَهُمَا.

(٢) جَمْعُ نَاجِذٍ: وَهُوَ مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الضَّحِكِ مِنَ الْأَسْنَانِ، وَقِيلَ: هِيَ الْأَنْبَابُ، وَقِيلَ: الْأَصْرَاسُ، وَقِيلَ: الدَّوَاخِلُ مِنَ الْأَصْرَاسِ الَّتِي فِي أَقْصَى الْحَلْقِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٥: ٢٢٦٠) رَقْم (٥٧٣٧). وَأَبُو عَوَانَةَ فِي «مُسْتَخْرَجِهِ» رَقْم (٢٢٩٠). قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَوَانَةَ: فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ مِنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فَضْلٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلِعِيَالِهِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ أَنْ يَكْفُرَ مِنْ قُوْتِهِ وَقُوْتِ عِيَالِهِ، وَعَلَى إِجَارَةِ إِطْعَامِ عِيَالِهِ مِنْ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ.

(٤) هَشَّ الرَّجُلُ هَشَّاشَةً: إِذَا تَبَسَّمَ وَارْتَاحَ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦: ١٥٨) رَقْم (٢٥٢٩٣)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» (ص ١٢٣) رَقْم (٣٣٨)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّهَابِ» (٢: ١٧٢) رَقْم (١١٢٤).

فَقَالَ ﷺ: «لَيْنٌ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ<sup>(١)</sup>، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

## ٦٧- مُسَاعَدَةُ زَوْجٍ غَيْرِ مَرْغُوبٍ فِيهِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ زَوْجُ بَرِيرَةَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي (وفي رواية: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتْبَعُهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ)، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه: «أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا». فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتَهُ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكَ». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «لَا، إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ». قَالَتْ: فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) تسفههم: أي: تجعلهم يسفونونه من السفء، وهو شرب كل دواء يؤخذ غير ملتوت. والمال: الرماد الحار. ومعنى ذلك: أن إحسانك إليهم مع إساءتهم لك، ينتزل في قلوبهم منزلة النار المحرقة، لما يجدون من ألم الخزي، والفضيحة، والعار الناشئ في قلب من قابل الإحسان بالإساءة.

(٢) الظهير: المعين، ومعناه: أن الله تعالى يؤيدك بالصبر على جفائهم، وحسن الخلق معهم، ويُعَلِّبُكَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُذْ دَوَامِكَ عَلَى مَعَامَلَتِكَ لَهُمْ بِمَا ذَكَرْتَ.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٨٢:٤) رقم (٢٥٥٨)، وأحمد (٣٠٠:٢)، وابن حبان (١٩٥:٢) رقم (٤٥٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٢٣:٥) رقم (٤٩٧٩)، وأبو داود (٢٣٧:٢) رقم (٢٢٣٣)، وابن ماجه

(٦٧١:١) رقم (٢٠٧٥)، والنسائي (٢٤٥:٨) رقم (٥٤١٧)، وابن حبان (٩٦:١٠) رقم (٤٢٧٣).

هذه بعض الفوائد من الحديث، ذكرها أهل العلم:

١- فيه من الفقه جواز استشفاع العالم والخليفة في الحوائج والرغبة إلى أهلها في الإسعاف لسائلها، وأن ذلك من مكارم الأخلاق.

٢- أن الشافع يؤجر ولو لم تحصل إجابته، وأن المشفوع عنده إذا كان دون قدر الشافع لم تمتنع الشفاعة.

٣- فيه تنبيه الصاحب صاحبه على الاعتبار بآيات الله وأحكامه؛ لتعجيب النبي ع العباس من حبِّ مغِيث

بريرة.

## ٦٨- أَنْفَقُ ثِيْبٍ فِي الْمَدِينَةِ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى جُلَيْبٍ <sup>(١)</sup> امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِيهَا، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمَرَ أُمَّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَنَعَمْ إِذَا».

قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا، فَقَالَتْ: لَاهَا اللَّهُ <sup>(٢)</sup> إِذَا، مَا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا جُلَيْبِيًّا، وَقَدْ مَنَعَنَاهَا مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ؟  
قَالَ: وَالْجَارِيَةُ فِي سِتْرِهَا تَسْتَمِعُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ؛ فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: أَتَرِيدُونَ أَنْ تَرُدُّوهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمْرُهُ؟ إِنْ كَانَ قَدْ رَضِيَ لَكُمْ فَأَنْكِحُوهُ، فَكَأَنَّهَا جَلَّتْ عَنْ أَبِيهَا <sup>(٣)</sup>، وَقَالَا: صَدَقَتْ.

٤- فيه حسن أدب بريرة؛ لأنها لم تفصح برد الشفاعة، وإنما قالت: لا حاجة لي فيه.

٥- فيه أن فرط الحب يذهب الحياء؛ لما ذكر من حال مغيث وغلبة الوجد عليه حتى لم يستطع كتمان حبه.

٦- في ترك النكير عليه بيان جواز قبول عذر من كان في مثل حاله ممن يقع منه ما لا يليق بمنصبه إذا وقع بغير اختياره.

٧- فيه استحباب الإصلاح بين المتنافرين سواء كانا زوجين أم لا وتأکید الحرمة بين الزوجين إذا كان بينهما ولد لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنه أبو ولدك».

٨- أن بغض الرجل للرجل المسلم على وجه كراهة قربه والدنو منه على غير وجه العداوة له، ولكن اختيار التبعد منه لسوء خلقه وخبث عشرته وثقل ظله، أو لغير ذلك مما يكره الناس بعضهم من بعض جائز.

(١) على وزن قُنَيْدِيلٍ، وهو تصغير جلاب، وهو أنصاري، وكان قصيرًا دميًّا.

(٢) بِالْجُرِّ أَي: لَا وَاللَّهِ.

(٣) لَفْظُ الْبَرَارِ: «فَكَأَنَّهَا حَلَّتْ عَنْ أَبِيهَا عَقَالًا».

فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ قَدْ رَضِيْتَهُ فَقَدْ رَضِيْنَاهُ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ رَضِيْتُهُ» فَرَوَّجَهَا، ثُمَّ فَرَعَ أَهْلَ الْمَدِيْنَةِ، فَرَكِبَ جُلَيْبِيْبُ، فَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ<sup>(١)</sup>، وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ قَدْ قَتَلَهُمْ.

قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتَهَا، وَإِنَّهَا لَمِنْ أَنْفَقِ ثِيْبٍ فِي الْمَدِيْنَةِ<sup>(٢)</sup>.

## ٦٩- تَصَدَّقَ الْمَرْأَةُ الْمَيْسُورَةُ عَلَى زَوْجِهَا

عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَتْ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: «تَصَدَّقِي وَلَوْ مِنْ حُلِيْكُنَّ».

وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا. فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟

فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتَهَا مِثْلَ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ؛ فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أَنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرْنَا.

(١) عَنْ أَبِي بَرَزَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ فِي مَغْزَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيْبًا، فَاطْلُبُوهُ» فَطُلِبَ فِي الْقِتْلِ، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً، ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ». أخرجہ مسلم رقم (٢٤٧٢).

(٢) أخرجہ عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٦:٦)، ومن طريقه أحمد (١٣٦:٣)، والبخاري (١٣:٣٢٠). قال الهيثمي: وَرَجَالُ أَحْمَدَ رَجَالُ الصَّحِيْحِ. «مجمع الزوائد» (٩:٣٦٨).

فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ؛ فَقَالَ: «مَنْ هُمَا؟» قَالَ: زَيْنُبُ. قَالَ: «أَيُّ الزَّيْنَبِ؟» قَالَ: امْرَأَةٌ عَبْدِ اللَّهِ.  
قَالَ: «نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»<sup>(١)</sup>.

## ٧٠- حِرْصُ الْأَنْصَارِ عَلَى الْعِلْمِ

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ<sup>(٢)</sup>؛ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ؟  
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ»<sup>(٣)</sup>. فَغَطَّتْ أُمَّ سَلَمَةَ - تَعْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟! قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينِكَ»<sup>(٤)</sup>، فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدَهَا»<sup>(٥)</sup>.

## ٧١- اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ

قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ رضي الله عنه: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي؛

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣:٢) رقم (١٣٩٧)، ومسلم (٦٩٤:٢) رقم (١٠٠٠).

(٢) أي: لا يمتنع من بيان الحق، ولا يتركه ترك الحبي منا، فكذا لا أمتنع أنا من سؤالي عما أنا محتاجة إليه.  
وقيل: المعنى: إن الله لا يأمر بالحياء في الحق ولا يبيحه، وإنما قالت هذا اعتذاراً بين يدي سؤالها عما دعت الحاجة إليه مما تستحي النساء في العادة عن السؤال عنه، وذكره بحضرة الرجال.

(٣) أي: المنى بعد الاستيقاظ. وفيه دليل على وجوب الغسل على المرأة بالإنزال في الاحتلام.

(٤) أصلها: لصقت بالتراب، أي: افتقرت، ولكنها جارية على السنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب، ولا وقوع الأمر بها، بل يقصدون الإنكار والزجر واللوم ونحوه، أي: إن أم سليم فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها فلم تستحق الإنكار واللوم، واستحققت أنت الإنكار؛ لأنكارك ما لا إنكار فيه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥١:١) رقم (٣١٣).

فَقَالَ: «اعْلَمَ أَبُو مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَفَدَّرَ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْعُغْلَامِ». قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهِ؛ فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكَ النَّارُ<sup>(٢)</sup>، أَوْ لَمَسْتِكَ النَّارُ».

## ٧٢- إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَخْتَصِمَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دُرِسَتْ<sup>(٣)</sup> لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ تُخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَحْسَنَ بِحُجَّتِهِ<sup>(٤)</sup> مِنْ بَعْضٍ، فَإِنِّي أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ فَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا إِسْطِطَامًا<sup>(٥)</sup> فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) أخرجه مسلم (١٢٨٠:٣) رقم (١٦٥٩)، والترمذي (٢٣٥:٤) رقم (١٩٤٨).

(٢) لَفْحُ النَّارِ: حَرْهَا وَوَهْجُهَا.

(٣) خَفِيَتْ آثَارُهَا.

(٤) (الْحَسَنَ بِحُجَّتِهِ) أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنْ حَسَنٍ بِمَعْنَى فَطِنَ وَوَزَنَهُ، أَيُّ: أَفْطَنَ بِهَا. قَالَ فِي «النَّبِيلِ»: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: أَفْصَحَ تَعْبِيرًا عَنْهَا وَأَظْهَرَ إِحْتِجَاجًا، حَتَّى يُجَيَّلُ أَنَّهُ مُحِقٌّ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُبْطَلٌ. وَالْأَظْهَرَ أَنْ مَعْنَاهُ (أَبْلَغُ) كَمَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَيُّ أَحْسَنَ إِيرَادًا لِلِكَلَامِ. «عون المعبود» (٤٤٢:٩).

(٥) الْحَدِيدَةُ الَّتِي تُحْرَكُ بِهَا النَّارُ وَتُسَعَّرُ: أَيُّ: أَقْطَعُ لَهُ مَا يُسْعِرُ بِهِ النَّارَ عَلَى نَفْسِهِ وَيُشْعِلُهَا، أَوْ أَقْطَعُ لَهُ نَارًا مُسْعِرَةً.

فَبَكَى الرَّجُلَانِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لِأَخِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِذْ قُلْتُمَا فَادْهَبَا فَاقْتَسِمَا، ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ اسْتَهَمَا<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ لِيُحْلَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبُهُ<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

### ٧٣- جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي<sup>(٥)</sup>، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ طَأَطَأَ رَأْسَهُ<sup>(٧)</sup>، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ<sup>(٨)</sup>. فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا.

(١) أَي: إِقْصِدَا الْحَقَّ فِيمَا تَصْنَعَانِيهِ مِنَ الْقِسْمَةِ.

(٢) أَي: اقْتَرَعَا. يَعْنِي: لِيُظْهَرَ سَهْمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا.

(٣) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصُّلْحَ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْمَعْلُومِ، وَلِذَلِكَ أَمَرَهُمَا بِالتَّوَخُّي فِي مِقْدَارِ الْحَقِّ، ثُمَّ لَمْ يَقْضِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّوَخُّي حَتَّى صَمَّ إِلَيْهِ الْفُرْعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّوَخُّيَ إِنَّمَا هُوَ أَكْثَرُ الرَّأْيِ وَغَالِبُ الظَّنِّ، وَالْفُرْعَةُ نَوْعٌ مِنَ الْبَيْتَةِ، فَهِيَ أَقْوَى مِنَ التَّوَخُّي، ثُمَّ أَمَرَهُمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّحْلِيلِ؛ لِيَكُونَ إِفْتِرَاقَهُمَا عَنْ تَعَيُّنِ بَرَاءَةِ وَطَيْبِ نَفْسٍ وَرِضَى.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٦: ٣٢٠) رَقْمَ (٢٦٧٦٠)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٤: ٥٤١) رَقْمَ (٢٢٩٧٤).

(٥) أَي: لِأَعْرَضَ عَلَيْكَ نَفْسِي بَدُونَ مَهْرٍ.

(٦) أَي: فَرَفَعَ إِلَيْهَا بَصْرَهُ، وَشَخَّصَ فِيهَا بَعِينِيهِ، وَتَفَحَّصَهَا جِيدًا، ثُمَّ خَفَضَ بَصْرَهُ عَنْهَا. دَلٌّ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ النَّظَرَ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِهَا، وَلَوْ بَلَا إِذْنَهَا، قَالَ فِي «تَكْمِلَةِ الْمَنْهَلِ الْعَذْبِ الْمُرُودِ»: وَلَا نَعْلَمُ فِي ذَلِكَ خِلَافًا. وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّهُ أَدْعَى لِحَسَنِ الْعَشْرَةِ، وَبِقَاءِ الزَّوْجِيَّةِ.

(٧) أَي: أَرَخَى رَأْسَهُ وَلَمْ يَرُدْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ لَمْ تَعْجَبْهُ.

(٨) أَي: فَلَمَّا لَمْ يَجَاوِبْهَا بِشَيْءٍ «جَلَسَتْ» تَنْتَظِرُ مَا يَقُولُ لَهَا، أَوْ مَا يَتَصَرَّفُ فِي شَأْنِهَا.

فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟»<sup>(١)</sup> فَقَالَ: لَا - وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَذْهَبَ إِلَيَّ أَهْلِكَ  
فَانظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا؟» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا - وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَدْتُ شَيْئًا، قَالَ:  
«انظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ» فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا - وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا خَاتَمًا مِنْ  
حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي، فَلَهَا نَصْفُهُ - قَالَ سَهْلٌ: وَمَا لَهُ رِدَاءٌ؟! - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا  
تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ»<sup>(٢)</sup>.  
فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ، ثُمَّ قَامَ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُوَلَّيًّا، فَأَمَرَ بِهِ فُدْعِيَ، فَلَمَّا  
جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟» قَالَ: مَعِيَ سُورَةٌ كَذَا، وَسُورَةٌ كَذَا، وَسُورَةٌ كَذَا عَدَّهَا،  
قَالَ: «أَتَقْرَأُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَذْهَبَ فَقَدْ مَلَكَتْكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ  
الْقُرْآنِ»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

(١) أي: هل يوجد لديك ما تقدمه صداقاً لها كما في رواية «الموطأ» رقم (١٦٥٧) حيث جاء فيها: «هل  
عندك شيء تصدقه إياها».

(٢) أي: لعلهم يعينونك فيعطونك شيئاً من المال تقدمه صداقاً.

(٣) أي: فلا يجوز لك أن تسلم إزارك لها لما يؤدي إليه ذلك من كشف العورة وهو محرم شرعاً.

(٤) أي زوجته إياها بتعليمك لها بعض ما تحفظه من القرآن، لما جاء في رواية أبي هريرة أن النبي ﷺ قال له:  
«فقم فعلمها عشرين آية، وهي امرأتك» أخرجه أبو داود (٢١١٢) والنسائي في «الكبرى» (٥٤٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (٤: ١٩٢٠) رقم (٥٠٣٠)، ومسلم (٢: ١٠١٤) رقم (١٤٢٥).

## ٧٤- آمَنَ شِعْرُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَكَفَرَ قَلْبُهُ<sup>(١)</sup>

عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَدَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هِيَ»<sup>(٢)</sup> فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَ» ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيَ» حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ. قَالَ: «فَلَقَدْ كَادَ يُسَلِّمُ<sup>(٣)</sup> فِي شِعْرِهِ»<sup>(٤)</sup>.

## ٧٥- ائذَنْ لِي بِالزَّنَا

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائذَنْ لِي بِالزَّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ<sup>(١)</sup>؛ فَقَالَ: «اِذْنُهُ» فَذَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: «أُتِجِبُهُ لِأُمَّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفْتَجِبُهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ» قَالَ: «أَفْتَجِبُهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا

(١) أخرجه أبو بكر بن الأنباري في «المصاحف» والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس. قال الشيخ ناصر: وقد ذكر المناوي في شرحه أن في سنده عند ابن الأنباري أبا بكر الهنلي. قلت: وهو متروك. «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٤ : ٥٢).

(٢) ردفت رَسُولَ اللَّهِ: أي كنت ورأه.

(٣) هِيَ: بكسر الهمزة وإسكان الياء وكسر الهمزة الثانية، قَالُوا وَالْهَاءُ الْأُولَى بَدَلٌ مِنَ الْهَمْزَةِ وَأَصْلُهُ (إِيه) وَهِيَ كَلِمَةٌ لِلْإِسْتِزَادَةِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَعْهُودِ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: هِيَ لِلْإِسْتِزَادَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ عَمَلٍ مَعْهُودَيْنِ. «شرح النووي على مسلم» (١٥ : ١٢).

(٤) كَادَ بِمَعْنَى قَارَبَ.

(٥) أخرجه مسلم (٤ : ١٧٦٧) رقم (٢٢٥٥). وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ اسْتِشَادِ الشَّعْرِ الَّذِي يَحْسَنُ سَبَّاعَهُ مِنْ غَيْرِ كَرَاهِيَةٍ؛ فَإِنَّ شِعْرَ أُمَيَّةَ كَانَ مَعْظَمُهُ ذِكْرَ التَّوْحِيدِ. «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤ : ١٨٣).

(٦) مه: اسم فعل بمعنى اكفف.

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَانِهِمْ» قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ» قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَمِثُ إِلَى شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

## ٧٦- الْجَنَّةُ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ

عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فَلَانٍ، إِنْ الْجَنَّةُ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ».

قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي؛ فَقَالَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۖ (٣٥) جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ (٣٦) عُرْيًا أَرْبَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]<sup>(٢)</sup>.

## ٧٧- امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ<sup>(٣)</sup>، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ<sup>(٤)</sup>، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبْرَتِ<sup>(٥)</sup>، وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢٥٦:٥) رقم (٢٢٢٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١٦٢:٨) رقم (٧٦٧٩)، قال الهيثمي

في «مجمع الزوائد» (١٢٩:١): رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص ١٩٩).

(٣) يصيبني الصرع.

(٤) أتكشف: أي: فأخشى أن تظهر عورتى وأنا لا أشعر.

(٥) على هذا الابتلاء.

(٦) أخرجه البخاري (٢١٤٠:٥) رقم (٥٣٢٨)، ومسلم (١٩٩٤:٤) رقم (٥٢٧٦).

## ٧٨- إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً سُودَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ <sup>(١)</sup> الْمَسْجِدَ، أَوْ شَابًا، فَفَقَدَهَا، أَوْ فَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ أَدْنْتُمُونِي <sup>(٢)</sup>».

فَكَأَنَّهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «ذُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ». فَذَلُّوه فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ» <sup>(٣)</sup>.

## ٧٩- حَنِينٌ نَخْلَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دَفِعَ إِلَى الْمَنْبَرِ؛ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، تَيْنُ أَنْيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسْكِنُ، قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا» <sup>(٤)</sup>.

(١) قوله: «تَقُمُّ» هُوَ بفتح التاء وَصَمَّ الْقَافِ: أَي تَكُنُّسُ. «وَالْقَامَةُ»: الْكُنَاسَةُ.

(٢) «أَدْنْتُمُونِي» بِمَدِّ الهمزة: أَي: أَعَلَمْتُمُونِي.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٥:١) رقم (٤٤٦)، ومسلم (٦٥٩:٢) رقم (٩٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٣١٤:٣) رقم (٣٣٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٥:٣) رقم (٥٤٨٩).

## ٨٠- لَعَلِّي أُكْفَنُ فِيهَا

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَسْجُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتُهَا<sup>(١)</sup>.  
 -قال: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ<sup>(٢)</sup>. قَالَ: نَعَمْ - قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي؛ فَجِئْتُ  
 لِأَكْسُوكَهَا. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِثْمًا إِزَارُهُ، فَحَسَنَهَا<sup>(٣)</sup> فَلَانَ<sup>(٤)</sup>؛ فَقَالَ:  
 اكْسِينَهَا، مَا أَحْسَنَهَا!

قَالَ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لِبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ.  
 قَالَ: إِيَّيَ وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ<sup>(٥)</sup>.

## ٨١- يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَكَ

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لِأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ  
 نَفْسِي، وَإِنَّكَ لِأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لِأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِي فَأَنْظُرَ  
 إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا  
 دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَكَ؛ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيْلُ عليه السلام بِهَذِهِ  
 الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ  
 وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]<sup>(٦)</sup>.

(١) حاشيتها: طرفها أو هدها، أي: إنها جديدة لم تقطع من ثوب أو لم يتقطع هدها؛ لأنها لم تستعمل.

(٢) الشملة: كساء يشتمل به، والاشتغال إدارة الثوب على الجسد كله.

(٣) فحسنها: نسبها إلى الحسن.

(٤) فلان: قيل: هو عبد الرحمن بن عوف، وقيل: هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٩: ١) رقم (١٢١٨).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٢: ١) رقم (٤٧٧)، و «الصغير» (٥٣: ١) رقم (٥٢)، وأبو نعيم في

«حلية الأولياء» (٢٤٠: ٤). قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

## ٨٢- فَوْزٌ فِي السَّبَاقِ، وَدَرَسٌ فِي التَّوَاضُعِ

عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُسَمَّى: الْعَضْبَاءُ<sup>(١)</sup>، وَكَانَتْ لَا تُسَبِّقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى فَعُودٍ<sup>(٢)</sup> لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ الْعَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

## ٨٣- اِفْتِصَاصٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَنْ أَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ -رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ- قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ -وَكَانَ فِيهِ مَزَاحٌ- بَيْنَا يُضْحِكُهُمْ، فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خَاصِرَتِهِ بِعُودٍ<sup>(٥)</sup>، فَقَالَ: أَصْبِرْ نِي<sup>(٦)</sup>. فَقَالَ: «اصْطِرْ» قَالَ: إِنَّ عَلَيْنِكَ فَمِيصًا، وَلَيْسَ عَلَيَّ فَمِيصٌ. فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَمِيصِهِ فَاحْتَضَنَهُ وَجَعَلَ يَقْبَلُ كَشْحَهُ<sup>(٧)</sup>.

- (١) (تُسَمَّى الْعَضْبَاءُ): الْمَقْطُوعَةُ الْأُذُنِ، أَوْ الْمَشْقُوقَةُ، وَهِيَ الْقِصْوَاءُ، أَوْ غَيْرُهَا قَوْلَانِ. ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ.
- (٢) (عَلَى فَعُودٍ) مَا اسْتَحَقَّ الرُّكُوبَ مِنَ الْأَيْلِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: هُوَ الْبِكْرُ حَتَّى يُرْكَبَ، وَأَقْلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ابْنُ سَنَتَيْنِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ السَّادِسَةَ فَيُسَمَّى جَمَلًا. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: لَا يُقَالُ إِلَّا لِلذَّكْرِ، وَلَا يُقَالُ لِلْأُنثَى فَعُودَةٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا قَلُوصٌ. «فتح الباري» (٦ : ٧٤).
- (٣) قال الحافظ ابن حجر: فِي الْحَدِيثِ إِتْحَادُ الْأَيْلِ لِلرُّكُوبِ وَالْمَسَابِقَةِ عَلَيْهَا، وَفِيهِ التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا لَا يَرْتَفِعُ إِلَّا أَنْتَضَعَ. وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى التَّوَاضُعِ. وَفِيهِ حُسْنُ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَوَاضُعُهُ وَعَظَمَتُهُ فِي صُدُورِ أَصْحَابِهِ. «فتح الباري» (٦ : ٧٤).
- (٤) أخرجه البخاري (٥: ٢٣٨٤) (٦١٣٦).
- (٥) أَي: صَرَبَهُ عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ.
- (٦) أَي: أَقْدِرْنِي وَمَكِّنِّي مِنْ اسْتِيفَاءِ الْقِصَاصِ حَتَّى أَطْعَنَ فِي خَاصِرَتِكَ كَمَا طَعَنْتَ فِي خَاصِرَتِي.
- (٧) هُوَ مَا بَيْنَ الْحَاصِرَةِ إِلَى الصَّلْعِ الْأَقْصَرِ مِنْ أَضْلَاعِ الْجَنْبِ.

قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا<sup>(١)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

#### ٨٤- الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنُ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَلَالِ ثُمَّ الْهَلَالِ ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ<sup>(٣)</sup> فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ؛ فَقُلْتُ: يَا خَالَهٗ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ<sup>(٤)</sup>؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ<sup>(٥)</sup>: التَّمْرُ وَالْمَاءُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ<sup>(٦)</sup>، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا<sup>(٧)</sup>.

#### ٨٥- أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قَوْمُوا». فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ<sup>(٨)</sup> فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا

(١) أي: مَا أَرَدْتُ بِقَوْلِي: أَصْبِرْ نِي، إِلَّا هَذَا التَّقْيِيلِ، وَمَا أَرَدْتُ حَقِيقَةَ الْقِصَاصِ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٦)، والبيهقي (١٣٣٦٤).

(٣) كناية عن طبخ شيء من اللحم أو سواه.

(٤) يعيشتكم: يقيتكم من الطعام.

(٥) الأسودان: غُلَّبَ التمر على الماء؛ فقيل أسودان. وكان الغالب في تمر المدينة الأسود.

(٦) منائح: المنحة في الأصل الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء.

(٧) أخرجه البخاري (٩٠٧:٢) رقم (٢٤٢٨)، ومسلم (٢٢٨٢:٤) رقم (٢٩٧٢).

(٨) قال الإمام النووي: وَهَذَا الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَذَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ<sup>(١)</sup> لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي.

قَالَ: فَانْطَلِقْ، فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ، وَالْحُلُوبَ<sup>(٢)</sup>». فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَيِّ بَكْرٍ، وَعَمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ<sup>(٣)</sup> عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بِيوتِكُمْ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»<sup>(٤)</sup>.

## ٨٦- طلب الإذن لطعام الضيافة لمن لم يدع إليها

حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا شَعِيبٍ، وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ<sup>(٥)</sup> لَحَامٌ<sup>(٦)</sup>، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، فَعَرَفَ الْجُوعَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ إِلَى غُلَامِهِ اللَّحَامِ، فَقَالَ: اصْنَعْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً، لَعَلِّي أَدْعُو النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ<sup>(٧)</sup>، فَصَنَعَ

(١) يَسْتَعْذِبُ: أَيُّ: يَطْلُبُ الْمَاءَ الْعَذْبَ، وَهُوَ الطَّيِّبُ.

(٢) الْحُلُوبُ: ذَاتُ اللَّبَنِ.

(٣) وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ سُؤَالُ تَعْدِيدِ النَّعْمِ لِأَنَّ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَعْذِيبٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَهُ النَّوَوِيُّ.

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣: ١٦٠٩) رَقْمَ (٢٠٣٨).

(٥) (لِغُلَامٍ) أَجِيرٌ أَوْ خَادِمٌ.

(٦) (لِحَامٍ) أَيُّ: يَبِيعُ اللَّحْمَ.

(٧) (خَامِسَ خَمْسَةٍ): حَالٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَيُّ: وَاحِدًا مِنْ خَمْسَةٍ مِنْ بَابِ ثَانِيِ اثْنَيْنِ.

لَهُ طُعِيمًا<sup>(١)</sup>، ثُمَّ آتَاهُ فِدْعَاهُ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا شُعَيْبٍ، إِنَّ رَجُلًا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَذْنَتْ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَرَكْتَهُ» قَالَ: لَا، بَلْ أَذْنَتْ لَهُ<sup>(٢)</sup>. (٣).

## ٨٧- مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضَبِي» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتَ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتَ عَلَيَّ غَضَبِي<sup>(١)</sup> قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ<sup>(٢)</sup>.

## ٨٨- خِيَارُ صَعْبُ لِرُجُوعَاتِ النَّبِيِّ ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ أَرَلْ حَرِيصًا أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمَرَاتَيْنِ مِنْ أَرْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَفَدَّ صَعْتَ قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> [التحریم: ٤].  
حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَحَجَّجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كُنَّا بِيَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلْتُ<sup>(٢)</sup> عُمَرَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ

(١) (طعيماً) تصغير طعام، أي: طعاماً قليلاً.

(٢) قال الملا علي القاري: فِيهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ فِي ضِيَافَةِ قَوْمٍ بغيرِ إِذْنِ أَهْلِهَا، وَلَا يَجُوزُ لِلضَّيْفِ أَنْ يَأْذَنَ لِأَحَدٍ فِي الْإِتْيَانِ مَعَهُ إِلَّا بِأَمْرِ صَرِيحٍ أَوْ إِذْنِ عَامٍّ أَوْ عِلْمٍ بِرِضَاهُ. «مرقاة المفاتيح» (٥: ٢١٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥: ٢٠٧٩) رقم (٥١٤٥)، ومسلم (٣: ١٦٠٨) رقم (٢٠٣٦).

(٤) غضبي: فِي حَالِ غَضَبٍ لِأَمْرٍ مَا. قَالَ الْقَاضِي: مُعَاَصَبَةٌ عَائِشَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ هِيَ مِمَّا سَبَقَ مِنَ الْغَيْرَةِ النَّبِيِّ عُنْفَى عَنْهَا لِلنِّسَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ؛ لِعَدَمِ انْفِكَاحِهِنَّ مِنْهَا.

(٥) أخرجه البخاري (٥: ٢٠٠٤) رقم (٤٩٣٠)، ومسلم (٤: ١٨٩٠) رقم (٢٤٣٩).

(٦) (صغت قلوبكم): مالت إلى تحريم مارية القبطية رضي الله عنها.

(٧) فعدلت: مال عن الطريق.

بِالِإِدَاوَةِ<sup>(١)</sup> فَتَبَرَّرَ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرَّاتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: ﴿إِنْ نُؤَبَّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قَالَ عُمَرُ: وَاعْجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَرِهَ وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يَكْتُمَهُ - قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ.

قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ. قَالَ: وَكَانَ مَنزِلِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالْعَوَالِي<sup>(٤)</sup>، فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي؛ فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لِيُرَاجِعُنَّهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ.

فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ؛ فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَخَسِرَ، أَفَتَأْتَمُنَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِعُضْبِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكْتَ، لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَأَ لَكَ، وَلَا يَغْرَنَّا أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْسَمَ<sup>(٥)</sup> وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ - يُرِيدُ عَائِشَةَ -.

قَالَ: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ فَكُنَّا نَتَنَاطَبُ<sup>(٦)</sup> النَّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ عَسَانَ تُعَلِّ

(١) بالإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

(٢) فتبرر: خرج إلى الفضاء لقضاء الحاجة.

(٣) نغلب النساء: يكون رأينا هو المقدم ولا تراجعنا أزواجنا في شيء.

(٤) بالعوالي: موضع قريب من المدينة.

(٥) أوسم: أي أحسن وأجمل والوسامة الجمال.

(٦) التناوب أن تفعل الشيء مرة ويفعل الآخر مرة أخرى.

الْحَيْلُ<sup>(١)</sup> لَتَعْزُونَ، فَنَزَلَ صَاحِبِي ثُمَّ أَنَانِي عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قُلْتُ: مَاذَا أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ. فَقُلْتُ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا. حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي؛ فَقُلْتُ: أَطَلَقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: لَا أَدْرِي، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ الْمَشْرَبَةِ<sup>(٢)</sup>، فَأَتَيْتُ غُلَامًا لَهُ أَسْوَدَ، فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنُ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ؛ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ.

فَانْطَلَقْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ، فَجَلَسْتُ فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ قَلِيلًا ثُمَّ عَلَبَنِي مَا أَجِدُ<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ أَتَيْتُ الْغُلَامَ؛ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنُ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ. فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي؛ فَقَالَ: ادْخُلْ؛ فَقَدْ أَذِنَ لَكَ.

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَّكِعٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ<sup>(٤)</sup> قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ؛ فَقُلْتُ: أَطَلَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَوْ رَأَيْتَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا نَغْلِبُهُمْ نِسَاءُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَتَغَضَّبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي؛ فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لِيرَاجِعُنَّهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؛ فَقُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ وَخَسِرَ، أَفْتَأْمُنُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِعِصَابِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(١) تنعل الخيل: أي: يجعلون خيلهم نعالا لغزونا يعني يتهيأون لقتالنا.

(٢) مشربة: غرفة صغيرة مرتفعة عن الأرض.

(٣) ثم غلبني ما أجد: أي: من شغل قلبه مما بلغه من تطبيقه ﷺ نساءه، ومن جملةهن حفصة بنته، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى.

(٤) حصير منسوج، وقيل: ضلوعه المتداخلة بمنزلة الخيوط في الثوب المنسوج.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ؛ فَقُلْتُ: لَا يَعْزُنُكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ  
أَوْسَمَ مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ؛ فَتَبَسَّمَ أُخْرَى؛ فَقُلْتُ: أَسْتَأْنِسُ<sup>(١)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
قَالَ: «نَعَمْ» فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ<sup>(٢)</sup> إِلَّا أَهْبَاءً<sup>(٣)</sup>  
ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُوسِّعَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَيَّ فَارِسَ وَالرُّومَ، وَهُمْ لَا  
يَعْبُدُونَ اللَّهَ. فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ: «أَفِي شَكِّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَوْلَيْتَكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ  
طَبِيبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا  
مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ<sup>(٤)</sup> عَلَيْهِنَّ حَتَّى عَاتَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٥)</sup>.

### ٨٩- الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ﷺ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ،  
وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَطٍ<sup>(٦)</sup> فِي نَاحِيَةِ فِي الْغُرْفَةِ، وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ، فَابْتَدَرْتُ  
عَيْنَايَ<sup>(٧)</sup>؛ فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَالِي لَا أَبْكِي، وَهَذَا الْحَصِيرُ  
قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَلِكَ كَسْرِي وَفَيْصُرِي فِي الثَّمَارِ

(١) الظاهر من إجابته ﷺ أن الاستئناس هنا هو الاستئذان في الأنس والمحادثة، ويدل عليه قوله: فجلست.

(٢) ذا قيمة يرجع البصر راضياً.

(٣) جمع إهاب، وهو الجلد الذي لم يدبغ.

(٤) من شدة موجدته: أي: غضبه.

(٥) أخرجه البخاري (٨٧١:٢) رقم (٢٢٣٦)، ومسلم (١١٠٥:٢) رقم (١٤٧٩)، والترمذي (٤٢٠:٥)

رقم (٣٣١٨)، وأحمد (٣٣:١) رقم (٢٢٢).

(٦) القرط: ورق السلم يدبغ به.

(٧) فابتدرت عينايا: أي لم أملك أن بكيت حتى سألت دموعي.

وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. قَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَهُمْ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَامٍ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ، قَالَ: فَكَيْتُ؛ فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصَرٌ يَطُؤُونَ عَلَى الْحَزْزِ<sup>(٢)</sup> وَالْحَرِيرِ وَالِدِّيَابِجِ<sup>(٣)</sup> وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى الْحَصِيرِ، وَقَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ، قَالَ: «فَلَا تَبْكُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ لَهُم الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةَ، مَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلُ رَاكِبٍ قَالَ<sup>(٤)</sup> تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارَ وَتَرَكَهَا»<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَطِيفَةً<sup>(٦)</sup> مَنِيئَةً، فَاَنْطَلَقَتْ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَانَهُ الْأَنْصَارِيَّةُ دَخَلْتُ عَلَيَّ، فَرَأْتُ فِرَاشَكَ فَذَهَبَتْ فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهَذَا؛ قَالَ: «رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ، فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَجْرَى اللَّهُ مَعِيَ جِبَالَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١١٠٥:٢) رقم (١٤٧٩)، وابن ماجه (١٣٩٠:٢) رقم (٤١٥٣)، وابن حبان (٤٩٦:٩) رقم (٤١٨٨).

(٢) قال ابن الأثير: الحزُّ المعروف أولاً: ثياب تُنْسَجُ من صُوف وإِبْرَيْسَم، وهي مُبَاحَة، وقد لَبَسَهَا الصَّحَابَة وَالتَّابِعُونَ، فيكون النَّهْيُ عنها لأجل التَّشْبِيهِ بالعجمِ وَزِي المُرْتَفِينِ. وإن أريد بالحزُّ النَّوعُ الأخر وهو المعروف الآن فهو حرام؛ لأن جميعه معمولٌ من الإِبْرَيْسَم وعليه يحمل الحديث «قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الحَزَّ والحَرِيرَ».

(٣) الثِّيَابُ المُنْتَخَذَةُ من الإِبْرَيْسَم، فارسي مُعْرَبٌ.

(٤) قَالَ يَقِيلُ قَيْلُولَةً: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣١١:٧) رقم (١٠٤١٣).

(٦) كساء له أهداب ودثار أو فراش ذو أهداب.

(٧) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٣:٢) رقم (١٤٦٨).

## ٩٠- لَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَعْلَمَ

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا بِقُبَاءٍ<sup>(١)</sup>، وَمَعَهُ نَفَرٌ، فَقَامَ مُضَعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَيْهِ بُرْدَةٌ مَا تَكَادُ تُوَارِيهِ، وَنَكَسَ<sup>(٢)</sup> الْقَوْمُ، فَجَاءَ فَسَلَّمَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ، فَقَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْرًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا عِنْدَ أَبِيهِ بِمَكَّةَ يُكْرِمَانِهِ وَيُنْعِمَانِهِ، وَمَا فَتَى مِنْ فِتْيَانِ قُرَيْشٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَنُصْرَةِ رَسُولِهِ، أَمَا أَنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ إِلَّا كَذَا وَكَذَا حَتَّى يُفْتَحَ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، فَيَعْدُو<sup>(٣)</sup> أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَيَرُوحُ<sup>(٤)</sup> فِي حُلَّةٍ<sup>(٥)</sup>، وَيُعْدَى عَلَيْكُمْ بِقِصْعَةٍ وَيُرَاحُ عَلَيْكُمْ بِقِصْعَةٍ<sup>(٦)</sup>» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَوْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، أَمَا لَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَعْلَمَ لَأَسْتَرَا حَتَّى أَنْفُسُكُمْ مِنْهَا<sup>(٧)</sup>.

## ٩١- الدَّفَاعُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ضِدَّ الْأَحْزَابِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْحَنْدَقِ، قَالَ: فَكَانَتْ عِنْدِي سُوءِيَّةٌ عَنَزَ جَدْعٌ سَمِيئَةٌ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ: فَأَمَرْتُ أَمْرًا فِطْحَنْتُ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، وَصَنَعْتُ لَنَا مِنْهُ حُبْرًا، وَدَبَّحْتُ تِلْكَ الشَّاةَ فَسُوءِيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

(١) مَوْضِعٌ بِمِيلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

(٢) أَيُّ حَفَّصُوا رُؤُوسَهُمْ وَطَاطَؤُوا إِلَى الْأَرْضِ؛ حَيَاءً، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا يَعْطُونَهُ.

(٣) الْغَدْوَةُ: مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى الزَّوَالِ.

(٤) الرُّوحَةُ بَفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى اللَّيْلِ.

(٥) الْحُلَّةُ وَاحِدَةُ الْحُلِّ، وَهِيَ بُرُودُ الْيَمَنِ، وَلَا تُسَمَّى حُلَّةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَوْبِيْنٍ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ.

(٦) أَيُّ: صَحْفَةٌ كَبِيرَةٌ.

(٧) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٦٦٤٠)، وَابِيهَقِي فِي «شُعْبِ الْإِيمَانِ» (١٠٣٢٩).

قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْخُنْدَقِ - قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ  
بَهَارًا، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلِنَا- قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ  
عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأَحَبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي. وَإِنَّمَا أُرِيدُ  
أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّهُ.

قَالَ: فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ: «نَعَمْ». ثُمَّ أَمَرَ صَارِحًا فَصَرَخَ أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرٍ.

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ:  
فَجَلَسَ وَأَخْرَجَنَا هَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَرَكَ وَسَمَّى ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَعَ قَوْمٌ قَامُوا  
وَجَاءَ نَاسٌ حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخُنْدَقِ عَنْهَا<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ جَابِرًا ﷺ فَقَالَ: إِنَّا يَوْمَ الْخُنْدَقِ نَحْمِرُ  
فَعَرَضْتُ كُدْيَةً<sup>(٢)</sup> شَدِيدَةً؛ فَجَاؤُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخُنْدَقِ؛ فَقَالَ: «أَنَا  
نَازِلٌ». ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ<sup>(٣)</sup> بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا؛ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ  
السِّمْعُولَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيْبًا<sup>(٤)</sup> أَهْيَلٌ أَوْ أَهْيَمٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) «مسند أحمد» (٣: ٣٧٧) رقم (١٥٠٧٠) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد  
حسن من أجل ابن إسحاق، وقد تابعه حنظلة بن أبي سفيان وهو ثقة من رجال الشيخين.

(٢) كدية: قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول.

(٣) معصوب: مربوط من شدة الجوع.

(٤) كثيبا: تفتتت حتى صارت كالرمل.

(٥) أهيل: ينهال فيتساقط من جوانبه ويسيل من لينه. أهيم: بمعنى أهيل.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِدْنِي إِلَى الْبَيْتِ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا<sup>(١)</sup> مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرًا<sup>(٢)</sup> فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ<sup>(٣)</sup>. فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ<sup>(٤)</sup>.

ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ<sup>(٥)</sup>، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِي<sup>(٦)</sup> قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْصَجَ؛ فَقُلْتُ: طَعِيمٌ<sup>(٧)</sup> لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ لَهُ. قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ» قَالَ: «قُلْ لَهَا: لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي» فَقَالَ: «فُؤُومُوا».

فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَتْ: هَلْ سَأَلْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاعَطُوا<sup>(٨)</sup>» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيَحْمَرُّ<sup>(٩)</sup> الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ

(١) شيئاً: أي من الجوع .

(٢) ما كان في ذلك صبر: أي: فهو مما لا يحتمل، أو لم يبق لدي الصبر أن أرى ما في رسول الله ﷺ وأتركه هكذا.

(٣) عناق: الأثني من ولد المعز.

(٤) البرمة: القدر.

(٥) قد انكسر: لأن وتمكن فيه الخمير .

(٦) الأثافي: جمع الأثفية وهي الحجارة التي تنصب وتوضع عليها القدر.

(٧) طعيم: مصغر طعام، وصغره لقلته.

(٨) تضاعطوا: تزدهموا.

(٩) يحمر: يغطي.

وَيُقَرَّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَعْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَعِيفًا أَعْرَفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟

فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا<sup>(٢)</sup> لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَتْهُ<sup>(٣)</sup> تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَسْجِدِ<sup>(٥)</sup> وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرْسَلَكِ أَبُو طَلْحَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بِطَعَامٍ» قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمَنْ مَعَهُ: «فُومُوا» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى دَخَلَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «هَلْمِي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكَ؟».

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٥:٤) رقم (٣٨٧٥).

(٢) خمارا: ثوبا تغطي به المرأة رأسها.

(٣) دسسته: أدخلته بقوة.

(٤) وردتني: أي: جعلت بعضه رداء على رأسي.

(٥) المراد بالمسجد: الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق. «فتح الباري» لابن حجر (٦: ٥٨٨).

فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْحَبِيزِ فَاَمَرَهُ بِهِ فُقَّتْ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عَكَّةَ<sup>(١)</sup> لَهَا فَأَادَمَتْهُ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «أُذِنَ لِعَشْرَةٍ»<sup>(٣)</sup> فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «أُذِنَ لِعَشْرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «أُذِنَ لِعَشْرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ أَذِنَ لِعَشْرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا<sup>(٤)</sup>.

## ٩٢- ثَلَاثُ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ لِعَطْفَانٍ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، وَإِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيِّ، وَهُمَا قَائِدَا عَطْفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثَلَاثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصُّلْحُ حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعِ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ إِلَّا الْمُرَاوِضَةَ<sup>(٥)</sup> فِي ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ؛ فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرًا نُحِبُّهُ فَصَنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا نَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْبِي

(١) عكة: هو وعاء صغير من جلد للسمن خاصة.

(٢) فأدمته: هو بالمد والقصر لغتان، آدمته وأدمته، أي: جعلته إداما للمفتوت.

(٣) إنما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فإن القصعة التي فت فيها تلك الأقراص لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣: ١٣١١) رقم (٣٣٨٥)، ومسلم (٣: ١٦١٢) رقم (٢٠٤٢).

(٥) المراوضة: المساومة والمجادبة.

رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتَكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ<sup>(١)</sup>، وَكَالْبُوكُمُ<sup>(٢)</sup> مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ<sup>(٣)</sup> إِلَى أَمْرِ مَا».

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمَرَةً إِلَّا قَرَى<sup>(٤)</sup> أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا، (وَاللَّهُ) مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهُ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَنْتَ وَذَلِكَ». فَتَنَاولَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنْ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا<sup>(٥)</sup> عَلَيْنَا<sup>(٦)</sup>.

### ٩٣- الظُّرُوفُ الصَّعْبَةُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ

قَالَ حَدِيثُهُ: وَاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْحَنْدَقِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ<sup>(٧)</sup>، ثُمَّ التَّفَّتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ-يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ- أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟» فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ

(١) هذا مثلٌ في الاتفاق.

(٢) اشتدوا عليكم

(٣) الشوكة: شدة البأس والحركة في السلاح.

(٤) القرى: إكرام الضيف بما يقدم له.

(٥) يجهدوا: يبلغوا أقصى ما يقدرون عليه.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٢: ٢٢٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٤: ٩) رقم (١٣١٥).

(٧) هَوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ: قَالَ فِي «النَّهَائِيَّةِ»: الْهُوِيُّ -بِالْفَتْحِ-: الْحِينُ الطَّوِيلُ مِنَ الزَّمَانِ، وَقِيلَ: هُوَ مُحْتَضُّ بِاللَّيْلِ.

يَكُنْ لِي بُدٌّ مِّنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «يَا حُدَيْفَةُ، اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ، فَانظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينَا».

قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ، وَالرِّيحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لَا تُقِرُّهُمْ قَدْرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً<sup>(١)</sup>. فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ. فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مِّنْ جَلِيسِهِ؟ قَالَ حُدَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ. ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مَقَامٍ، لَقَدْ هَلَكَ الْكِرَاعُ<sup>(٢)</sup> وَالْخُفُّ، وَأَخْلَفْتَنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قُدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ؛ فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ. ثُمَّ قَامَ إِلَى جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ<sup>(٣)</sup> فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ فَوَثَبَ بِهِ عَلَى ثَلَاثٍ، فَوَاللَّهِ مَا أَطْلَقَ عِقَالَهُ إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ، وَلَوْ لَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ أَنْ لَا تُحَدِّثَ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِينِي، وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ.

قَالَ حُدَيْفَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ -لِبَعْضِ نِسَائِهِ- مُرْحَلٍ<sup>(٤)</sup>. فَلَمَّا رَأَى أَدْخَلَنِي إِلَى رَحْلِهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، وَإِنِّي لَفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ<sup>(٥)</sup>.

(١) لا تدع الريح شيئاً مستقرّاً في مكانه.

(٢) الكراع: اسم لجمع الخيل. والخف يراد به الإبل.

(٣) عقل البعير يعقل: إذا شدَّ بالعقال وهو الحبل الذي يشد به، والإبل المعقلة المشدودة بالعقل.

(٤) مرط: المرط كساء يكون تارة من صوف وتارة من شعر أو كتان أو خز. (مرحل) معناه: عليه صورة رحال الإبل.

(٥) أخرجه أحمد (٣٩٢:٥) رقم (٢٣٣٨٢)، وابن هشام في «سيرته» (٢:٢٣١). قال الشيخ شعيب

الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن لولا إرساله.

## ٩٤- إِبَارَةُ ﷺ بِانْتِهَاءِ غَزْوِ قُرَيْشٍ لَهُمْ

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا»<sup>(١)</sup>.  
وفي لفظٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ أَجَلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

## ٩٥- حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ (الْحُدَيْبِيَّةِ)

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ حَرْمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْعَمِيمِ<sup>(٣)</sup> فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ»<sup>(٤)</sup>، فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤: ١٥٠٨) رقم (٣٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤: ١٥٠٩) رقم (٣٨٨٤).

قال ابن إسحاق: فلم تعد قريش بعد ذلك، وكان رسول الله ﷺ يغزوهم بعد ذلك حتى فتح مكة.

(٣) الغميم: وادٍ بينه وبين مكة مرحلتان.

(٤) طلعية: مقدمة الجيش. وذكر ابن سعد: أن خالدًا كان في وائتي فارس، فيهم عكرمة بن أبي جهل.

(٥) أي: الطريق التي فيها خالد وأصحابه. قال ابن هشام: قال الزهري: ثم قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ

يُخْرِجُ بِنَا عَلَى طَرِيقِ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّذِي هُمْ بِهَا؟».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَسَلِّكَ بِهِمْ

طَرِيقًا وَعَرَا أَجْرَلْ (أي: كثير الحجارة) بَيْنَ شِعَابٍ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْهُ وَقَدْ سَنَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضُوا إِلَى

أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطِعِ الْوَادِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ: «قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَتَتُوبُ إِلَيْهِ». فَقَالُوا ذَلِكَ؛

فَقَالَ: «وَاللَّهِ، إِنَّهَا لِلْحِطَّةِ الَّتِي عَرَضْتَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا». قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

النَّاسَ فَقَالَ: «أَسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرِي الْحُمْسِ». فِي طَرِيقِ تُخْرِجُهُ عَلَى ثِنْيَةِ الْمَرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَّةِ.

فَوَاللَّهِ، مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ، حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ<sup>(١)</sup>، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقَرِيْشٍ<sup>(٢)</sup>.  
 وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي يُهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ؛ فَقَالَ  
 النَّاسُ: حَلَّ حَلٌّ<sup>(٤)</sup> فَأَلْحَتْ<sup>(٥)</sup>.

فَقَالُوا: خَلَّاتُ<sup>(٦)</sup> الْقَصَوَاءِ<sup>(٧)</sup>، خَلَّاتُ الْقَصَوَاءِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءِ،  
 وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ<sup>(٨)</sup>، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفَيْلِ<sup>(٩)</sup>».

(١) الْعَبَّارُ الْأَسْوَدُ.

(٢) (فَأَنْطَلَقَ) أَي: خَالِدٌ (يَرْكُضُ) جَمَلَةٌ حَالِيَةٌ مِنْ خَالِدٍ مِنَ الرِّكْضِ، وَهُوَ الصَّرْبُ بِالرَّجْلِ عَلَى الدَّابَّةِ لِأَجْلِ  
 اسْتِعْجَالِهِ فِي السَّيْرِ. (نَذِيرًا) أَي: مِنْذِرًا لِقَرِيْشٍ بِمَجِيءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٣) طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ، تُشْرِفُ عَلَى الْحُدَيْبِيَّةِ.

(٤) حَلَّ حَلٌّ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِلنَّاقَةِ إِذَا تَرَكَتِ السَّيْرَ.

(٥) فَأَلْحَتْ: لَزِمَتْ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتَبَعْ.

(٦) الْخَلَّاءُ: بِالْمَعْجَمَةِ وَالْمَدِّ: لِلْإِبِلِ كَالْحِرَانِ لِلْخَيْلِ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: لَا يَكُونُ الْخَلَّاءُ إِلَّا لِلنُّوقِ خَاصَّةً. وَقَالَ  
 ابْنُ فَارِسٍ: لَا يُقَالُ لِلْجَمَلِ خَلًّا لَكِنْ أَلْحَ. «فتح الباري» (٥: ٣٣٥).

(٧) اسْمُ نَاقَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي ابْتَاعَهَا أَبُو بَكْرٍ، وَأُخْرَى مَعَهَا مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ بِشَاهِنَاءَةَ ذُرَّهَمٍ، وَهِيَ  
 الَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ رِبَاعِيَّةً، وَكَانَ لَا يَحْمِلُهُ غَيْرَهَا إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوُحْيُ

(٨) بِخُلُقٍ: بِعَادَةٍ.

(٩) أَي: حَبَسَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ كَمَا حَبَسَ الْفَيْلَ عَنْ دُخُولِهَا، وَمُنَاسَبَةٌ ذِكْرُهَا أَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ  
 دَخَلُوا مَكَّةَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَصَدَّهُمْ قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ لَوَقَعَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ قَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ، وَنَهَبِ  
 الْأَمْوَالِ، كَمَا لَوْ قَدَّرَ دُخُولُ الْفَيْلِ وَأَصْحَابِهِ مَكَّةَ، لَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي  
 الْإِسْلَامِ خَلْقٌ مِنْهُمْ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ نَاسٌ يُسَلِّمُونَ وَيُجَاهِدُونَ، وَكَانَ بِمَكَّةَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ جَمْعٌ كَثِيرٌ  
 مُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرُّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ فَلَوْ طَرَقَ الصَّحَابَةُ مَكَّةَ لَمَا أَمِنَ أَنْ يُصَابَ نَاسٌ مِنْهُمْ

بِعَیْرِ عَمْدٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾ [الفتح: ٢٥]، الْآيَةُ.

ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ<sup>(١)</sup>، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً<sup>(٢)</sup> يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup> إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا<sup>(٤)</sup>». ثُمَّ زَجَرَهَا فَوُثِّبَتْ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ<sup>(٦)</sup> حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ<sup>(٧)</sup> قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا<sup>(٨)</sup>، فَلَمْ يَلْبِثْهُ النَّاسُ<sup>(٩)</sup> حَتَّى نَزَحُوهُ<sup>(١٠)</sup>، وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَرَعَ سَهْمًا كِنَانَتِهِ<sup>(١١)</sup>، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ<sup>(١٢)</sup>.

(١) قال الحافظ ابن القيم: جَوَازُ الْحَلْفِ، بَلِ اسْتِحْبَابُهُ عَلَى الْخَبْرِ الدِّينِيِّ الَّذِي يُرِيدُ تَأْكِدَهُ، وَقَدْ حُفِظَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْحَلْفُ فِي أَكْثَرِ مِنْ تَمَازِينِ مَوْضِعًا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحَلْفِ عَلَى تَصْدِيقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: فِي (سُورَةِ يُونُسَ) وَ (سَبَأٍ) وَ (التَّغَابُنِ). «زاد المعاد» (٣: ٢٦٩).

(٢) أَي: خِصْلَةً.

(٣) أَي: مِنْ تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ.

(٤) إِيَّاهَا، أَي: أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا.

(٥) قَوْلُهُ: (ثُمَّ زَجَرَهَا) أَي النَّاقَةَ (فَوُثِّبَتْ) أَي قَامَتْ.

(٦) (فعدل عنهم) ولى راجعا.

(٧) (ثمد) حفرة فيها ماء قليل.

(٨) هُوَ الْأَخْذُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَالْبَرَّضُ الْبَسِيرُ مِنَ الْعَطَاءِ، وَقَالَ صَاحِبُ «الْعَيْنِ»: هُوَ جَمْعُ الْمَاءِ بِالْكَفِّينِ.

(٩) لم يتركوه يثبت ويقيم.

(١٠) لم يبقوا منه شيئاً.

(١١) الْكِنَانَةُ: وَهِيَ جَعْبَةُ النَّشَابِ سُمِّيَتْ كِنَانَةً لِأَنَّهَا تَكُنُّ السَّهَامَ أَي: تَسْتُرُهَا، أَي أَخْرَجَ سَهْمًا مِنْ جَعْبَتِهِ.

(١٢) أَي: ثم أمرهم رسول الله أن يجعلوا السهم في الثمد المذكور. وفي رواية الزهري فأخرج سهماً من

فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل قليلاً (بثراً) من تلك القلب فغرزه من جوفه فجاش بالرواء، وقال ابن

إسحاق: إن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ناجية بن جندب سائق بدن رسول الله ﷺ.

فَوَاللَّهِ، مَا زَالَ يَجِيْشُ <sup>(١)</sup> هُمْ بِالرِّيِّ <sup>(٢)</sup> حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ <sup>(٣)</sup>.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُرَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نَضْحٍ <sup>(٤)</sup> رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ <sup>(٥)</sup>، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامَرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادًا <sup>(٦)</sup> مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ <sup>(٧)</sup>، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبَ <sup>(٨)</sup>، وَأَصْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً <sup>(٩)</sup>، وَيُحِلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُ <sup>(١٠)</sup>: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمَّوْا <sup>(١١)</sup>، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا،

(١) (يجيش) يفور.

(٢) (بالري) ما يريوهم من الماء.

(٣) (صدروا عنه) رجعوا عنه.

(٤) (عيبة نضح) محل نضحه وموضع سره وأمانته، والعبية في الأصل ما يوضع فيه الثياب لحفظها، والنضح الخلوص من الشوائب.

(٥) وهي مكة وما حولها من البلدان، وحدها من جهة المدينة العرج ومنتهاها إلى أقصى اليمن. ويقال: تهامة اسم لكل ما نزل من نجد، واشتقاقه من التهم، وهو شدة الحر وركود الريح.

(٦) (الأعداد: جمع عد، وهو الماء الذي لا انقطاع له، يقال: ماء عد، ومياه أعداد.

(٧) «جاءوا بالعوذ المطافيل» أي الإبل مع أولادها. والمطفل: الناقة القريبة العهد بالنتاج معها طفلهما. يريد: أنهم جاءوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ١٣٠).

(٨) (نهكتهم) أضعفت قوتهم وأموالهم وأهزلتهم.

(٩) (ماددتهم مدة) جعلت بيني وبينهم مدة صلح وهدنة.

(١٠) (أظهر) غلبت عليهم.

(١١) (جمو) استراحوا من جهد الحرب.

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقَاتِلَنَّهٗمْ عَلَىٰ أَمْرِي هَذَا حَتَّىٰ تَنْفِرَ سَالِفَتِي<sup>(١)</sup>، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ<sup>(٢)</sup>». فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

قَالَ: فَانْطَلِقْ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ نُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ دُوو الرَّاىِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ<sup>(٣)</sup>؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالْوَالِدِ<sup>(٤)</sup>؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ<sup>(٥)</sup>، فَلَمَّا بَلَحوَا<sup>(٦)</sup> عَلَيَّ جِئْتَكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، أَقْبِلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: آتِيهِ.

فَاتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ<sup>(٧)</sup>، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاَحَ<sup>(٨)</sup>

(١) (تنفرد سالفتي) ينفصل مقدم عنقي أي حتى أقتل.

(٢) في نصر دينه .

(٣) (بالوالد) مثل الوالد في الشفقة والمحبة.

(٤) (بالولد) مثل الولد في النصح لوالده.

(٥) أَي دَعَوْتَهُمْ إِلَىٰ نَصْرِكُمْ.

(٦) (بلحووا) امتنعوا. وَالتَّبَلُّحُ التَّمْنَعُ مِنَ الإِجَابَةِ، وَبَلَحَ الْغَرِيمُ إِذَا امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ مَا عَلَيْهِ.

(٧) دليل على أن النبي ﷺ كان يومئذ في جمع يخاف منه عروة على أهل مكة الاستئصال لو قاتلهم.

(٨) (اجتاحت) أهلك واستأصل.

أَهْلُهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا<sup>(١)</sup>، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا<sup>(٢)</sup> مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا<sup>(٣)</sup> أَنْ يَغْرِوْا وَيَدْعُوكَ<sup>(٤)</sup>، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصَصْ بِيْطْرَ اللَّاتِ<sup>(٥)</sup>، أَنْحَنُ نَفْرًا عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟!

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا<sup>(٦)</sup> لَأَجَبْتُكَ. قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَا أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ<sup>(٧)</sup>. وَالْمَغِيرَةُ بِنُ

(١) (وُجُوهًا)، أَي: أَعْيَانُ النَّاسِ.

(٢) قَوْلُهُ: (أَشْوَابًا) بِتَقْدِيمِ الْمُجْمَعَةِ عَلَى الْوَاوِ، كَذَا لِلْأَكْثَرِ، وَعَلَيْهَا اقْتَصَرَ صَاحِبُ «الْمَشَارِقِ»، وَوَقَعَ لِأَبِي ذَرِّ عَنِ الْكُشْمِيهِنِيِّ (أَوْشَابًا) بِتَقْدِيمِ الْوَاوِ. وَالْأَشْوَابُ: الْأَخْلَاطُ مِنْ أَنْوَاعِ شَتَّى، وَالْأَوْبَاشُ: الْأَخْلَاطُ مِنَ السَّفَلَةِ. فَأَلْأَوْبَاشُ أَخْصُ مِنَ الْأَشْوَابِ. «فتح الباري» (٥ : ٣٤٠).

(٣) خَلِيقًا: أَي حَقِيقًا، وَزْنَا وَمَعْنَى.

(٤) أَي: يَتْرُكُوكَ. وَفِيهِ: أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ أَنَّ الْجِيُوشَ الْمُجْمَعَةَ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهَا الْفِرَارُ، بِخِلَافِ مَنْ كَانَ مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ فَإِنَّهُمْ يَأْتَفُونَ الْفِرَارَ فِي الْعَادَةِ. وَمَا دَرَى عُرْوَةَ أَنَّ مَوَدَّةَ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنْ مَوَدَّةِ الْقَرَابَةِ، وَقَدْ ظَهَرَ لَهُ ذَلِكَ مِنْ مُبَالَغَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ. «فتح الباري» (٥ : ٣٤٠).

(٥) قَوْلُهُ: (امْصَصْ) بِأَلْفٍ وَصَلٍ، وَمُثَمِّلَتَيْنِ الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ، بِصِيغَةِ الْأَمْرِ. وَحَكَى بِنِ الْتَيْنِ عَنْ رِوَايَةِ الْقَابِسِيِّ صَمَّ الصَّادِ الْأُولَى، وَخَطَّأَهَا.

وَالْبَطْرُ: قِطْعَةٌ تَبْقَى بَعْدَ الْخِتَانِ فِي فَرْجِ الْمَرْأَةِ، وَاللَّاتُ: اسْمُ أَحَدِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ تُرِيثُ وَثَقِيفٌ يَعْبُدُوهَا، وَكَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ الشَّتْمُ بِذَلِكَ لَكِنْ بِلَفْظِ الْأُمَّ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ الْمُبَالَغَةَ فِي سَبِّ عُرْوَةَ بِإِقَامَةِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَقَامَ أُمِّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا أَعْضَبَهُ بِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْفِرَارِ، وَفِيهِ جَوَازُ النُّطْقِ بِمَا يُسْتَبْسَعُ مِنَ الْأَلْفَاطِ لِإِرَادَةِ رَجْرِ مَنْ بَدَأَ مِنْهُ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ. «فتح الباري» (٥ : ٣٤٠).

وقال ابن بطال: وهكذا يجب أن يجاب من جفا على سروات الناس وأفاضلهم ورماهم بالفرار.

(٦) نعمة لك علي، لم أكافئك عليها.

(٧) هَذِهِ كَانَتْ عَادَةً مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ تَجْرِي تَجْرِي الْمَلْطَفَةِ، وَلَمْ يَدْفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ حَلْمًا عَنْهُ وَاسْتِهْلَالَةً لَهُ.

شُعْبَةَ قَائِمٍ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ<sup>(٢)</sup>، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى حِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ لَهُ: أَخْرَ يَدَكَ عَنْ حِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟

قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيُّ غُدْرٍ<sup>(٤)</sup>، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غُدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحَبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلْتَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) قيام المغيرة على رأس رسول الله ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ كالحراسة له؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي مَقَامِ حَرْبٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ هَذَا جَوَازِ الْقِيَامِ عَلَى رَأْسِ الرَّئِيسِ عَلَى وَجْهِ الْكِبَرِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى ﷺ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

(٢) ما يوضع على الرأس تحت الخوذة من زَرَدٍ مَنْسُوجٍ، وَيُسَدَّلُ عَلَى الْوَجْهِ؛ لِيَحْمِيَهُ مِنْ ضَرَبَاتِ السَّلَاحِ.  
(٣) نَعْلُ السَّيْفِ: مَا يَكُونُ أَسْفَلَ الْقِرَابِ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ فِضَّةٍ، وَإِنَّمَا فَعَلَ بِهِ الْمُغِيرَةُ هَذَا لِأَنَّ تِلْكَ الْعَادَةَ كَانَتْ تَجْرَى بَيْنَ النَّظَرَاءِ.

(٤) (غدر) وهو صيغة مبالغة من الغدر.

(٥) وَقَوْلُهُ: أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غُدْرَتِكَ؟ كَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَدْ خَرَجَ مَعَ نَفَرٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ إِلَى الْمُتَوْقِسِ وَمَعَ الْقَوْمِ هَدَايَا، فَقَبِلَهَا مِنْهُمْ الْمُتَوْقِسُ وَوَصَلَهُمْ بِجَوَائِزٍ، وَقَصَرَ بِالْمَغِيرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقَوْمِ، فَجَلَسُوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ يَشْرَبُونَ، فَلَمَّا سَكِرُوا وَنَامُوا قَتَلَهُمُ الْمُغِيرَةُ جَمِيعًا وَأَخَذَ مَا كَانَ مَعَهُمْ، وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَا فَعَلَ الْمَالِكِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَكَ؟ قَالَ: قَتَلْتَهُمْ وَجِئْتُ بِأَسْلَابِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخَمِّسَهَا أَوْ يَرَى فِيهَا رَأْيَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ غَنِيمَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِسْلَامُكَ فَتَقَبَّلْهُ، وَلَا آخِذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا وَلَا أَخْمِسْهُ؛ لِأَنَّ هَذَا غُدْرٌ، وَالْغُدْرُ لَا خَيْرَ فِيهِ».

وَإِنَّمَا أَمْتَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِذِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ؛ لِأَنَّ الرِّفْقَاءَ يُصْطَحِبُونَ عَلَى الْأَمَانَةِ، وَالْأَمَانَةُ مُؤَدَاةٌ إِلَى الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ، وَبَلَغَ الْحَبْرُ تَقْيِينًا بِالطَّائِفِ فَتَدَاعَوْا لِلْقِتَالِ، ثُمَّ اصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَحْمِلَ عَنْهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ - عَمَّهُ - ثَلَاثَ عَشْرَةَ دِينَةً، فَلِذَلِكَ قَالَ: أَيُّ غُدْرٍ! أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غُدْرَتِكَ؟ «كشَفُ الْمَشْكَلِ» (٤ : ٥٥).

ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ<sup>(١)</sup> أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا تَنَحَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ<sup>(٢)</sup>، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ<sup>(٣)</sup>، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ<sup>(٤)</sup>، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُجِدُونَ<sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ، لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمَلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ<sup>(٦)</sup>، وَاللَّهِ، إِنَّ<sup>(٧)</sup> رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا.

وَاللَّهِ، إِنَّ تَنَحَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُجِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ فَاقْبَلُوهَا.

(١) أي: يلحظهم كالمسارق للنظر.

(٢) قال ابن بطال: وتدلّكهم بنخامته ﷺ على وجه التبرك ورجاء نفعها في أعضائهم. وفيه: طهارة النخامة بخلاف من جعلها تنجس الماء، وإنما أكثروا من ذلك بحضرة عدوه، وتزاموه عليه؛ لأجل قوله: «إني لأرى وجوهاً وأشواباً من الناس خليقاً أن يفروا عنك ويدعوك». فأروه أنهم أشدّ اغتباطاً وتبركاً بأمره، وتثبتاً في نصرته من القبائل التي تراعي الرحم بينهم. «شرح صحيح البخاري» (٨: ١٢٩).

(٣) (ابتدروا أمره) أسرعوا في تلبيته وتنفيذه.

(٤) الوضوء - بفتح الواو: الماء الذي يتوضأ به.

(٥) (يجدون) من الإحداد، وهو شدة النظر، أي: لا يتأملونه ولا يديمون النظر إليه.

(٦) قيصر: وهو لقب لكل من ملك الروم. وكسرى، بكسر الكاف وفتحها: اسم لكل من ملك الفرس، والنجاشي: بتخفيف الجيم وتشديد الياء وتخفيفها: اسم لكل من ملك الحبشة.

(٧) إن بمعنى ما، أي: ما رأيت.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُذْنَ»<sup>(١)</sup>، فَابْعَثُوا لَهُ<sup>(٢)</sup> فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قَلَّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مَكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مَكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»<sup>(٣)</sup>، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»<sup>(٤)</sup>. فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو؛ فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا<sup>(٥)</sup>؛ فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ الْكَاتِبَ<sup>(٦)</sup>، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ، مَا أَدْرِي مَا هُوَ<sup>(٧)</sup>؟! وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.

(١) (يعظمون البدن) أي: لا يستحلونها ولا يعتدون عليها، والبدن جمع بدنة وهي ما يهدى للحرم من الإبل أو البقر.

(٢) (فابعثوها له) أثيروها أمامه.

(٣) رجل فاجر: أصل الفُجور: الخُرُوجُ عَنِ الْحَقِّ.

(٤) دليل على استحباب التفاؤل بِالْإِسْمِ الْحَسَنِ، وَإِنَّهَا يَكْرَهُ التَّشَاؤْمَ وَهُوَ التَّطْيِيرُ.

(٥) وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى مِنْ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا انْتَهَى -أَي: سُهَيْلٌ- إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَرَى بَيْنَهُمَا الْقَوْلُ حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ عَلَى أَنْ تُوَضَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنْ يَأْمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُمْ هَذَا، وَهَذَا الْقَدْرُ مِنْ مُدَّةِ الصُّلْحِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ هُوَ الْمُتَعَمَّدُ عَلَيْهَا. «عمدة القاري» (١٤ : ١٢).

(٦) هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ.

(٧) قول سهيل: (ما نعرف الرحمن) فإن الله قد أخبر عنهم بذلك في كتابه ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ، لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اَكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ». ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>».

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُحْتَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفَ بِهِ». فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ، لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ<sup>(٢)</sup> أَنَا أُحْدِثُ ضُغْطَةً<sup>(٣)</sup>، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكْتُبْ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا.

قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟! فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ<sup>(٤)</sup> فِي فُيُودِهِ<sup>(٥)</sup>، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ،

(١) قال ابن الجوزي: وَفِيهَا جَرَى مِنْ مَوَافِقَتِهِمْ فِي كِتَابِ مَا أَرَادُوا تَعْلِيمَ لِلْخَلْقِ حَسْنَ الْمَدَارَاةِ وَالْتِطْفِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَخْرُجَ الْمَدَارَاةُ عَنِ الشَّرْعِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَا وَافَقَهُمْ إِلَّا فِي جَائِزٍ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» يَتَضَمَّنُ مَعْنَى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ لَا يُخْرِجُهُ عَنِ النَّبُوءَةِ. «كَشَفَ الْمَشْكَلَ مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ» (٤: ٥٦).

(٢) قال العيني: قَوْلُهُ: «فَقَالَ سُهَيْلٌ (وَاللَّهِ لَا) أَي: لَا يَخْلَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ. وَقَوْلُهُ: «تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ» جُمْلَةٌ اسْتِثْنَائِيَّةٌ وَكَيْسَتْ مَدْخُولَةٌ: لَا، وَمَدْخُولَةٌ: لَا، مَحْذُوفَةٌ وَهِيَ الَّتِي قَدَرْنَاهَا، وَبَعْضُهُمْ ظَنُّ أَنْ: لَا، دَخَلَتْ عَلَى قَوْلِهِ: «تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ» حَتَّى قَالَ عِنْدَ شَرْحِ هَذَا: قَوْلُهُ: «لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ» وَهَذَا ظَنُّ فَاسِدٍ، فَافْهَمْ، فَإِنَّهُ مَوْضِعٌ قَلِيلٌ مِنْ يُدْرِكُ ذَلِكَ. «عَمْدَةُ الْقَارِي» (١٤: ١٣).

(٣) «إِنَّا أُحْدِثْنَا ضُغْطَةً» أَي: قَهْرًا. وَقَالَ الدَّوَادِي: مَفْجَأَةٌ.

(٤) (يرسِف) يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيود.

(٥) كَانَ سُهَيْلٌ أَوْثَقَهُ وَسَجَنَهُ حِينَ أَسْلَمَ، فَخَرَجَ مِنَ السَّجْنِ وَتَنَكَّبَ الطَّرِيقَ وَرَكِبَ الْجِبَالَ حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَفَرَّحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَتَلَقَّوهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ». قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»<sup>(١)</sup>، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ». قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مُكْرَرًا: بَلَى قَدْ أَجْزَنَاهُ لَكَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ<sup>(٣)</sup>؟ وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ.

قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى». قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَكَأَنَّكَ أَعْصِيهِ»<sup>(٤)</sup>، وَهُوَ نَاصِرِي».

قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ مُحَدِّثَنَا أَنَّا سَنَأِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟!». قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ».

قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ<sup>(٥)</sup>؛ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ

(١) (فَأَجِزْهُ لِي) بِصِيغَةِ فِعْلِ الْأَمْرِ مِنَ الْإِجَارَةِ، أَيُّ: أَمْضِي لِي فِعْلِي فِيهِ فَلَا أُرِدُّهُ إِلَيْكَ، أَوْ أَسْتَنْبِيهِ مِنَ الْقَضِيَّةِ.

(٢) لَمْ يَذْكُرْ هُنَا مَا أَجَابَ بِهِ سُهَيْلٌ مُكْرَرًا فِي ذَلِكَ.

(٣) زَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا جَنْدَلٍ، إِصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّا لَا نَعْدِرُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ فَرْجًا وَخُرْجًا». «فتح الباري» (٣٤٥:٥).

(٤) ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا إِلَّا بِالْوَحْيِ. «فتح الباري» (٣٤٥:٥).

(٥) لَمْ يَذْكُرْ عُمَرُ أَنَّهُ رَاجَعَ أَحَدًا فِي ذَلِكَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَذَلِكَ لِجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ عِنْدَهُ، وَفِي جَوَابِ أَبِي بَكْرٍ لِعُمَرَ بِتَطْيِيرِ مَا أَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ سِوَاءِ، دَلَالَةٍ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْمَلَ الصَّحَابَةِ وَأَعْرَفَهُمْ بِأَحْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَعْلَمَهُمْ بِأُمُورِ الدِّينِ، وَأَشَدَّهُمْ مُوَافَقَةً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. «فتح الباري» (٣٤٦:٥).

إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَيْسَ يَعِصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِعَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.  
قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتِ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامُ؟  
قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ - : فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ: فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ قِصَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «فُؤِمُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ  
احْلِقُوا». قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ  
دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أُنْحِبُ ذَلِكَ، أَخْرَجْتُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى  
تَنْحَرَ بَدَنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ  
بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَانْحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ  
بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمَّا<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ<sup>(٣)</sup> فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ  
فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾. حَتَّى بَلَغَ ﴿بِعِصْمِ الْكُوفِرِ﴾ [المتحنة: ١٠]؛ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي  
الشَّرِكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ.

(١) المراد به: الأعمال الصالحة؛ ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الإمتثال ابتداءً، وقد ورد عن عمر  
التصريح بمُرادِه بقوله: (أعمالاً): ففي رواية ابن إسحاق: «وكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم  
وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به». وعند الوايدي من حديث ابن  
عبّاس: «قال عمر: لقد أعتقت بسبب ذلك رقاباً، وصمت دهرًا». «فتح الباري» (٣٤٦:٥).

(٢) قوله: (غما) أي: ازدحاماً.

(٣) ظاهره: أمتن جئن إليه وهو بالحدبية، وكيس كذلك، ولتا جئن إليه بعد، في أثناء مدة الصلح.

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ - رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ - وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرِهِمْ؛ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيْدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلُ، وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَجَيْدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ؛ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ<sup>(١)</sup>، وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَتِلْ - وَاللَّهِ - صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمُقْتُولٌ.

فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ؛ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ - وَاللَّهِ - أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ<sup>(٢)</sup>، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلٌ أُمَّهُ<sup>(٣)</sup> مِسْعَرُ حَرْبٍ<sup>(٤)</sup>، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ<sup>(٥)</sup>». فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُّدُهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ<sup>(٦)</sup>.

(١) أي: مات، وهو كناية؛ لِأَنَّ الْبُرُودَةَ لِأَزْمِ الْمَوْتِ.

(٢) أي: لَيْسَ عَلَيْكَ عِتَابٌ مِنْهُمْ فِيمَا صَنَعْتَ أَنَا.

(٣) وَهِيَ كَلِمَةٌ دَمَّ تَقْوَاهَا الْعَرَبُ فِي الْمَدْحِ وَلَا يَقْصِدُونَ مَعْنَى مَا فِيهَا مِنَ الدَّمِّ؛ لِأَنَّ الْوَيْلَ الْهَلَاكَ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: «لَأُمَّهُ الْوَيْلُ».

(٤) مِسْعَرٌ، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي يُحْرَكُ بِهِ النَّارُ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: كَأَنَّهُ يَصِفُهُ بِالْإِقْدَامِ فِي الْحَرْبِ وَالتَّسْعِيرِ لِنَارِهَا.

(٥) (لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ) أَي: يَنْصُرُهُ وَيُعَاضِدُهُ وَيُنَاصِرُهُ. فَلَقَّنَهَا أَبُو بَصِيرٍ فَأَنْطَلَقَ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَيْهِ بِالْفِرَارِ لِئَلَّا يَرُدَّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَرَمَزَ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِ، قَالَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَعَظِيرِهِمْ: يَجُوزُ التَّعْرِيفُ بِذَلِكَ لَا التَّصْرِيحَ كَمَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. «فتح الباري» (٥: ٣٤٧).

(٦) أَي: سَاحِلُهُ.

قَالَ: وَيَنْفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يُخْرِجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ<sup>(١)</sup>، فَوَاللَّهِ، مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا<sup>(٢)</sup>، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنَاسِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أُرْسِلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup>، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْظَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿الْحَمِيمَةَ حَمِيمَةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦].

وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْرَأُوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يَقْرَأُوا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ<sup>(٤)</sup>.

## ٩٦- مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتَيْهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ؛ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافُوا<sup>(١)</sup> صَلَاةَ الْفَجْرِ

(١) أَي: جَمَاعَةٍ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَهِيَ تُطَلَّقُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ فَمَا دُونَهَا. وَهَذَا الْحَدِيثُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّهَا تُطَلَّقُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ. «فتح الباري» (٥: ٣٤٧).

(٢) أَي: وَقَفُوا فِي طَرِيقِهَا بِالْعَرَضِ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ مَنَعِهِمْ لَهَا مِنَ السَّيْرِ.

(٣) فِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ: «فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَصِيرٍ، فَقَدِمَ كِتَابُهُ وَأَبُو بَصِيرٍ يَمُوتُ، فَمَاتَ وَكِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَدِهِ، فَدَفَنَهُ أَبُو جَنْدَلُ مَكَانَهُ، وَجَعَلَ عِنْدَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا. قَالَ: وَقَدِمَ أَبُو جَنْدَلُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ مُجَاهِدًا فَاسْتَشْهِدَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ. قَالَ: فَعَلِمَ الَّذِينَ كَانُوا أَشَارُوا بِأَنَّ لَا يُسَلِّمُ أَبُو جَنْدَلُ إِلَّا إِلَيْهِ أَنْ طَاعَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِمَّا كَرِهُوا.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢: ٩٧٤) رَقْم (٢٥٨١).

(٥) مِنَ الْمَوَافَةِ، أَي: أَتَوْا وَحَضَرُوا.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «فَابْشُرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ<sup>(١)</sup> الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا<sup>(٢)</sup> كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ<sup>(٣)</sup> كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ<sup>(٤)</sup>».

### ٩٧- عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدِيثَ الْإِفْكِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ<sup>(٥)</sup> فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي؛ فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي<sup>(٦)</sup> وَأَنْزَلَ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ<sup>(٧)</sup> وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، أَذَنُ<sup>(٨)</sup> لَيْلَةَ بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ أَذْنُوا

(١) تبسط: يوسع لكم فيها.

(٢) من التنافس وهو الرغبة في الشيء والانفراد به، مأخوذ من الشيء النفيس الجيد في نوعه، والذي يرغب فيه .

(٣) تهلككم: تجرّمكم إلى الهلاك بسبب التنازع عليها والركون إليها والاشتغال بها عن الآخرة.

(٤) أخرجه البخاري (١١٥٢) رقم (٢٩٨٨)، ومسلم (٢٢٧٣: ٤) رقم (٢٩٦١).

(٥) من القرعة: وهي أن يختار كل من المتقارعين شيئاً معيناً فيسمى سهمه، أي: نصيبه. وتوضع في وعاء

مغلق ثم يُستخرج منها واحد، فمن خرج سهمه كان هو صاحب القرعة.

(٦) الهودج: ما تركب فيه المرأة على الجمل.

(٧) أي: رجع.

(٨) أعلم.

الرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا قَصَيْتُ مِنْ شَأْنِي<sup>(٢)</sup>، أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارِ<sup>(٣)</sup> قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ<sup>(٤)</sup>، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ.

قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَلِكَ خِيفًا لَمْ يَهْبَلْنَ<sup>(٥)</sup>، وَلَمْ يَعْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ<sup>(٦)</sup> مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عَقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ<sup>(٧)</sup>، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي<sup>(٨)</sup> الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَقْدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ قَدْ عَرَسَ<sup>(٩)</sup> مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ<sup>(١٠)</sup> نَائِمٍ، فَاتَّانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ

(١) جاوزت الجيش: خرجت من معسكرهم وابتعدت.

(٢) شأني: حاجتي التي خرجت من أجلها.

(٣) من جزع ظفار: خرز في سواده بياض كالعروق نسبة إلى بلدة باليمن يؤتى به منها.

(٤) فحبسني ابتغاءه: أخرني طلبه والبحث عنه.

(٥) أي: ينقلن باللحم والشحم، قال أهل اللغة: يقال هبله اللحم وأهبله: إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه.

(٦) العلقة: أي: القليل ويقال لها أيضاً البلغة.

(٧) ليس فيها أحد.

(٨) أي: قصدته.

(٩) قد عرس: التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة.

(١٠) أي: شخصه.

الْحَجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ<sup>(١)</sup> حِينَ عَرَفَنِي، فَحَمَرْتُ وَجْهِي<sup>(٢)</sup> بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاِحَلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَيَّ يَدَهَا<sup>(٣)</sup> فَرَكَبْتُهَا، فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهْرَةِ<sup>(٤)</sup> فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي<sup>(٥)</sup>.

وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ<sup>(٦)</sup> عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْتِ سَلُولَ<sup>(٧)</sup>، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ<sup>(٨)</sup> حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يَفِيضُونَ<sup>(٩)</sup> فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِينِي<sup>(١٠)</sup> فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسَلُّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ<sup>(١١)</sup>؟» فَذَلِكَ يَرِينِي.

(١) أي: انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) أي: غطيته.

(٣) فوطئ على يدها: ليسهل ركوبها ولا يحتاج إلى مساعدة.

(٤) الموغر: النازل في وقت الوغرة، وهي شدة الحر، ونحر الظهرية: وقت القائلة وشدة الحر.

(٥) تسبب بالهلاك لنفسه وبالحدِيث في شَأْنِي.

(٦) تصدى له وتصدر الحديث عنه، والإفك البهتان والكذب، والمراد: افتراؤهم على أم المؤمنين رضي الله عنها الوقوع في الفاحشة.

(٧) (عبدالله بن أبي ابن سلول) هكذا صوابه أن يكتب ابن سلول بالألف ويعرب بإعراب عبد الله؛ فإنه وصف ثان له؛ لأنه عبد الله بن أبي، وهو عبدالله ابن سلول أيضاً؛ فأبي أبوه، وسلول أمه، فنسب إلى أبويه جميعاً، ووصف بهما.

(٨) فاشتكيت: مرضت.

(٩) يفيضون: يشيعون من الإفاضة وهي التوسعة والتكثير.

(١٠) يريني: يشككني ويوهمني حصول أمر.

(١١) تيكم: إشارة للمؤنث.

وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ<sup>(١)</sup>، وَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ  
 الْمَنَاصِعِ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ مُتَبَرِّزْنَا<sup>(٣)</sup>، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذَ الْكُنْفَ<sup>(٤)</sup> قَرِيبًا مِنْ  
 بِيوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَدَّى بِالْكُنْفِ أَنْ تَتَّخِذَهَا عِنْدَ بِيوتِنَا.  
 فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ - وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ  
 صَخْرِ بْنِ عَامِرِ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ - فَأَقْبَلْتُ  
 أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطَهَا؛ فَقَالَتْ:  
 تَعَسَ<sup>(٥)</sup> مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَتَسْبِيَنَّ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيُّ هَتَّاهُ<sup>(٦)</sup>، أَوْ لَمْ  
 تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى  
 مَرَضِي.

(١) نقهت: برئت من مرضي ولم يرجع لي كمال الصحة.

(٢) المناصع: مواضع خارج المدينة كانوا يخرجون إليها لقضاء حاجتهم.

(٣) متبرزنا: الموضع الذي تبرز فيه، من البراز، وهو: اسم لما يخرج من الإنسان من فضلات، وقد يطلق  
 على الموضع الذي يبرز فيه.

(٤) الكنف: جمع كنيف، وهو الساتر، سمي به المكان المتخذ لقضاء الحاجة؛ لأن قاضي الحاجة يستتر به.

(٥) تعس: معناه عثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بعُد، وقيل: سقط بوجهه خاصةً.

(٦) قال الحافظ ابن حجر: (أي هتاه) أي: حرف نداء للبعيد، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منه منزل  
 البعيد. والنكته فيه هنا: أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سبَّ مسطح؛  
 فخاطبتها خطاب البعيد. وهتاه - بفتح الهاء وسكون النون وقد تفتح بعدها مثناة وآخره هاء ساكنة وقد  
 تضم - أي: هذه، وقيل: امرأة، وقيل: بلهي. كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس. وهذه اللفظة تختص  
 بالنداء، وهي عبارة عن كل نكرة، وإذا خوطب المذكر قيل: باهنة. وقد تشعب النون؛ فيقال: يا هناه. وحكى  
 بعضهم تشديد النون فيه، وأنكره الأزهري. «فتح الباري» (٤٦٦:٨).

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَيْكُمُ» قُلْتُ: أَتَأْذُنِي لِأَنْ أَتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيْتَنَ الْحَبْرَ<sup>(١)</sup> مِنْ قِبَلِهِمَا؛ فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بِنْتِي، هُوَ بِنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً<sup>(٢)</sup> عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ<sup>(٣)</sup> إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا<sup>(٤)</sup>.

قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصَبَحْتُ لَا يَرِقُ لِي دَمْعٌ<sup>(٥)</sup>، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ أَصَبَحْتُ أَبْكِي. وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ<sup>(٧)</sup> يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ.

قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ<sup>(٨)</sup>؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُصَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ.

(١) أتيقن الخبر: أحصل على حقيقته.

(٢) وضِيئة: جميلة حسنة، من الوضاعة وهي الحسن.

(٣) ضرائر: جمع ضرة، وهي من كانت تشاركها في زوجها أخرى أو زوجات؛ سميت بذلك لأنها تتضرر بغيرها بالغيرة والقسم ونحو ذلك.

(٤) كثرن عليها: القول في عيبها ونقصها.

(٥) لا يرقأ: أي لا ينقطع.

(٦) ولا أكتحل بنوم: أي: لا أنام.

(٧) استلبث الوحي: أي أبطأ ولبت ولم ينزل.

(٨) الثقة بهم والمحبة لهم وحسن الصلة.

قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ؛ فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمَصُهُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أُمَّهَا جَارِيَةً حَدِيثُهُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْنِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ<sup>(٢)</sup>.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ فَاسْتَعَذَرَ<sup>(٣)</sup> مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنِي سَلُولٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ؛ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ<sup>(٤)</sup> - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّكَ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ<sup>(٥)</sup> مُجَادِلٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ

(١) أغمصه: أعيبها به .

(٢) الداجن: الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى . ومعنى هذا الكلام: أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلاً، ولا فيها شيء من غيره إلا نومها عن العجين.

(٣) استعذر: معناه أنه قال: من يعذرنى فيمن آذاني في أهلي. كما بينه في هذا الحديث، ومعنى من يعذرنى: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعالة ولا يلمني، وقيل: معناه من ينصرنى، والعذير الناصر.

(٤) اجتهلته الحمية: أي: أغضبه التعصب لقومه وحمله على الجهالة.

(٥) أي: فعلك هذا فيه نفاق.

يَقْتَبِلُوا<sup>(١)</sup>، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ<sup>(٢)</sup> حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يِرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمَقْبَلَةَ لَا يِرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَطْنَانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتِ<sup>(٣)</sup> بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي<sup>(٤)</sup> حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً؛ فَقُلْتُ لِأَبِي: أَحِبَّ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَحْبِبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقُلْتُ -وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ-: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُمْ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَكِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ -وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ- لِتُصَدِّقُونِي، وَإِنِّي

(١) أي: تناهضوا للنزاع والعصية.

(٢) فخفضهم: تطف بهم حتى سكتوا.

(٣) ألمت: فعلت ذنباً ليس من عادتك، من الإلام، وهو النزول النادر غير المتكرر.

(٤) قلص: انقبض وارتفع.

وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ أَلْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهُ حِينَتِي أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَاءَتِي، وَلَكِنَّ وَاللَّهُ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنَزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يَتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِي بَأْمُرٍ يَتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ<sup>(١)</sup> رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ<sup>(٣)</sup> مِنْهُ مِثْلَ الْجُمَانِ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّي<sup>(٥)</sup> عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بِرَاءَتِي. قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾. عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ<sup>(٦)</sup>.

(١) ما رام: أي ما فارق.

(٢) البرحاء: هي الشدة.

(٣) ليتحدر: أي: ليتصب.

(٤) الجمان: الدر شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن.

(٥) فلما سري: أي كشف وأزيل.

(٦) أخرجه البخاري (٤: ١٧٧٤) رقم (٤٤٧٣)، ومسلم (٤: ٢١٢٩) رقم (٢٧٧٠).

## ٩٨- مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ!

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بَدَاتِ الْجَيْشِ<sup>(١)</sup>، انْقَطَعَ عِقْدِي<sup>(٢)</sup>، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التِّيَّاسِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ<sup>(٣)</sup>، فَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟

(١) البَيْدَاءُ: هُوَ ذُو الْحُلَيْفَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ. وَذَاتُ الْجَيْشِ: وَرَاءَ ذِي الْحُلَيْفَةِ.  
(٢) قال العلامة الزرقاني: قَالَ فِي «التَّمْهِيدِ»: يُقَالُ إِتْمَا غَزَاةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فِي سَنَةِ سِتٍّ، وَقِيلَ: حَمْسٌ. وَجَزَمَ بِذَلِكَ فِي «الِاسْتِذْكَارِ» وَسَبَقَهُ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَزَاةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ هِيَ غَزَاةُ الْمُرَيْسِيعِ، وَفِيهَا وَقَعَتْ قِصَّةُ الْإِفْكِ لِعَائِشَةَ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ ذَلِكَ بِسَبَبِ وُقُوعِ عِقْدِهَا أَيْضًا، فَإِنْ كَانَ مَا جَزَمُوا بِهِ ثَابِتًا مَجْمَلًا عَلَى أَنَّهُ سَقَطَ مِنْهَا فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ مَرَّتَيْنِ لِأَجْلِ اخْتِلَافِ الْقِصَّتَيْنِ كَمَا هُوَ بَيِّنٌ فِي سِيَاقِهَا.  
وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى تَعَدُّدِ ضِيَاعِ الْعِقْدِ، وَأَنَّ هَذِهِ كَانَتْ بَعْدَ قِصَّةِ الْإِفْكِ؛ مُحْتَجِّينَ بِمَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ: «لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ عِقْدِي مَا كَانَ، وَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ أُخْرَى فَسَقَطَ أَيْضًا عِقْدِي حَتَّى حُبِسَ النَّاسُ عَلَى التِّيَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا بَنِيَّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَكُونِينَ عَنَاءً وَبَلَاءً عَلَى النَّاسِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التِّيَّمِمْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ لِمُبَارَكَةٌ». فِيهِهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ ضِيَاعَ الْعِقْدِ كَانَ مَرَّتَيْنِ فِي غَزَوَتَيْنِ، وَبِذَلِكَ جَزَمَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ الْإِخْبَارِيُّ فَقَالَ: سَقَطَ عِقْدُهَا فِي غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَفِي ذَاتِ الرَّقَاعِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَغَازِي فِي أَيِّهَا كَانَتْ أَوَّلًا.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ التِّيَّمِمْ لَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَصْنَعُ». فِيهِهِ دَلَالَةٌ عَلَى تَأَخُّرِهَا عَنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ؛ لِأَنَّ إِسْلَامَ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ فِي السَّابِعَةِ، وَهِيَ بَعْدَهَا بِإِلَّا خِلَافٍ. «شرح الزرقاني على الموطأ» (١): (٢١٨).

(٣) (فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى التِّيَّاسِ) أَيُّ لِأَجْلِ طَلْبِهِ (وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ) فِيهِهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَرْكِ إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَاعْتِنَاءِ الْإِمَامِ بِحِفْظِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ قَلَّتْ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ثَمَنَ الْعِقْدِ كَانَ اثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا. «شرح الزرقاني على الموطأ» (١): (٢١٩).

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ -وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعُ رَأْسِهِ عَلَى فَخِذِي قَدْ نَامَ<sup>(١)</sup>- فَقَالَ: حَبَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسَ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ: فَعَابَنِي أَبُو بَكْرٍ<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ<sup>(٣)</sup>، وَجَعَلَ يَطْعُنِي<sup>(٤)</sup> بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي<sup>(٥)</sup>، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرُكِ<sup>(٦)</sup> إِلَّا مَكَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخِذِي، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ<sup>(٧)</sup>، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التِّيْمَمِ فَتِيْمَمُوا<sup>(٨)</sup>».

- (١) فِيهِ جَوَازُ دُخُولِ الرَّجُلِ عَلَى بَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ زَوْجَهَا عِنْدَهَا إِذَا عَلِمَ رِضَاهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ تَكُنْ حَالَةً مُبَاشِرَةً.
- (٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: النَّكْتَةُ فِي قَوْلِ عَائِشَةَ: (فَعَابَنِي أَبُو بَكْرٍ) وَلَمْ تَقُلْ أَبِي؛ لِأَنَّ قَضِيَّةَ الْأَبُوَّةِ الْخُتُو، وَمَا وَقَعَ مِنَ الْعِتَابِ بِالْقَوْلِ وَالتَّادِيْبِ بِالْفِعْلِ مُعَايِرٌ لِذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ؛ فَلِذَلِكَ أَنْزَلْتَهُ مِنْزِلَةَ الْأَجْنَبِيِّ فَلَمْ تَقُلْ أَبِي.
- (٣) أَي: مِنْ كَلِمَاتِ الزَّجْرِ وَالْعِتَابِ.
- (٤) (طَعَنَ يَطْعُنُ) بِالْفَتْحِ فِي الْعَرَضِ وَالنَّسَبِ، وَ (طَعَنَ يَطْعُنُ) بِالضَّمِّ بِالرُّمْحِ وَالْيَدِ، وَيُقَالُ هُمَا لُغْتَانِ فِيهِمَا.
- (٥) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: فِيهِ تَأْدِيْبُ الرَّجُلِ وَلَكِنَّهُ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالضَّرْبِ وَنَحْوِهِ، وَفِيهِ تَأْدِيْبُ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً مُرَوَّجَةً خَارِجَةً عَنْ بَيْتِهِ. «شرح النووي على مسلم» (٤: ٥٩).
- (٦) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: (فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرُكِ) فِيهِ اسْتِحْبَابُ الصَّبْرِ لِمَنْ نَالَهُ مَا يُوجِبُ الْحُرْكََةَ أَوْ يَحْضُلُ بِهِ تَشْوِيْشٌ لِنَائِمٍ، وَكَذَا الْمُصَلِّ أَوْ قَارِئٍ أَوْ مُسْتَعْلٍ يَعْلَمُ أَوْ ذَكَرَ. «فتح الباري» (١: ٤٣٣).
- (٧) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قِيَامَهُ مِنْ نَوْمِهِ كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (حَتَّى أَصْبَحَ) بَيَانَ غَايَةِ النَّوْمِ إِلَى الصُّبْحِ، بَلْ بَيَانَ غَايَةِ فَقْدِ الْمَاءِ إِلَى الصُّبْحِ؛ لِأَنَّهُ قَيَّدَ قَوْلَهُ (حَتَّى أَصْبَحَ) بِقَوْلِهِ (عَلَى غَيْرِ مَاءٍ) أَي: أَلْ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ. «فتح الباري» (١: ٤٣٣).
- (٨) قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ: قَوْلُ عَائِشَةَ: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التِّيْمَمِ) هَلِ الْمُرَادُ آيَةُ الْمَائِدَةِ أَوْ آيَةُ النَّسَاءِ؟ جَوَزَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ» كَلًّا مِنَ الْأَمْرَيْنِ؛ فَقَالَ: وَهِيَ آيَةُ الْوُضُوءِ الْمَذْكُورَةَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ أَوْ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ النَّسَاءِ، قَالَ: لَيْسَ التِّيْمَمُ مَذْكُورًا فِي غَيْرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ. إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ.
- وَإِنَّمَا تَرَدَّدَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْمُرَادِ مِنَ الْإِثْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ تَعْيِينٌ إِحْدَاهُمَا.

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِرِيِّ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ<sup>(١)</sup>، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «فَبَعَثْنَا  
الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

#### ٩٩- بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا ﷺ بِصَدْرِ بَرَاءَةَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ<sup>(٤)</sup> فِي مُؤَذِّنِينَ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَذِّنُ  
بِمَنَى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا.  
قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ<sup>(٥)</sup> رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةِ<sup>(٦)</sup>.  
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مَنَى يَوْمَ النَّحْرِ: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا  
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا<sup>(٧)</sup>.

وَالصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ آيَةَ الْمَائِدَةِ، مَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ  
الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ؛ فَقَالَ: فِيهَا فَتَزَلَّتْ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] الْآيَةَ.  
فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ آيَةَ الْمَائِدَةِ. «طرح الشريب في شرح التقريب» (٢: ٩٨).

(١) قال العلامة الباجي: يُرِيدُ أَنْ بَرَكَتِكُمْ كَانَتْ مُتَوَالِيَةً عَلَى الصَّحَابَةِ مُتَكَرِّرَةً، وَكَانُوا سَبَبًا لِكُلِّ مَا لَهُمْ فِيهِ  
رَفْقٌ وَمَصْلَحَةٌ. «المنتقى شرح الموطأ» (١: ١٠٩).

(٢) (قَالَتْ: فَبَعَثْنَا) أَيِ اثْرُنَا (الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ) رَاكِبَةً (عَلَيْهِ) حَالَةَ السَّيْرِ (فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ) هَذَا ظَاهِرٌ فِي  
أَنَّ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا فِي طَلَبِهِ أَوَّلًا لَمْ يَجِدُوهُ. «شرح الزرقاني على الموطأ» (١: ٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (١: ١٢٧) رقم (٣٢٧)، ومسلم (١: ٢٧٩) رقم (٣٦٧).

(٤) أي: التي أَمَرَ فيها رسول الله ﷺ أبا بكر ﷺ على الحج في السنة التاسعة قبل حجة الوداع بسنة.

(٥) أردف: أرسله وراء أبي بكر ﷺ.

(٦) يؤذن ببراءة: يقرؤها على الناس، وبراءة اسم لسورة التوبة، وسميت ببراءة لأنها تبدأ بقوله تعالى:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(٧) أخرجه البخاري (١: ١٤٤) رقم (٣٦٢).

## ١٠٠- إسلام أبي سفيان بن الحارث<sup>(١)</sup> وعبد الله بن أمية

كَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا، فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْجُحْفَةِ<sup>(٢)</sup>، وَقِيلَ: فَوْقَ ذَلِكَ. وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِّيَّةَ<sup>(٣)</sup>، لَقِيَاهُ بِالْأَبْوَاءِ<sup>(٤)</sup> - وَهُمَا ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ - فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا لِمَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْهُمَا مِنْ شِدَّةِ الْأَذَى وَالْهَجْوِ<sup>(٥)</sup>؛ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ: لَا يَكُنْ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ أَشَقَى النَّاسِ بِكَ.

وَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي سُفْيَانَ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ؛ فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ يُوسُفَ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَطِيبِينَ﴾ [يوسف: ٩١]. فَإِنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُ أَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلًا. فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]. فَانْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ أَيْبَاتًا مِنْهَا:

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً  
لِتَغْلِبَ خَيْلُ الْأَلَاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ  
لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ  
فَهَذَا أَوْأُنْ حِينَ أَهْدِي وَأَهْتَدِي

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاة، أرضعتها حليلة السعدية. واسمه المغيرة، وقيل: اسمه كنيته، والمغيرة أخوه، وكان ممن يشبه رسول الله ﷺ. وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي ﷺ ويهجوه ويؤذي المسلمين. شهد من المشاهد حنيناً، وله فيها الذكر الحسن؛ فقد ثبت فيها مع النبي ﷺ، وأبل بلاء حسناً. توفي سنة ١٥، وقيل: سنة ٢٠ في خلافة عمر ﷺ.

(٢) قرية حربة بينها وبين مكة خمس مراحل أو ست.

(٣) وهو أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ. وأمه عاتكة بنت عبد المطلب. عمه رسول الله ﷺ.

(٤) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة بمائتي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

(٥) الهجو: السب وتعديد المعاييب، ويكون بالشعر غالباً.

هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَقَادَنِي إِلَى اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ

فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ: «أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرِّدٍ».

وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمَ حَيَاءً

مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

## ١٠١- هِدَايَةُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي ضَوَاحِي مَكَّةَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِسَفَرِهِ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُحَيْمٍ كَلْبُومَ بْنَ حُصَيْنِ الْغِفَارِيِّ، وَخَرَجَ عَشْرَ مَضِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَصَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكَدِيدِ - مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَآمَجٍ - أَفْطَرَ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ<sup>(٢)</sup> فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُزَيْنَةَ وَسُلَيْمٍ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلَامٌ، وَأَوْعَبَ<sup>(٣)</sup> مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرَّ الظُّهْرَانِ، وَقَدْ عَمِيَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَأْتِهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَبْرٌ، وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعْلُ، خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا، أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ<sup>(٤)</sup>، قَدْ لَقِيَا

(١) أخرجه ابن هشام في «سيرته» (٤٠١:٢)، والحاكم في «مستدرکه» (٤٦:٣) رقم (٤٣٥٩) وقال: هذا

حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦٣:٥).

(٢) مَرَّ الظُّهْرَانِ: وهو وادٍ بين مكة وعُسْفَانَ.

(٣) أَوْعَبَ: جمع، ومعناه هنا: ذهب الجمع الكثير معه.

(٤) أخو أم سلمة لأبيها، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ، فَكَلَّمْتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ، قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَاكَ عِرْضِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ الْحَبْرُ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنْيُ لَهْ . فَقَالَ: وَاللَّهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِيَدِي بُنْيُ هَذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي الْأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطْشًا وَجُوعًا. فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهُمَا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا وَأَسْلَمَا.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ: وَاصْبَاحَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ لَيَنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنُوةً<sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ، إِنَّهُ لَهَالِكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ<sup>(٣)</sup>، فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ، أَوْ صَاحِبَ لَبْنٍ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنُوةً.

قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا، وَالْتَمَسْتُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَا جَعَانَ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلَا عَسْكَرًا، قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَاللَّهِ نِيرَانٌ خَزَاعَةٌ حَمَشْتَهَا الْحُرْبُ<sup>(٤)</sup>، قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خَزَاعَةٌ، وَاللَّهِ أَذَلُّ وَالْأَمُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانًا وَعَسْكَرًا، قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ، فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَقُلْتُ:

(١) يَعْنِي: حِينَ قَالَ لَهُ: وَاللَّهِ، لَا آمَنْتُ بِكَ حَتَّى تَتَّخِذَ سُلْمًا إِلَى السَّمَاءِ فَتَعْرُجَ فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ، ثُمَّ تَأْتِي بِصَلِّكَ وَأَرْبَعَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَكَ.

(٢) عَنُوةً: أَخَذَ الشَّيْءَ فَهَرَأَ.

(٣) قَدْ يَكُونُ هُنَا الْمَوْضِعَ فِيهِ شَجَرُ الْأَرَاكَ . وَنَقَلَ الْبَكْرِيُّ: أَنَّ «الْأَرَاكَ» مَوْضِعٌ بَعْرَفَةَ.

(٤) حَمَشْتَهَا: حَرَضْتَهَا عَلَى الْقِتَالِ.

وَيُحِكِّكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ، وَاصْبَحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟

قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ مَعِيَ هَذِهِ الْبَعْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْتَأْمِنُهُ لَكَ، قَالَ: فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجِعْ صَاحِبَاهُ، فَحَرَّكَتُ بِهِ كَلِمًا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ، قَالُوا: مَنْ هَذَا؟

فَإِذَا رَأَوْا بَعْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَعْلَتِهِ حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْرِ الْبَعْلَةِ، قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ، عَدُوُّ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَكَضَتِ الْبَعْلَةُ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، فَاقْتَحَمْتُ<sup>(١)</sup> عَنِ الْبَعْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَخَلَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، فَدَعْنِي فَلَا ضَرْبَ عُنُقِهِ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجْرْتُهُ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ، قُلْتُ: مَهْلًا يَا عُمَرُ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي عَدِيٍّ، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لَا إِسْلَامَ لَكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ.

(١) اقتحم: دخل وجاوز بشدة.

(٢) أجرته: أي: أمنتته وحميته مما يخاف.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَاتَّبِنِي بِهِ» فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟».

قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْنَى عَنِّي شَيْئًا، قَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ؟» قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ، هَذِهِ وَاللَّهِ كَانِي فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الْآنَ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَسْلِمَ، وَاشْهَدْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قَالَ: فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»<sup>(١)</sup>.

## ١٠٢- النَّبِيُّ ﷺ يُطْمَئِنُّ الْخَائِفَ

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعِدُ فَرَائِصُهُ<sup>(٢)</sup>؛ فَقَالَ لَهُ: «هُوَ عَلَىكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) ألم يأن: ألم يكن.

(٢) أخرجه ابن هشام في «سيرته» (٤٠٠:٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٢٦٤)، والحاكم في «مستدركه» (٤٣٥٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) الفرائص: جمع فريصة، وهي لحمة بين الجنب والكف ترجف عند الفزع، والكلام كناية عن الفزع.

(٤) القديد: اللحم المملح المجعف في الشمس.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١١٠١:٢) رقم (٣٣١٢) واللفظ له، والحاكم في «المستدرک» (٥٠:٣) رقم

(٤٣٦٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١٦٦:٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال الحاكم:

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ <sup>(١)</sup> يُقَالُ لَهُ: الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اجْلِسُوا هَا هُنَا» وَدَخَلَ، وَقَدْ أُتِيَ بِالْجُوْنِيَّةِ، فَأَنْزَلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلِ فِي بَيْتٍ <sup>(٢)</sup> أُمَيْمَةُ بِنْتُ النُّعْمَانَ بْنِ شَرَا حِيلَ <sup>(٣)</sup>، وَمَعَهَا دَائِتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا <sup>(٤)</sup>، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «هَيِّ نَفْسِكَ لِي» قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ <sup>(٥)</sup>؟

(١) الحَائِطُ: المُرَادُ بِهِ البُسْتَانُ.

(٢) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: هُوَ بِالتَّنْوِينِ فِي الكُلِّ ... وَظَنَّ بَعْضُ الشُّرَاحِ أَنَّهُ بِالإِضَافَةِ. وَإِنَّمَا جَاءَ الوَهْمُ مِنْ إِعَادَةِ لَفْظٍ فِي بَيْتٍ، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ شَيْخِ البُخَارِيِّ فِيهِ فَقَالَ: فِي بَيْتٍ فِي النَّخْلِ أُمَيْمَةُ ... إلخ. «فتح الباري» (٩: ٣٥٨).

(٣) أُمَيْمَةُ بِالرَّفْعِ إِذَا بَدَلًا عَنِ الْجُوْنِيَّةِ وَإِنَّمَا عَطْفُ بَيَانٍ. «فتح الباري» (٩: ٣٥٨).

(٤) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: الدَّائِيَةُ: الطَّيْرُ المُرْضِعُ، وَهِيَ مُعْرَبَةٌ. وَلَمْ أَفْهَمْ عَلَى تَسْمِيَةِ هَذِهِ الحَاضِنَةِ. «فتح الباري» (٩: ٣٥٨).

(٥) قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: السُّوقَةُ: مِنْ كَيْسٍ بِمَلِكٍ. قَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللُّغَوِيِّ قَالَ: يَذْهَبُ عَوَامُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ السُّوقَةَ أَهْلُ السُّوقِ، وَذَلِكَ خَطَأٌ، إِنَّمَا السُّوقَةُ عِنْدَ العَرَبِ مِنْ كَيْسٍ بِمَلِكٍ، تَاجِرًا كَانَ أَوْ غَيْرَ تَاجِرٍ، بِمَنْزِلَةِ الرَّعِيَةِ الَّتِي تَسُوسُهَا المُلُوكُ، وَسَمُوا سُوْقَةً لِأَنَّ المَلِكَ يَسُوقُهُمْ فَيَسَاقُونَ لَهُ، وَيَصِرْفُهُمْ عَلَى مُرَادِهِ، يُقَالُ لِلوَاحِدِ سُوْقَةً، وَلِلثَّانِيْنِ سُوْقَةً، وَرُبَّمَا جَمَعَ سُوْقًا، قَالَ زُهَيْرٌ:

أحار لا أرمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وَقَالَتْ حَرَقَةُ بِنْتُ النُّعْمَانَ:

يَبِينَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فَأَمَّا أَهْلُ السُّوقِ فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ سُوْقِي، وَالجَمَاعَةُ سُوْقِيُونُ. «كشف المشكل» (٢: ١٣٣).

قَالَ: فَأَهْوَى يَدَهُ يَصْعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: «قَدْ عُدْتُ بِمَعَاذِ<sup>(٢)</sup>» ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسُهَا رَازِقَتَيْنِ<sup>(٣)</sup>، وَأَحْقِهَا بِأَهْلِهَا<sup>(٤)</sup>».

#### ١٠٤- اسْتِرْدَادُ الرَّايَةِ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ

لَمَّا مَرَّ سَعْدُ بِرَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَادَى: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ<sup>(٥)</sup>، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا حَادَى أَبَا سُفْيَانَ نَادَاهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُمِرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ؟ زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرَّ بِنَا قَالَ: «يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا». وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ<sup>(٦)</sup> فِي قَوْمِكَ، فَأَنْتَ أَبْرُ النَّاسِ، وَأَرْحَمُ النَّاسِ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ<sup>(٧)</sup>. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا».

---

قال الحافظ ابن حجر: فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بمملك، وكان ﷺ قد خير أن يكون ملكًا نبيًا فأختار أن يكون عبدًا نبيًا تواضعًا منه ﷺ لربه، ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدتها بجاهليتها. «فتح الباري» (٩: ٣٥٨).

(١) أي ألبأ إليه وألود به.

(٢) أي: بما يستعاذ به.

(٣) الرازقية: ثياب من كتان بيض طوال، قاله أبو عبيدة. وقال غيره: يكون في داخل بياضها زرقه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠١٢: ٥) رقم (٤٩٥٦)،

(٥) أي: يوم حرب لا يوجد منه مخلص، أي: يوم قتل.

(٦) أنشدك الله: أي: أسألك به.

(٧) الصولة: الحملة والوثبة.

قَالَ: وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ، وَجَعَلَ اللِّوَاءَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللِّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لِابْنِهِ. فَأَبَى سَعْدٌ أَنْ يُسَلَّمَ اللِّوَاءَ إِلَّا بِأَمَارَةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِمَامَتِهِ فَعَرَفَهَا سَعْدٌ؛ فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ<sup>(١)</sup>.

## ١٠٥- مَنْ سَيَمْسِكُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ؟

نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَعْبَةِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَمَعَهُ الْمِفْتَاحُ، فَتَنَحَّى نَاحِيَةَ الْمَسْجِدِ فَجَلَسَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبِضَ السَّقَايَةَ مِنَ الْعَبَّاسِ، وَقَبِضَ الْمِفْتَاحَ مِنْ عُثْمَانَ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ: «أَدْعُوا إِلَيَّ عُثْمَانَ» فَدَعِيَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعُثْمَانَ يَوْمًا، وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَمَعَ عُثْمَانَ الْمِفْتَاحُ؛ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ». فَقَالَ عُثْمَانُ: لَقَدْ هَلَكْتُ إِذَا قُرَيْشٌ وَذَلَّتْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ عَمَرْتُ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ».

فَلَمَّا دَعَانِي بَعْدَ أَخْذِهِ الْمِفْتَاحَ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ مَا كَانَ قَالَ. فَأَقْبَلْتُ فَاسْتَقْبَلْتُهُ بِبِشْرِ وَاسْتَقْبَلَنِي بِبِشْرِ. ثُمَّ قَالَ: «خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ، تَالِدَةَ خَالِدَةَ<sup>(٢)</sup> لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا ظَالِمٌ، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ. فَكُلُّوا بِالْمَعْرُوفِ».

قَالَ عُثْمَانُ: فَلَمَّا وَكَيْتُ نَادَانِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قُلْتَ لَكَ؟» قَالَ: فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ؛ فَقُلْتُ: بَلَى، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ الْمِفْتَاحَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُضْطَبِعٌ بِثَوْبِهِ<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ: غَيْبُوهُ<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>.

(١) «المغازي» للواقدي (ص ٨٢١)، وله أصل في البخاري (٤: ١٥٥٩) رقم (٤٠٣٠).

(٢) يقال للشيء الدائم الذي لا يزول: تالِدٌ.

(٣) مضطبع بثوبه: وهو أن يدخل ثوبه من تحت إبطه اليمنى ويلقيه على عاتقه الأيسر.

(٤) قال الزهري: فلذلك يُغَيَّبُ المِفْتَاحُ.

(٥) «المغازي» للواقدي (ص ٨٣٦).

## ١٠٦- النَّبِيُّ ﷺ يُخَاطَبُ قُرَيْشًا

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ<sup>(١)</sup> الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظَمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الْحُجُرَاتِ: ١٣]. الْآيَةُ كُلُّهَا. ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

## ١٠٧- فِكْرَةٌ قَتَلَ النَّبِيُّ ﷺ

هَمَّ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرٍ بْنِ الْمَلُوحِ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَالَةُ؟» قَالَ: نَعَمْ، فَضَالَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «مَا كُنْتُ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟» قَالَ: لَا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكَرُ اللَّهَ. قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «اسْتَغْفِرِ اللَّهَ»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ، فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَن صَدْرِي حَتَّى مَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ. قَالَ فَضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ؛ فَقُلْتُ: لَا. وَأَنْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا  
يَأْبَى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ  
لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ  
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسَّرُ الْأَصْنََامُ

(١) نَخْوَةٌ: أَي: كِبَرٌ وَعُجْبٌ وَأَنْفَةٌ وَحِمِيَّةٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيَرَةِ» (٤١١:٢)، وَابْنُ حَبَانَ فِي «الثَّقَاتِ» (٥٥:٢)، وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِي «الْأَمِّ» (٣٨٢:٧).

لَرَأَيْتَ دِينَ اللَّهَ أَضْحَى بَيْنَنَا وَالشُّرْكَ يَعْتَشَى وَجَهَهُ الْإِطْلَامُ<sup>(١)</sup>

### ١٠٨- عُمَيْرُ يُرِيدُ لِصَاحِبِهِ الْقَدِيمِ الصُّلْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

خَرَجَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ يُرِيدُ جُدَّةَ لِيَرْكَبَ مِنْهَا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهَبٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ، لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ؛ فَأَمْتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: «هُوَ آمِنٌ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطِنِي آيَةً يَعْرِفُ بِهَا أَمَانَكَ؛ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِمَامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مَكَّةَ.

فَخَرَجَ بِهَا عُمَيْرٌ حَتَّى أَدْرَكَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ: يَا صَفْوَانُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، اللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَنْ تَهْلِكَهَا. فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ. قَالَ: وَيْحَكَ، اغْرُبْ عَنِّي فَلَا تُكَلِّمْنِي، قَالَ: أَيُّ صَفْوَانُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، أَفْضَلُ النَّاسِ وَأَبْرُّ النَّاسِ وَأَحْلَمُ النَّاسِ وَخَيْرُ النَّاسِ ابْنُ عَمِّكَ، عِزُّهُ عِزُّكَ. وَشَرُّهُ شَرُّكَ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي، قَالَ: هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمُ. فَرَجَعَ مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ صَفْوَانُ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قَدْ أَمْتَنِي؟ قَالَ: «صَدَقَ» قَالَ: فَاجْعَلْنِي فِيهِ بِالْخِيَارِ شَهْرَيْنِ؟ قَالَ: أَنْتَ بِالْخِيَارِ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ<sup>(٢)</sup>.

### ١٠٩- هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النِّسَاءِ يُبَايِعْنَ عَلَى الْإِسْلَامِ

وَأَمَّا هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ، فَإِنَّ مِنْ حَدِيثِهَا يَوْمَ الْفَتْحِ، أَنَّهَا بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الصَّفَا، وَعُمُرُ دُونَهُ بِأَعْلَى الْعُقْبَةِ، فَجَاءَتْ فِي نِسْوَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُبَايِعْنَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعُمُرُ يُكَلِّمُهُنَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا، قَالَتْ هِنْدُ: قَدْ

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢: ٤١٧).

(٢) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢: ٤١٧).

عَلِمْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ عَيْزُهُ لَأَعْنَى عَنَّا، فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَسْرِقَنَّ» قَالَتْ: وَهَلْ تَسْرِقُ الْحُرَّةُ؟!، لَكِنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبُو سُفْيَانَ رَجُلٌ مَسِيكٌ<sup>(١)</sup>، رُبَّمَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ مَا يُصْلِحُ وَلَدَهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُذِي مَا يَكْفِيكَ وَوَلَدَكَ بِالْمَعْرُوفِ<sup>(٢)</sup>»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكَ لَأَنْتِ هِنْدُ؟». قَالَتْ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْفُ عَنِّي، عَفَا اللَّهُ عَنكَ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ حَاضِرًا، فَقَالَ: أَنْتِ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتِ. فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَزْنِينَ»، قَالَتْ: وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ<sup>(٣)</sup>»، قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَكْرَمَكَ، وَأَحْسَنَ مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعْتُ: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ»، قَالَتْ: وَاللَّهِ قَدْ رَبَّبْنَاَهُمْ صِغَارًا، حَتَّى قَتَلْتَهُمْ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ بَدْرٍ كِبَارًا؛ قَالَ: فَضَحِكَ عُمَرُ مِنْ قَوْلِهَا حَتَّى مَالَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ<sup>(٤)</sup> يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ». فَقَالَتْ: وَاللَّهِ إِنْ إِيْتَانَ الْبُهْتَانِ لَفَيْحٌ، وَلِبَعْضِ التَّجَاوُزِ أَمْثَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: «بَابِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرْهُنَّ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ». فَبَابِعَهُنَّ عُمَرُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ، وَلَا يَمَسُّ إِلَّا أَمْرَأَةً أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُ أَوْ ذَاتَ مُحْرَمٍ مِنْهُ<sup>(٥)</sup>.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ<sup>٦</sup> فَبَابِعُهُنَّ

(١) مسيكة: أي: شحيح وبخيل.

(٢) بالمعروف: تطعمن من ماله بحسب ما يعرف بين الناس.

(٣) في طاعة الله، فيما نهى النبي ﷺ عنه من النوح، وتمزيق الثياب، وأن تخلو مع غريب في حضر أو سفر، أو تسافر فوق ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم، ونحو ذلك.

(٤) البهتان: أن تقذف المرأة ولداً من غير زوجها على زوجها، فتقول لزوجها: هو منك، وليس منه.

(٥) أوردته بهذا اللفظ السهيلي في «الروض الأنف» (٤: ١٧٢)، وخبر مبايعة هند ﷺ أخرجها البخاري

(٦: ٢٤٤٨) رقم (٦٢٦٥)، ومسلم (٣: ١٣٣٨) رقم (١٧١٤).

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَبْسُوْا مِنْ  
 الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْسَبِ الْقُبُورِ ﴿١٤﴾ [الممتحنة: ١٣، ١٤].

## ١١٠- وَرَثَةُ ابْنِ الْوَقَاصِ

عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ  
 الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي؛ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي؛  
 أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي؟

قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ<sup>(١)</sup>؟

فَقَالَ: «لَا». ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَّ<sup>(٢)</sup> وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ  
 مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ<sup>(٣)</sup>، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا  
 حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي امْرَأَتِكَ».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْلَفْتُ بَعْدَ أَصْحَابِي<sup>(٤)</sup>. قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ<sup>(٥)</sup> فَتَعْمَلَ عَمَلًا  
 صَالِحًا إِلَّا أزدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخْلَفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ

(١) أي: بالنصف.

(٢) أي: تترك ورثتك من بعدك.

(٣) العالة: الفقراء. وَيَتَكَفَّفُونَ: يَسْأَلُونَ النَّاسَ فِي أَكْفِهِمْ.

(٤) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: مَعْنَاهُ: أَخْلَفْتُ بِمَكَّةَ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ فَقَالَ إِمَّا إِشْفَاقًا مِنْ مَوْتِهِ بِمَكَّةَ؛ لِكَوْنِهِ هَاجِرًا  
 مِنْهَا، وَتَرَكَهَا لِلَّهِ تَعَالَى، فَخَشِيَ أَنْ يَفْدَحَ ذَلِكَ فِي هِجْرَتِهِ، أَوْ فِي ثَوَابِهِ عَلَيْهَا، أَوْ خَشِيَ بَقَائِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ انْصِرَافِ  
 النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَخَلَّفَهُ عَنْهُمْ بِسَبَبِ الْمَرَضِ، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ الرَّجُوعَ فِيمَا تَرَكُوهُ لِلَّهِ تَعَالَى.

(٥) الْمُرَادُ بِالتَّخْلُفِ: طُولُ الْعُمُرِ وَالْبَقَاءُ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ جَمَاعَاتٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَضِيلَةٌ  
 طُولُ الْعُمُرِ لِلْإِزْدِيَادِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْحَثُّ عَلَى إِزَادَةِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

آخِرُونَ<sup>(١)</sup>. اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنَّ الْبَائِسُ<sup>(٢)</sup> سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ» يَرِثِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ<sup>(٣)</sup>.<sup>(٤)</sup>

## ١١١- بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ

عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ<sup>(٥)</sup>، قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا لِأَشْتَرِي لَهُ شَاةً، فَأَشْتَرَيْتُ لَهُ شَاتَيْنِ<sup>(٦)</sup>، فَبِعْتُ إِحْدَاهُمَا بِدِينَارٍ، وَجِئْتُ بِالشَّاةِ وَالدِّينَارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ لَهُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ<sup>(٧)</sup>». فَكَانَ يُخْرَجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كُنَاسَةِ<sup>(٨)</sup> الْكُوفَةِ فَيَرْبِحُ الرِّبْحَ الْعَظِيمَ، فَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكُوفَةِ<sup>(٩)</sup>.

(١) هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ، فَإِنَّ سَعْدًا<sup>(١٠)</sup> عَاشَ حَتَّى فَتَحَ الْعِرَاقَ وَغَيْرَهُ، وَأَنْتَفَعَ بِهِ أَقْوَامٌ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَتَضَرَّرَ بِهِ الْكُفَّارُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَأَيَّاهُمْ قُتِلُوا وَصَارُوا إِلَى جَهَنَّمَ، وَسَيِّئَتْ نِسَاؤُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، وَغَنِمَتْ أَمْوَالُهُمْ وَدِيَارُهُمْ، وَوَلِيَ الْعِرَاقَ فَاهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ خَلَائِقٌ، وَتَضَرَّرَ بِهِ خَلَائِقٌ بِإِقَامَتِهِ الْحَقِّ فِيهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَنَحْوِهِمْ.

(٢) الْبَائِسُ: هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ أَثَرُ الْبُؤْسِ، وَهُوَ: الْفَقْرُ وَالْقِلَّةُ.

(٣) ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ لِمَنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا أَوْ يُقِيمَ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ انْقِضَاءِ نُسُكِهِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٥:١) رَقْم (١٢٣٣)، وَمُسْلِمٌ (١٢٥٠:٣) رَقْم (١٦٢٨).

(٥) (فَأَشْتَرَيْتُ لَهُ شَاتَيْنِ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُجُوزُ لِلْوَكِيلِ إِذَا قَالَ لَهُ الْمَالِكُ: اشْتَرِ بِهَذَا الدِّينَارِ شَاةً. وَوَصَفَهَا أَنَّ يَشْتَرِي بِهَا شَاتَيْنِ بِالصَّفْقَةِ الدُّكُورَةِ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَ الْمُوَكَّلِ قَدْ حَصَلَ وَزَادَ الْوَكِيلُ خَيْرًا.

(٦) وَالْمَعْنَى: بَارَكَ اللَّهُ فِي بَيْعِكَ وَتِجَارَتِكَ. وَجَاءَ فِي لَفْظِ الْبُخَارِيِّ رَقْم (٣٦٤٢): «وَكَانَ لَوْ اشْتَرَى التَّرَابَ لَرَبِحَ فِيهِ».

(٧) مَوْضِعٌ بِالْكُوفَةِ.

(٨) أَخْرَجَهُ هَذَا اللَّفْظَ التِّرْمِذِيُّ (٥٥١:٣) رَقْم (١٢٥٨).

## ١١٢- النَّبِيُّ ﷺ يَتَجَهَّزُ لِهُجُومِ هَوَازِنَ

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ هَوَازِنَ، وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ - وَهُوَ كَافِرٌ - وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَعِيرُهُ سِلَاحَهُ؛ فَأَعَارَهُ سِلَاحَهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا، فَقَالَ: طَوْعًا أَوْ كَرْهًا<sup>(١)</sup>؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَارِيَةٌ مُؤَدَاةً»<sup>(٢)</sup>. فَأَعَارَهُ؛ فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمَلَهَا إِلَى حُنَيْنٍ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْجِعْرَانَةِ<sup>(٣)</sup>.

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي الْعَنَائِمِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، جَعَلَ صَفْوَانُ يَنْظُرُ إِلَى شِعْبٍ مُلِئٍ نَعْمًا وَشَاءَ وَرِعَاءً، فَأَدَامَ إِلَيْهِ النَّظَرَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُهُ<sup>(٤)</sup>، فَقَالَ: «أَبَا وَهَبٍ، يُعْجِبُكَ هَذَا الشَّعْبُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ». فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ: مَا طَابَتْ نَفْسٌ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيِّ؛ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) غصباً أم عارية.

(٢) أي: لا أخذها غصباً، بل أستعيرها وأردها، فوضع موضع الردّ الضمان مبالغة في الردّ، وفيه: أن العارية يضمنها المستعير وإن لم يفرط، وهو مذهب الشافعي وأحمد، ولم يضمن أبو حنيفة إلا بالتعدي. «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤: ٣٩٤).

(٣) مَوْضِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ نِسْعَةُ أَمْيَالٍ، وَقِيلَ: سِتَّةُ أَمْيَالٍ.

(٤) رَمَقَهُ بِعَيْنِهِ رَمَقًا: أَطَالَ النَّظَرَ إِلَيْهِ.

(٥) بهذا اللفظ أخرجه الواقدي في «مغازيه» (ص ٨٥٠)، وأخرجه أبو داود (٢: ٣٢٠) رقم (٣٥٦٦)، وأحمد (٤: ٢٢٢) رقم (١٧٩٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١١: ٢٢) رقم (٤٧٢٠) مختصراً بلفظ: «عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إذا أتتك رسلي فأعطهم - أو قال: فادفع - إليهم ثلاثين درعاً وثلاثين بعيراً، أو أقل من ذلك» فقال له: العارية مؤداة يا رسول الله. قال: فقال النبي ﷺ: «نعم».

### ١١٣- دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَعْدَائِهِ الْقُدَمَاءِ (بَنِي ثَقِيفِ)

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ؛ فَجَاءَهُ أَصْحَابُهُ؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْرَقْتَنَا<sup>(١)</sup> نِبَالَ ثَقِيفِ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ؛ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا»<sup>(٢)</sup>.

### ١١٤- تَوْزِيعُ غَنَائِمِ حُنَيْنِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَنِمَ فِضَّةً كَثِيرَةً أَرْبَعَةَ آلَافِ أَوْقِيَّةٍ فَجُمِعَتْ الْغَنَائِمُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْفِضَّةُ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ أَكْثَرَ فُرَيْشٍ مَالًا؛ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ: أَعْطِنِي مِنْ هَذَا الْمَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «يَا بِلَالُ، زِنْ لِأَبِي سُفْيَانَ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ». قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ابْنِي يَزِيدُ أَعْطِهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زِنُوا لِيَزِيدَ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ». قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ابْنِي مُعَاوِيَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «زِنْ لَهُ يَا بِلَالُ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ».

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّكَ الْكَرِيمُ -فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي- وَلَقَدْ حَارَبْتُكَ فَنِعِمَ الْمُحَارَبُ كُنْتُ، ثُمَّ سَأَلْتُكَ فَنِعِمَ الْمُسَالِمُ أَنْتَ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. وَأَعْطَى فِي بَنِي أَسَدٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) حيث صبَّ عليهم أهل الطائف سكك الحديد المحماة، ورموهم بالنبل، فأصابوا منهم قوماً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٠١:١٢) رقم (٣٣١٦٣)، والترمذي (٧٢٩:٥) رقم (٣٩٤٢)

وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٧:٣) رقم (١٥١٥).

(٣) أخرجه الواقدي في «مغازيه» (ص ٩٤٤).

## ١١٥- مَعَارِضَةٌ فِي الْعَطَايَا

رَوَى عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ رضي الله عنه قَالَ: أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمًا وَمَنَعَ آخَرِينَ، فَكَأْتَهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي قَوْمًا أَخَافُ ظَلَعَهُمْ»<sup>(١)</sup> وَجَزَعَهُمْ، وَأَكَلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْحَيْرِ وَالْغِنَى، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ». فَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: مَا أَحْبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةٍ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حُمَّرَ النَّعَمَ<sup>(٢)</sup>.

## ١١٦- الْأَنْصَارُ يَفْتَحُونَ قَضِيَّةً

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ<sup>(٣)</sup> هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ<sup>(٤)</sup>؛ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمَهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيُّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، فَسَمِتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَمًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا أَمْرٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟!!

قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»<sup>(٥)</sup> قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ؛ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ.

(١) (ظلعهم) أصل الظلع الاعوجاج والميل، والمراد هنا مرض القلب وضعف اليقين.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٦:٣) رقم (٢٩٧٦).

(٣) وجد: أي غضب.

(٤) القالة: اسم للقول الفاشي في الناس خيراً كان أو شراً.

(٥) الْحَظِيرَةُ: الْمُحِيطُ بِالشَّيْءِ، سِوَاءَ كَانَ خَشْبًا أَوْ قَصَبًا، جَمْعُهَا: الْحِظَاوِرُ.

قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ بِالذِّي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ.

قَالَ: «أَلَا تُحِبُّونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ وَلِرَسُولِهِ السَّمْنُ وَالْفَضْلُ؟

قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُتِمُمْ فَاصْدَقْتُمْ وَصَدَّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَدِّبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمُخَذُّوْلًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ.

أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ<sup>(٢)</sup>، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحِطًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا<sup>(٣)</sup>.

(١) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَمِنْهُ -أَي: مِنَ اللُّعَاعِ- بِمَعْنَى النَّبْتِ النَّاعِمِ. قِيلَ: الدُّنْيَا لُعَاعَةٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لُعَاعَةٌ» يَعْنِي: كَالنَّبَاتِ الْأَخْضَرِ قَلِيلِ الْبَقَاءِ. «تَاجُ الْعُرُوسِ» مَادَةٌ (لَعَع).  
 (٢) أَي: بَلُّوْهَا بِالذُّمِّ مَوْعٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٦:٣) رَقْم (١١٧٤٨) قَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

## ١١٧- تَوْقُعُ مَقَرِّ جَدِيدٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ حَدِيثَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَفِيهِ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرَيْتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَجَاءَ الْوَحْيُ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الْوَحْيُ لَا يُخْفَى عَلَيْنَا، فَإِذَا جَاءَ فَلَيْسَ أَحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْقُضِيَ الْوَحْيُ، فَلَمَّا انْقَضَى الْوَحْيُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرَيْتِهِ». قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَلِكَ. قَالَ: «كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ». فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضَّنَّ<sup>(١)</sup> بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْدِرَانِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ مَكَّةَ وَدَخَلَهَا، قَامَ عَلَى الصَّفَا يَدْعُو اللَّهَ، وَقَدْ أَحَدَقَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: أَتَرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُعِيمُ بِهِا؟ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ: «مَاذَا قُلْتُمْ؟» قَالُوا: لَا شَيْءَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَعَاذَ اللَّهِ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الضَّنُّ: هو - بكسر الضاد - أي: شُحًّا بِكَ أَنْ تَفَارِقَنَا وَيُخْتَصُّ بِكَ غَيْرَنَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأحمد (٥٣٨:٢)، وابن حبان (٤٧٦٠).

(٣) «السيرة» لابن هشام (٤١٦:٢).

## ١١٨- مَوْتُ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ

مَرَضَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِي لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ، وَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانَ مَرَضُهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ؛ فَقَالَ: «قَدْ نَهَيْتَكَ عَنْ حُبِّ الْيَهُودِ».

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي: أَبْغَضَهُمْ سَعْدُ بْنُ زُرَّارَةَ فَمَا نَفَعَهُ! ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ بِحِينَ عِتَابٍ، هُوَ الْمَوْتُ، فَإِنْ مِتُّ فَأَحْضُرْ عُسْلِي، وَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفَنُ فِيهِ. فَأَعْطَاهُ الْأَعْلَى - وَكَانَ عَلَيْهِ قَمِيصَانِ - فَقَالَ: الَّذِي يَلِي جِلْدَكَ. فَتَرَخَ قَمِيصَهُ الَّذِي يَلِي جِلْدَهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ قَالَ: صَلَّى عَلَيَّ وَاسْتَغْفِرْ لِي<sup>(١)</sup>.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا تُوِّفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفَنَهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ. فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَقَالَ: «إِذَا فَرَعْتَ مِنْهُ فَادْنَا» فَلَمَّا فَرَغَ آذَنَهُ بِهِ، فَجَاءَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَجَذَبَهُ عُمَرُ؛ فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: «أَنَا بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ، قَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]». فَنَزَلَتْ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]. فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>.

## ١١٩- إِسْلَامُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَأُخْتِهِ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي مِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى مِائَةٍ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَسًا، وَمَعَهُ رَايَةُ سُودَاءَ وَلِوَاءُ أَيْبُصَ إِلَى الْفُلْسِ - وَهُوَ صَنْمٌ طَيِّبٌ - لِيَهْدِمَهُ، فَشَتُّوا الْعَارَةَ عَلَى مَحَلَّةِ آلِ حَاتِمٍ مَعَ الْفَجْرِ فَهَدَمُوهُ، وَمَلَّوْا أَيْدِيَهُمْ مِنَ السَّبِيِّ وَالنِّعَمِ وَالشَّاءِ، وَفِي

(١) «مغازي الواقدي» (ص ١٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢١٨٤: ٥) رقم (٥٤٦٠)، ومسلم (١٨٦٥: ٤) رقم (٢٤٠٠).

السَّبِي أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، وَهَرَبَ عَدِيٌّ إِلَى الشَّامِ، وَوَجَدُوا فِي خِزَانَتِهِ ثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ وَثَلَاثَةَ أَدْرَاعٍ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى السَّبِيِّ أَبَا قَتَادَةَ، وَعَلَى الْمَاشِيَةِ وَالرَّيَّةَ<sup>(١)</sup> عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكَ، وَقَسَمَ الْعَنَائِمَ فِي الطَّرِيقِ، وَعَزَلَ الصَّفِيَّ<sup>(٢)</sup> لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَقْسِمَ عَلَى آلِ حَاتِمٍ حَتَّى قَدِمَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي، أَمَا أَنَا فَكُنْتُ امْرَأً شَرِيفًا، وَكُنْتُ نَصْرَانِيًّا، وَكُنْتُ أَسِيرٌ فِي قَوْمِي بِالْمَرْبَاعِ<sup>(٣)</sup>، فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينِ، وَكُنْتُ مَلِكًا فِي قَوْمِي، لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي. فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَرِهْتُهُ، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ كَانَ لِي عَرَبِيًّا، وَكَانَ رَاعِيًّا لِإِبِلِي: لَا أَبَا لَكَ<sup>(٤)</sup>، أَعِدْ لِي مِنْ إِبِلِي أَجْمَالًا ذُلًّا سَمَانًا، فَاحْتَسِبْهَا قَرِيبًا مِنِّي، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ فَادْنِي؛ فَفَعَلَ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، مَا كُنْتَ صَانِعًا إِذَا غَشِيَتْكَ خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعُهُ الْآنَ؛ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتٍ فَسَأَلْتُ عَنْهَا، فَقَالُوا: هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَقَرَّبْ إِلَيَّ أَجْمَالِي، فَقَرَّبَهَا، فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلَدِي، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْحُقْ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ؛

(١) الرَّيَّةُ: رديء المتاع، وخُلِقَانُ الثِّيَابِ.

(٢) الصَّفِيُّ وَهُوَ مَا يَتَخَيَّرُهُ النَّبِيُّ مِنَ الْمُعْتَمِ.

(٣) كَانَ يَأْخُذُ الرَّبْعَ مِنَ الْغَنِيمَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ دُونَ أَصْحَابِهِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الرَّبْعَ الْمَرْبَاعَ.

(٤) لَا أَبَا لَكَ: وَهُوَ أَكْثَرُ مَا يُذَكَّرُ فِي الْمَدْحِ: أَي: لَا كَافِي لَكَ غَيْرَ نَفْسِكَ. وَقَدْ يَذْكَرُ فِي مَعْرُضِ الدَّمِّ كَمَا يُقَالُ:

لَا أُمَّ لَكَ، وَقَدْ يَذْكَرُ فِي مَعْرُضِ التَّعَجُّبِ وَدَفْعًا لِلْعَيْنِ كَقَوْلِهِمْ: اللَّهُ دَرَكُكَ، وَقَدْ يَذْكَرُ بِمَعْنَى جَدِّ فِي أَمْرِكَ وَشَمْرًا؛ لِأَنَّ مِنْ لَهُ أَبٌ اتَّكَلُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ شَأْنِهِ.

فَسَلَكْتُ الْجَوْشِيَّةَ<sup>(١)</sup> - وَيُقَالُ: الْجَوْشِيَّةُ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَخَلَفْتُ<sup>(٢)</sup> بِنْتًا لِحَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ،  
فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا<sup>(٣)</sup>.

## ١٢٠- أَسْرُ الرُّسُولِ ابْنَةَ حَاتِمٍ ثُمَّ إِطْلَاقُهَا

قَالَ: وَتَخَالَفَنِي حَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَصَيَّبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِيمَنْ أَصَابَتْ؛ فَقَدِمَ بِهَا عَلَى  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَبَايَا مِنْ طَيْبٍ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ، قَالَ: فَجَعَلْتُ بِنْتُ  
حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَتْ إِلَيْهِ،  
وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً<sup>(٤)</sup>، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَالِدُ<sup>(٥)</sup>، فَاْمُنْ عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ  
عَلَيْكَ. قَالَ: «وَمَنْ وَافِدُكَ؟» قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: «الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟».

قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ مَرِّي، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ  
ذَلِكَ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ.

قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْعَدِ مَرِّي وَقَدْ يَسُتُّ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ  
قَوْمِي فَكَلَّمَنِي، قَالَتْ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَالِدُ، فَاْمُنْ  
عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ؛ فَقَالَ ﷺ: «قَدْ فَعَلْتُ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجِ حَتَّى تَحْدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ  
لِكَ ثِقَةً؛ حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ» ثُمَّ آذَنَنِي.

(١) الجوشية: موضع بين نجد والشام.

(٢) أي: تركت.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢: ٥٧٨)، و«تاريخ الطبري» (٢: ١٧٨).

(٤) الجزلة: العاقلة الأصبيلة الرأي.

(٥) قال ابن سيد الناس: (وغاب الوافد) بالواو، وقال بعض الناس: لا معنى له إلا على وجه بعيد. قال:  
ووجدت الرقام ذكره في كتابه (الرافد) بالراء، وهو أشبه.

فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَكَلَّمَهُ؛ فَقِيلَ: عَيْثُ بَنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أَوْ قُضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَحِيَّ بِالشَّامِ. قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ. قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ<sup>(١)</sup>.

## ١٢١- إِشَارَةُ ابْنَةِ حَاتِمٍ عَلَى عَدِيٍّ بِالإِسْلَامِ

قَالَ عَدِيٌّ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفَاعِدٌ فِي أَهْلِي، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى طَعِينَةٍ تَصُوبُ إِلَيَّ تَوَمَّنًا، قَالَ: فَقُلْتُ: ابْنَةُ حَاتِمٍ. قَالَ: فَإِذَا هِيَ هِيَ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيَّ انْسَحَلَتْ<sup>(٢)</sup> تَقُولُ: الْفَاطِعُ الظَّالِمُ، احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَالِدِكَ، وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ وَالِدِكَ عَوْرَتَكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ أُخِيَّةٍ، لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا لِي مِنْ عُذْرٍ، لَقَدْ صَنَعْتُ مَا ذَكَرْتِ.

قَالَ: ثُمَّ نَزَلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي، فَقُلْتُ لَهَا، وَكَأَنْتِ امْرَأَةٌ حَازِمَةٌ: مَاذَا تَرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَتْ: أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تُلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا فَلِلسَّابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَذَلَّ فِي عِزِّ اليمَنِ، وَأَنْتِ أَنْتِ. قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّأْيُ<sup>(٣)</sup>.

## ١٢٢- قُدُومُ عَدِيٍّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِسْلَامُهُ

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «مَنِ الرَّجُلُ؟» فَقُلْتُ: عَدِيٌّ بَنُ حَاتِمٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى

(١) «سيرة ابن هشام» (٢: ٥٧٩)، و«تاريخ الطبري» (٢: ١٨٧).

(٢) انسحلت: تقول إن كانت هذه اللفظة بالجمع، فيقال: أسجلت الكلام أي أرسلته، وإن كانت بالحاء المهملة، يقال: انسحل الخطيب بالكلام: إذا جرى به.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢: ٥٨٠).

بَيْتِهِ، فَوَالله إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ إِذْ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ فَاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا، قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَالله مَا هَذَا بِمَلِكٍ.

قَالَ: ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ تَنَاوَلَ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُورَةً لِيَفًا، فَقَذَفَهَا إِلَيَّ؛ فَقَالَ: «اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ» قَالَ: قُلْتُ: بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتَ» فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْأَرْضِ. قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَالله مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ. ثُمَّ قَالَ: «إِيه يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «أَوْ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ» قَالَ: قُلْتُ: أَجَلٌ وَالله. وَقَالَ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ.

ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَوَالله لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَالله لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْفَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَأَيْمُ اللهُ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ» قَالَ: فَأَسْلَمْتُ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُرَوَى تَفْسِيرَ الرُّكُوسِيَّةِ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، أَنَّهُ قَالَ: هُوَ دِينُ بَيْنِ النَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ. «غَرِيبُ الْحَدِيثِ»

لَأَبِي عَبِيدِ بْنِ سَلَامٍ (٣: ٨٧).

(٢) «سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ» (٢: ٥٨٠)، وَ«تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ» (٢: ١٨٨).

## ١٢٣- وَقُوعُ مَا وَعَدَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عَدِيًّا

كَانَ عَدِيٌّ يَقُولُ: قَدْ مَضَتْ اثْنَتَانِ وَبَقِيَتِ الثَّلَاثَةُ، وَاللَّهِ لَتَكُونَنَّ، قَدْ رَأَيْتُ الْقُصُورَ الْبَيْضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ، وَقَدْ رَأَيْتُ السَّمْرَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا لَا تَخَافُ حَتَّى تَحْجَّ هَذَا الْبَيْتَ، وَأَيُّمَ اللَّهِ لَتَكُونَنَّ الثَّلَاثَةُ: لَيَفِيضَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يُوجَدَ مَنْ يَأْخُذُهُ<sup>(١)</sup>.

## ١٢٤- وَفَدَّ نَجْرَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ يَسُوعَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ - قَالَ يُونُسُ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ -: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ: «بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ، فَإِنِ ابْتِئْتُمْ فَالْجَزِيَّةُ، فَإِنِ ابْتِئْتُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبٍ وَالسَّلَامُ».

فَلَمَّا أَتَى الْأُسْقُفَ الْكِتَابَ فَقَرَأَهُ فَطَعَّ بِهِ وَذَعَرَ بِهِ ذُعْرًا شَدِيدًا<sup>(٢)</sup>، فَبَعَثَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ - يُقَالُ لَهُ: شُرْحَيْلُ بْنُ وَدَاعَةَ، وَكَانَ مِنْ هَمْدَانَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُدْعَى إِذَا نَزَلَتْ مُعْضَلَةٌ<sup>(٣)</sup> قَبْلَهُ لَا الْأَيُّمُ وَلَا السَّيِّدُ وَلَا الْعَاقِبُ - فَدَفَعَ الْأُسْقُفُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ فَقَرَأَهُ؛ فَقَالَ الْأُسْقُفُ: يَا أَبَا مَرِيَمَ، مَا رَأَيْتُكَ؟ فَقَالَ شُرْحَيْلُ: قَدْ عَلِمْتَ مَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ مِنَ النَّبُوَّةِ، فَمَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، لَيْسَ لِي فِي النَّبُوَّةِ رَأْيٌ، لَوْ كَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا أَشْرْتُ عَلَيْكَ فِيهِ، وَجَهَدْتُ لَكَ، فَقَالَ لَهُ الْأُسْقُفُ: تَنَحَّ فَاجْلِسْ، فَتَنَحَّى شُرْحَيْلُ فَجَلَسَ نَاحِيَةً.

(١) «سيرة ابن هشام» (٢: ٥٨٠)، «تاريخ الطبري» (٢: ١٨٨)، وانظر «زاد المعاد» (٣: ٤٥٠).

قلت: وقد وقع ذلك في عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ورضوانه.

(٢) أي: هابه وخافه وأكبره.

(٣) المشكلة الشديدة.

فَبَعَثَ الْأَسْفُفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ - يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَرْحِبِيلٍ - وَهُوَ مِنْ ذِي أَصْبَحَ مِنْ حَمِيرٍ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شَرْحِبِيلٍ. فَقَالَ لَهُ الْأَسْفُفُ: تَنَحَّ فَاجْلِسْ، فَتَنَحَّى فَجَلَسَ نَاحِيَةً.

فَبَعَثَ الْأَسْفُفُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ - يُقَالُ لَهُ: جَبَّارُ بْنُ فَيْضٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ - فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ؛ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ قَوْلِ شَرْحِبِيلٍ وَعَبَدَ اللَّهُ فَأَمَرَهُ الْأَسْفُفُ فَتَنَحَّى.

فَلَمَّا اجْتَمَعَ الرَّأْيُ مِنْهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ جَمِيعًا أَمَرَ الْأَسْفُفُ بِالنَّاقُوسِ<sup>(١)</sup> فَضْرِبَ بِهِ، وَرُفِعَتْ الْمُسُوحُ<sup>(٢)</sup> فِي الصَّوَامِعِ<sup>(٣)</sup> - وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ إِذَا فَرَعُوا بِالنَّهَارِ، وَإِذَا كَانَ فَرَعُهُمْ بِاللَّيْلِ ضْرِبَ النَّاقُوسِ وَرُفِعَتْ النِّيرانُ فِي الصَّوَامِعِ - فَاجْتَمَعَ حِينَ ضْرِبَ بِالنَّاقُوسِ وَرُفِعَتْ الْمُسُوحُ - أَهْلُ الْوَادِي أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ، وَطُولُ الْوَادِي مَسِيرَةَ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ السَّرِيعِ، وَفِيهِ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ قَرْيَةً وَعِشْرُونَ وَمِائَةً أَلْفٍ مُقَاتِلٍ - فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ الرَّأْيِ فِيهِ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ أَهْلِ الْوَادِي مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَبْعُنُوا شَرْحِبِيلَ بْنَ وَدَاعَةَ الْهُمْدَانِيَّ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ شَرْحِبِيلٍ، وَجَبَّارُ بْنُ فَيْضٍ الْحَارِثِيَّ، فَيَأْتُوهُمْ بِخَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَانْطَلَقَ الْوَفْدُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمَدِينَةِ وَضَعُوا ثِيَابَ السَّفَرِ عَنْهُمْ وَلَبَسُوا حُلًّا لَهُمْ يَجْرُونَهَا مِنَ الْحَبْرَةِ<sup>(٤)</sup> وَخَوَاتِيمَ الذَّهَبِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا حَتَّى آتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، وَتَصَدَّقُوا لِكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَلَمْ يُكَلِّمَهُمْ، وَعَلَيْهِمْ تِلْكَ الْحُلُّ وَالْخَوَاتِيمُ الذَّهَبُ.

(١) النَّاقُوسُ: الَّذِي يَضْرِبُهُ النَّصَارَى لِأَوْقَاتِ صَلَاتِهِمْ، وَهِيَ حَشَبَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ وَأُخْرَى قَصِيرَةٌ.

(٢) الْمُسُوحُ: اللَّبَاسُ الْحَشَنُ.

(٣) بِيوتِ الْعِبَادَةِ عِنْدَ النَّصَارَى وَتَعْبُدُ النَّاسِكِ.

(٤) الْحَبْرَةُ: هِيَ ثِيَابٌ مِنْ كَتَانٍ أَوْ قُطْنٍ مَحْبَرَةٌ، أَيْ: مُزَيَّنَةٌ، وَالتَّحْبِيرُ: التَّزْيِينُ وَالتَّحْيِينُ.

فَانطَلَقُوا يَتَّبِعُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَكَانَا مَعْرِفَةً لَهُمْ، كَانَا يُحْرِجَانِ الْعِيرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى نَجْرَانَ فَيُشْتَرَى لَهُمَا مِنْ بَرِّهَا وَثَمَرِهَا وَذُرَّتِهَا، فَوَجَدُوهُمَا فِي نَاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي مَجْلِسٍ؛ فَقَالُوا: يَا عُثْمَانُ وَيَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، إِنَّ نَبِيَكُمْ كَتَبَ إِلَيْنَا بِكِتَابٍ فَأَقْبَلْنَا مُجِيبِينَ لَهُ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا سَلَامَنَا، وَتَصَدَّقْنَا لِكَلَامِهِ نَهَارًا طَوِيلًا فَأَعْيَانَا أَنْ يُكَلِّمَنَا، فَمَا الرَّأْيُ مِنْكُمَا، أَعُودُ؟

فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَهُوَ فِي الْقَوْمِ -: مَا تَرَى يَا أَبَا الْحَسَنِ فِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ عَلِيُّ لِعُثْمَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ رضي الله عنهما: أَرَى أَنْ يَضَعُوا حُلَّهْمُ هَذِهِ، وَخَوَاتِيمَهُمْ، وَيَلْبَسُوا ثِيَابَ سَفَرِهِمْ، ثُمَّ يَأْتُوا إِلَيْهِ.

فَفَعَلَ الْوَفْدُ ذَلِكَ، فَوَضَعُوا حُلَّهْمُ وَخَوَاتِيمَهُمْ ثُمَّ عَادُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَرَدَّ سَلَامَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَقَدْ أَتَوْنِي الْمَرَّةَ الْأُولَى وَإِنَّ إِبْلِيسَ لَمَعَهُمْ». ثُمَّ سَأَلَهُمْ وَسَأَلُوهُ فَلَمْ تَرَلْ بِهِ وَبِهِمُ الْمَسْأَلَةَ حَتَّى قَالُوا لَهُ: مَا تَقُولُ فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فَإِنَّا نَرْجِعُ إِلَى قَوْمِنَا وَنَحْنُ نَصَارَى فَيَسْرُنَا إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا أَنْ نَعْلَمَ مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عِنْدِي فِيهِ شَيْءٌ يَوْمِي هَذَا، فَأَقِيمُوا حَتَّى أَخْبِرَكُمْ بِمَا يُقَالُ لِي فِي عَيْسَى».

فَأَصْبَحَ الْغَدُ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦١]. فَأَبُوا أَنْ يُقَرُّوا بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغَدَ

بَعْدَمَا أَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، أَقْبَلَ مُشْتَمِلًا<sup>(١)</sup> عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام فِي حَيْبِلٍ<sup>(٢)</sup> لَهُ وَفَاطِمَةَ عليها السلام تَمْشِي عِنْدَ ظَهْرِهِ لِلْمَبَاهِلَةِ<sup>(٣)</sup>، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ عِدَّةٌ نِسْوَةٌ.

فَقَالَ شُرْحَيْبِلٌ لِصَاحِبِيهِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شُرْحَيْبِلَ وَيَا جَبَّارُ بْنَ فَيْضٍ، قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ الْوَادِيَّ إِذَا اجْتَمَعَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ لَمْ يَرِدُوا وَلَمْ يَصُدُّوا إِلَّا عَن رَأْيِي، وَإِنِّي وَاللَّهِ أَرَى أَمْرًا مُقْبِلًا، وَأَرَى وَاللَّهِ إِنَّ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَلِكًا مَبْعُوثًا؛ فَكُنَّا أَوَّلَ الْعَرَبِ طَعَنَ فِي عَيْنِهِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، لَا يَذْهَبُ لَنَا مِنْ صَدْرِهِ وَلَا مِنْ صُدُورِ قَوْمِهِ حَتَّى يُصِيبُونَا بِجَائِحَةٍ<sup>(٤)</sup>، وَإِنَّا أَدْنَى الْعَرَبِ مِنْهُمْ جَوَارًا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ نَبِيًّا مُرْسَلًا فَلَا عَنَاءَهُ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَّا شَعْرَةٌ وَلَا ظُفْرٌ إِلَّا هَلَكَ.

فَقَالَ لَهُ صَاحِبَاهُ: فَمَا الرَّأْيُ، فَقَدْ وَضَعْتَكَ الْأُمُورَ عَلَى ذِرَاعٍ<sup>(٥)</sup>، فَهَاتِ رَأْيَكَ؟  
فَقَالَ: رَأْيِي أَنْ أُحْكِمَهُ، فَإِنِّي أَرَى رَجُلًا لَا يَحْكُمُ شَطَطًا<sup>(٦)</sup> أَبَدًا. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَذَلِكَ.  
فَلَقِيَ شُرْحَيْبِلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ خَيْرًا مِنْ مَلَاعَتِكَ. فَقَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَ  
شُرْحَيْبِلٌ: حُكْمُكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، وَلَيْلَتِكَ إِلَى الصَّبَاحِ، فَمَهْمَا حَكَمْتَ فِينَا فَهُوَ جَائِزٌ.  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّ وَرَاءَكَ أَحَدًا يُثْرِبُ<sup>(٧)</sup> عَلَيْكَ؟».

- 
- (١) الاشتغال بالثوب أن يلتفت به، فيطرحه عن شانه.
  - (٢) الحميل والحويمة: القطيفة؛ وهي كل ثوب له حمل من أي شيء كان. وقيل: الحميل الأسود من الثياب.
  - (٣) المباهلة: مفاعلة من البهلة، وهي اللعنة، ومأخذها من الإهمال، وهو الإهمال والتخلية؛ لأن اللعن والطرود والإهمال من وادٍ واحد، ومعنى المباهلة: أن يجتمعوا إذا اختلفوا فيقولوا: بهلة الله على الظالم منا.
  - (٤) الجائحة: المصيبة التي تجتاح، أي: تستأصل.
  - (٥) من قولهم: جعلت أمرك على ذراعك، أي: اصنع ما شئت. «أساس البلاغة» مادة (ذرع).
  - (٦) الشطط: وهو الجور والظلم والبعد عن الحق.
  - (٧) يثرب: يلوم.

فَقَالَ لَهُ شُرْحَيْلٌ: سَلْ صَاحِبِيَّ. فَسَأَلَهُمَا؛ فَقَالَ: مَا يَرِدُ الْوَادِي وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَن رَأْيِ شُرْحَيْلٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِرٌ» أَوْ قَالَ: «جَاحِدٌ مُّوَفَّقٌ».

فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَلَا عِنْتَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَوْهُ فَكَتَبَ لَهُمْ فِي الْكِتَابِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا كَتَبَ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ رَسُولُ اللَّهِ لِنَجْرَانَ، إِذْ كَانَ عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ فِي كُلِّ ثَمْرَةٍ، وَفِي كُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَوْدَاءَ وَرَقِيقٍ فَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى أَلْفِي حُلَّةٍ: فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَفِي كُلِّ صَفْرِ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَكُلُّ حُلَّةٍ أَوْقِيَّةٌ، مَا زَادَتْ عَلَى الْخُرَاجِ أَوْ نَقَصَتْ عَلَى الْأَوْاقِي فَبِحِسَابِ، وَمَا قَضَوْا مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ أَوْ عَرَضٍ أُخِذَ مِنْهُمْ بِحِسَابِ، وَعَلَى نَجْرَانَ مَوْنَةٌ رُسُلِي وَمُتَعَتُّهُمْ بِهَا مَا بَيْنَ عِشْرِينَ فِدُونَهُ، وَلَا يُجْبَسُ رَسُولٌ فَوْقَ شَهْرٍ، وَعَلَيْهِمْ عَارِيَةٌ ثَلَاثِينَ دِرْعًا وَثَلَاثِينَ فَرَسًا وَثَلَاثِينَ بَعِيرًا، إِذَا كَانَ كَيْدٌ بِالْيَمَنِ وَمَعْدَرَةٌ، وَمَا هَلَكَ مِمَّا أَعَارُوا رَسُولِي مِنْ دُرُوعٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ رِكَابٍ فَهُوَ ضَمَانٌ عَلَى رَسُولِي حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَيْهِمْ.

وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جَوَارُ اللَّهِ، وَذِمَّةٌ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ وَتَبَعِهِمْ، وَأَنْ لَا يُعَيَّرُوا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا يُغَيَّرَ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلَّتِهِمْ، وَلَا يُعَيَّرَ أُسْفُفٌ مِنْ أُسْفُفِيَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا وَافِيَةٌ عَنْ وَفَيْيَّتِهِ<sup>(١)</sup>، وَكُلُّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ رِبْيَةٌ وَلَا دَمٌ جَاهِلِيَّةٍ وَلَا يُجَشَّرُونَ وَلَا يُعَشَّرُونَ، وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ، وَمَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ حَقًّا فَيَبْنِيهِمْ النِّصْفُ عَيْرَ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ، وَمَنْ أَكَلَ رُبًّا مِنْ ذِي قَبْلِ فِدْمَتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ رَجُلٌ مِنْهُمْ

(١) قال ابن الأثير: الوافاه ( هذا شرح الليث كما في الهروي ): القيم على البيت الذي فيه صليب النصارى

بلغة أهل الجزيرة. ويُروى [واهف] . وبعضهم يرويه بالقاف. والصواب الفاء. «النهاية» (٤٦٨:٥).

بِظُلْمِ آخِرٍ، وَعَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جَوَارِ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْقَلِبِينَ بِظُلْمٍ»

شَهِدَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَعَيْلَانُ بْنُ عَمْرٍو وَمَالِكُ بْنُ عَوْفٍ وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ وَالْمُعِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَكُتِبَ.

حَتَّى إِذَا قَبَضُوا كِتَابَهُمْ أَنْصَرَفُوا إِلَى نَجْرَانَ فَتَلَقَّاهُمُ الْأُسْقُفُ وَوُجُوهُ نَجْرَانَ عَلَى مَسِيرَةِ لَيْلَةٍ، وَمَعَ الْأُسْقُفِ أَخٌ لَهُ مِنْ أُمِّهِ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ مِنَ النَّسَبِ، يُقَالُ لَهُ: بَشْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَلْقَمَةَ - فَدَفَعَ الْوَفْدُ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْأُسْقُفِ، فَبَيْنَا هُوَ يَقْرُؤُهُ وَأَبُو عَلْقَمَةَ مَعَهُ وَهُمَا يَسِيرَانِ إِذْ كَبَتْ بِبَشْرٍ نَاقَتَهُ فَتَعَسَّ بِبَشْرٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُكْنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الْأُسْقُفُ عِنْدَ ذَلِكَ: قَدْ تَعَسَّتْ وَاللَّهِ نَبِيًّا مُرْسَلًا.

فَقَالَ بَشْرٌ: لَا جَرَمَ<sup>(١)</sup> وَاللَّهِ، لَا أَحُلُّ عَنْهَا عَقْدًا حَتَّى آتِيَهُ، فَضَرَبَ وَجْهَ نَاقَتِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، وَثَنَى الْأُسْقُفُ نَاقَتَهُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ: أَفَهُمْ عَنِّي. إِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِتَبْلُغَ عَنِّي الْعَرَبَ خَافَةَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّا أُخِذْنَا حَقْمَةً، أَوْ نَحَعْنَا لِهَذَا الرَّجُلِ بِمَا لَمْ تَنْخَعْ بِهِ الْعَرَبُ، وَنَحْنُ أَعَزُّهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ دَارًا. فَقَالَ لَهُ بَشْرٌ: لَا وَاللَّهِ، لَا أُفِيلُكَ مَا خَرَجَ مِنْ رَأْسِكَ أَبَدًا. فَضَرَبَ بِبَشْرٍ نَاقَتَهُ وَهُوَ مُوَلِّ ظَهْرَهُ لِلْأُسْقُفِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِلَيْكَ تَعُدُّو قَلِقًا وَضِيئُهَا<sup>(٢)</sup> مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا

مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينِهَا

حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى أُسْتُشْهِدَ أَبُو عَلْقَمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ.

(١) لَا جَرَمَ: هذه كلمة ترد بمعنى تحقيق الشيء. وقد اختلفت في تقديرها فقيل: أصلها التبرئة، بمعنى: لا بد، ثم استعملت في معنى حقًا.

(٢) الوضين: بطن منسوج بفضة على بعض، يشد به الرجل على البعير كالخزام للسر. والقلق: المتسع، كناية عن هزال الناقة.

وَدَخَلَ الْوَفْدُ نَجْرَانَ، فَأَتَى الرَّاهِبُ ابْنَ أَبِي شِمْرٍ الزَّبِيدِيَّ وَهُوَ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَبِيًّا قَدْ بُعِثَ بِتِهَامَةَ، وَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْأُسْقَفِ، فَأَجَعَ أَهْلُ الْوَادِي أَنْ يُسِيرُوا إِلَيْهِ شُرْحِبِيلَ بْنِ وَدَاعَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ شُرْحِبِيلَ وَجَبَّارَ بْنَ فَيْضٍ فَيَأْتُونَهُمْ بِخَيْرِهِ، فَسَارُوا حَتَّى أَتَوْهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، فَكَرِهُوا مُلَاعَنَتَهُ، وَحَكَمَهُ شُرْحِبِيلُ فَحَكَمَ عَلَيْهِمْ حُكْمًا وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا.

ثُمَّ أَقْبَلَ الْوَفْدَ بِالْكِتَابِ حَتَّى دَفَعُوهُ إِلَى الْأُسْقَفِ فَبَيَّنَا الْأُسْقَفُ يَقْرُؤُهُ وَيَشْرُ مَعَهُ حَتَّى كَبَتْ<sup>(١)</sup> بِيَشْرٍ نَاقَتَهُ فَتَعَسَّهُ؛ فَشَهِدَ الْأُسْقَفُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَاَنْصَرَفَ أَبُو عَلْقَمَةَ نَحْوَهُ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ.

فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَنْزَلُونِي وَإِلَّا رَمَيْتُ بِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ، فَأَنْزَلُوهُ فَانْطَلَقَ الرَّاهِبُ بِهَدْيَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا هَذَا الْبُرْدُ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْخُلَفَاءُ، وَالْقَعْبُ<sup>(٢)</sup> وَالْعَصَا، وَأَقَامَ الرَّاهِبُ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْمَعُ كَيْفَ يَنْزِلُ الْوَحْيُ وَالسُّنَنُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ، وَأَبَى اللَّهُ لِلرَّاهِبِ الْإِسْلَامَ فَلَمْ يُسَلِّمْ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّجْعَةِ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنَّ لِي حَاجَةً وَمَعَادًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَلَمْ يَعُدْ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَإِنَّ الْأُسْقَفَ أَبَا الْحَارِثِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وَوُجُوهُ قَوْمِهِ، وَأَقَامُوا عِنْدَهُ يَسْتَمْعُونَ مَا يَنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَكَتَبَ لِلأُسْقَفِ هَذَا الْكِتَابَ وَلِلأَسَاقِفَةِ بِنَجْرَانَ بَعْدَهُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ إِلَى الْأُسْقَفِ أَبِي الْحَارِثِ وَأَسَاقِفَةِ نَجْرَانَ وَكَهَنَتِهِمْ وَرَهْبَانِهِمْ وَأَهْلِ بَيْعِهِمْ وَرَقِيقِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَسُوقَتِهِمْ<sup>(٣)</sup> وَعَلَى كُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، جِوَارُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا يُغَيِّرُ أُسْقَفٌ مِنْ أُسْقَفَتِهِ وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ وَلَا كَاهِنٌ

(١) أي: عثرت.

(٢) القعب: قده ضخم غليظ.

(٣) السوقة: الرعية وأوساط الناس، وتطلق على الواحد وغيره؛ فيقال هو سوقة، وهم سوقة.

مِنْ كَهَانَتِهِ، وَلَا يُعَيِّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا سُلْطَانِهِمْ وَلَا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ عَلَى ذَلِكَ، جَوَّارُ اللَّهِ  
وَرَسُولُهُ أَبَدًا مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُنْقَلِبِينَ بِظَالِمٍ وَلَا ظَالِمِينَ».

وَكَتَبَ الْمَغِيرَةَ بْنُ شُعْبَةَ. فَلَمَّا قَبِضَ الْأُسْتَفُّ الْكِتَابَ اسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى  
قَوْمِهِ وَمَنْ مَعَهُ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَاَنْصَرَفُوا حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

## ١٢٥- قُدُومِ وَفْدِ الْأَزْدِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سُؤَيْدِ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي سُؤَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ  
قَالَ: وَفَدَتْ سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قَوْمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّمْنَاهُ أَعْجَبَهُ مَا  
رَأَى مِنْ سَمْتِنَا<sup>(٢)</sup> وَزَيْنَا؛ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ؟» قُلْنَا: مُؤْمِنُونَ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ  
قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ؟».

قُلْنَا: خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً: خَمْسٌ مِنْهَا أَمَرْتَنَا بِهَا رُسُلُكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَخَمْسٌ أَمَرْتَنَا أَنْ  
نَعْمَلَ بِهَا، وَخَمْسٌ تَحَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَنَحْنُ عَلَيْهَا الْآنَ، إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا؛ فَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتَكُمْ بِهَا رُسُلِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِهَا؟».

قُلْنَا: أَمَرْتَنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ.  
قَالَ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا؟» قُلْنَا: أَمَرْتَنَا أَنْ نَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،  
وَنُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَنُصُومَ رَمَضَانَ، وَنَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مِنْ اسْتِطَاعِ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

(١) «دلائل النبوة» لليهقي (٣٨٥:٥)، «زاد المعاد» (٥٤٩:٣).

(٢) السَّمْتُ: وهو الهيئة الحسنَة.

فَقَالَ: «وَمَا الْخُمْسُ الَّتِي تَخْلَقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟». قَالُوا: الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالرِّضَى بِمَرِّ الْقَضَاءِ، وَالصَّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللَّقَاءِ، وَتَرَكَ الشَّمَاتَةَ بِالْأَعْدَاءِ<sup>(١)</sup>.  
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ».  
 ثُمَّ قَالَ: «وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خُمْسًا؛ فَتَمِّمْ لَكُمْ عَشْرُونَ خَصْلَةً، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ: فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَنَافِسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدَا تَزُولُونَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ، وَارْغَبُوا فِيَمَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ».  
 فَانصَرَفَ الْقَوْمُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَفِظُوا وَصِيَّتَهُ وَعَمِلُوا بِهَا<sup>(٢)</sup>.

## ١٢٦- وَفَدٌ مِنْ قَبِيلَةِ بَهْرَاءَ

عَنْ كَرِيمَةَ بِنْتِ الْمُقَدَّادِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ أُمَّيْ ضُبَاعَةَ بِنْتَ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَقُولُ: قَدِمَ وَفَدٌ بِهْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْبَلُوا يَتَوَدُّونَ رَوَاحِلَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْمُقَدَّادِ - وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا بِنَبِيِّ حُدَيْلَةَ - فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْمُقَدَّادُ فَرَحَّبَ بِهِمْ، فَأَنْزَلَهُمْ وَجَاءَهُمْ بِجَفْنَةٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ حَيْسٍ<sup>(٤)</sup> قَدْ كُنَّا هَيَّأُنَاهَا قَبْلَ أَنْ يَحِلُّوا لِنَجْلِسَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَهَا الْمُقَدَّادُ - وَكَانَ كَرِيمًا عَلَى الطَّعَامِ - فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى نَهَلُوا<sup>(٥)</sup>، وَرُدَّتْ إِلَيْنَا الْقِصْعَةُ وَفِيهَا أَكْلٌ، فَجَمَعْنَا تِلْكَ الْأَكْلَ فِي قِصْعَةٍ صَغِيرَةٍ ثُمَّ بَعَثْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ

(١) الشَّاتَةُ: فَرْحُ الْعَدُوِّ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِلُ بِمَنْ يُعَادِيهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الزهد الكبير» (٤٨٦:٢) رَقْم (٩٨٠)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تاريخ دمشق» (١٩٩:٤١)، وَعَزَاهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «زاد المعاد» (٥٨٦:٣) إِلَى أَبِي نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ».

(٣) الْجَفْنَةُ: الْقِصْعَةُ.

(٤) الْحَيْسُ: تَمْرٌ يُنْزَعُ نَوَاهُ وَيُدْقُ مَعَ أَقْطٍ وَيُعْجَنَانِ بِالسَّمْنِ ثُمَّ يَدْلُكُ بِالْيَدِ حَتَّى يَبْقَى كَالثَّرِيدِ. وَالْأَقْطُ: لَبَنٌ حُمَضٌ يُجَمَّدُ حَتَّى يَسْتَحْجِرَ وَيُطْبَخُ أَوْ يُطْبَخُ بِهِ.

(٥) النَهْلُ: الشَّرْبُ الْأَوَّلُ، وَمَا أَكَلَ مِنَ الطَّعَامِ.

الله ﷺ مَعَ سِدْرَةِ مَوْلَانِي، فَوَجَدْتُهُ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صُبَاعَةُ أَرْسَلَتْ بِهَذَا؟» قَالَتْ سِدْرَةُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ضِعِي» ثُمَّ قَالَ: «مَا فَعَلَ ضَيْفُ أَبِي مَعْبِدٍ؟» قُلْتُ: عِنْدَنَا.

قَالَتْ: فَأَصَابَ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْلًا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ حَتَّى نَهَلُوا، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ سِدْرَةُ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبِي بِمَا بَقِيَ إِلَى ضَيْفِكُمْ».

قَالَتْ سِدْرَةُ: فَرَجَعْتُ بِمَا بَقِيَ فِي الْفِصْعَةِ إِلَى مَوْلَاتِي، قَالَتْ: فَأَكَلَ مِنْهَا الضَّيْفُ مَا أَقَامُوا نُزْدَدَهَا عَلَيْهِمْ وَمَا تَغِيضُ، حَتَّى جَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: يَا أَبَا مَعْبِدٍ، إِنَّكَ لَتَنْهَلُنَا مِنْ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْنَا، مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِلَّا فِي الْحِينِ، وَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الطَّعَامَ بِيَلَادِكُمْ إِنَّمَا هُوَ الْعُلُقَةُ<sup>(١)</sup> أَوْ نَحْوُهُ، وَنَحْنُ عِنْدَكَ فِي الشَّبَعِ.

فَأَخْبَرَهُمْ أَبُو مَعْبِدٍ بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا أَكْلًا وَرَدَّهَا؛ فَهَذِهِ بَرَكَهُ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ. وَازْدَادُوا يَقِينًا، وَذَلِكَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ، وَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُودِّعُونَهُ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزِهِمْ، وَأَنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ<sup>(٢)</sup>.

(١) العلقة: هي ما يتبلغ به من العيش.

(٢) رواه الواقدي كما ذكر ابن سيد الناس في «عيون الأثر» (٣٠٨:٢)، والعلامة ابن القيم في «زاد المعاد»

(٥٦٩:٣). وأخرجه مختصراً ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٣١:١).

## ١٢٧- إسلام عمرو بن العاص

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: كُنْتُ لِلْإِسْلَامِ مُجَانِبًا مُعَانِدًا، حَضَرْتُ بَدْرًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَفَجَعْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ أُحُدًا فَفَجَعْتُ، ثُمَّ حَضَرْتُ الْخَنْدَقَ فَفَجَعْتُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَمْ أَوْضِعُ<sup>(١)</sup>! وَاللَّهِ لَيُظْهِرَنَّ مُحَمَّدٌ عَلَى قُرَيْشٍ، فَلَحِقْتُ بِبِالِي بِالْوَهْطِ<sup>(٢)</sup> وَأَقْلَلْتُ مِنَ النَّاسِ - أَيِّ مَنْ لِقَائِهِمْ -.

فَلَمَّا حَضَرَ الْحُدَيْبِيَّةَ، وَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصُّلْحِ، وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى مَكَّةَ، جَعَلْتُ أَقُولُ: يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ قَابِلًا مَكَّةَ بِأَصْحَابِهِ، مَا مَكَّةُ بِمَنْزِلٍ، وَلَا الطَّائِفُ، وَمَا شَيْءٌ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ، وَأَنَا بَعْدُ نَاءٍ عَنِ الْإِسْلَامِ، أَرَى لَوْ أَسْلَمْتُ قُرَيْشٌ كُلُّهَا لَمْ أُسْلِمَ، فَقَدِمْتُ مَكَّةَ، فَجَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قَوْمِي وَكَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، وَيَقْدُمُونِي فِيمَا نَاهَبُمْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: كَيْفَ أَنَا فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: ذُو رَأِينَا وَمَدْرَهْنَا<sup>(٣)</sup> فِي يَمْنِ نَقِيبَةٍ<sup>(٤)</sup> وَبَرَكَتِ أَمْرٍ.

قَالَ: قُلْتُ: تَعْلَمُونَ<sup>(٥)</sup> أَنِّي - وَاللَّهِ - لَأَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ أَمْرًا يَعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا. قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَلْحَقُ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ مَعَهُ، فَإِنْ يَظْهَرِ مُحَمَّدٌ كُنَّا عِنْدَ

(١) أوضع بين القوم أفسد وفي الشر أسرع.

(٢) الوهط: قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاصي. «معجم البلدان» (٤: ٣٠٥).

تحرفت كلمة الوهط في «مغازي الواقدي» و«دلائل النبوة» إلى الرهط.

(٣) المدره: السيد الشريف، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال.

(٤) نَقِيبَةٌ: أَي نَفَادُ رَأْيِي، وَرَجُلٌ مَيْمُونٌ النَّقِيبَةُ مَبَارِكُ النَّفْسِ مُطَفَّرٌ بِهَا يُجَاوَلُ. «لسان العرب» مادة (نقب).

(٥) في «تاريخ الإسلام» (٢: ٤٧٠) للذهبي: تَعْلَمُوا - وَاللَّهِ - إِنِّي لَأَرَى. قَالَ مُحَقِّقُ الْكِتَابِ: (تَعْلَمُوا) فَعَلَ

أَمْرًا بِمَعْنَى (اعلموا) وَلَا يَسْتَعْمَلُ مَاضِيًا وَلَا مُضَارِعًا هَذَا الْمَعْنَى. وَقَوْلُهُ (إِنِّي لَأَرَى.. إلخ) جَمَلَةٌ مَحْتَوِيَةٌ عَلَى

لَامِ الْإِبْتِدَاءِ الَّتِي تَقْتَضِي تَعْلِيْقَ الْفِعْلِ. وَهَذَا كَسَرَتْ هَمْزَةً (إِنَّ) وَلَمْ تَكْسُرْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا لِعَدَمِ التَّعْلِيْقِ. وَقَدْ

حَرَفَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ وَالنَّسَاحِ وَالْمُحَقِّقِينَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ إِلَى (تَعْلَمُونَ) مَعَ أَنَّ السِّيَاقَ يَنْكُرُهَا.

النَّجَاشِيِّ فَنَكُونُ تَحْتَ يَدِ النَّجَاشِيِّ أَحَبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدِ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ تَطَهَّرَ قُرَيْشٌ فَنَحْنُ  
مَنْ قَدْ عَرَفُوا. قَالُوا: هَذَا الرَّأْيُ.

قَالَ: فَاجْمَعُوا مَا يُهْدُونَهُ لَهُ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا يَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمَ، فَجَمَعْنَا أَدَمًا  
كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَعِنْدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ،  
وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ بِكِتَابٍ كَتَبَهُ يَزُوجُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ ابْنَةَ أَبِي سُفْيَانَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ  
خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، وَلَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ قَدْ سَأَلْتُهُ  
إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ سَرَرْتُ قُرَيْشًا، وَكُنْتُ قَدْ أَجَزْتُ<sup>(١)</sup> عَنْهَا حِينَ  
قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ.

فَدَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ فَسَجَدْتُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ؛ فَقَالَ: مَرَحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ لِي  
مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - أَهْدَيْتُ لَكَ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ فَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ فَأَعْجَبَهُ، فَفَرَّقَ  
مِنْهُ أَشْيَاءَ بَيْنَ بَطَارِقَتِهِ، وَأَقْرَبِ سَائِرِهِ فَأُدْخِلَ فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ وَيُحْتَفَظَ بِهِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ طَيْبَ نَفْسِهِ، قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ، وَهُوَ  
رَسُولٌ عَدُوٌّ لَنَا، قَدْ وَتَرْنَا، وَقَتْلَ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، فَأَعْطِينِيهِ فَأَقْتُلْهُ، فَغَضِبَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَضَرَبَ  
بِهَا أَنْفِي ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَسَرَهُ، فَابْتَدَرَ مَنْخَرَايَ، فَجَعَلْتُ أَتْلَقِي الدَّمَ بِشِيَابِي، فَأَصَابَنِي مِنَ  
الدَّلِّ مَا لَوْ انْشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ دَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ.

ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ مَا قُلْتُ مَا سَأَلْتُكَ، قَالَ: وَاسْتَحْيَا، وَقَالَ: يَا  
عَمْرُو، تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ مَنْ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، وَالَّذِي  
كَانَ يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِيَقْتُلَهُ! قَالَ عَمْرُو: وَعَيْرَ اللَّهِ قَلْبِي عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ فِي  
نَفْسِي: عَرَفَ هَذَا الْحَقَّ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ، وَتُخَالِفُ أَنْتَ!

(١) أجزأت عنها: أي: كفيتها.

قُلْتُ: أَتَشْهَدُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِهَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ، أَشْهَدُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، يَا عَمْرُو، فَأَطِيعْنِي وَاتَّبِعْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ، وَكَأَيُّظَهْرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

قُلْتُ: أَتَبَايَعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَنِي عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ دَعَا بِطَسْتٍ فَغَسَلَ عَنِّي الدَّمَ وَكَسَانِي ثِيَابًا. وَكَانَتْ ثِيَابِي قَدْ امْتَلَأَتْ بِالدَّمِ فَأَلْقَيْتُهَا. ثُمَّ خَرَجْتُ عَلَى أَصْحَابِي فَلَمَّا رَأَوْا كِسْوَةَ النَّجَاشِيِّ سُرُّوا بِذَلِكَ، وَقَالُوا: هَلْ أَدْرَكْتَ مِنْ صَاحِبِكَ مَا أَرَدْتَ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: كَرِهْتُ أَنْ أَكْلِمَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، وَقُلْتُ أَعُودُ إِلَيْهِ. فَقَالُوا: الرَّأْيُ مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: فَفَارَقْتُهُمْ وَكَانِي أَعْمَدُ إِلَى حَاجَةٍ، فَعَمَدْتُ إِلَى مَوْضِعِ السُّفْنِ فَأَجِدُ سَفِينَةً قَدْ سُحِنَتْ تُدْفَعُ، قَالَ: فَرَكِبْتُ مَعَهُمْ وَدَفَعُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الشُّعَيْبِيَّةِ<sup>(١)</sup> وَخَرَجْتُ مِنَ السُّفِينَةِ وَمَعِيَ نَفَقَةٌ، فَابْتَعْتُ بَعِيرًا وَخَرَجْتُ أُرِيدُ الْمَدِينَةَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْهَلْدَةِ<sup>(٣)</sup> فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ يُرِيدَانِ مَنْزِلًا، وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي الْحَيْمَةِ وَالْآخَرُ يُمَسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا، دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَمَعٌ، وَاللَّهِ، لَوْ أَقَمْتُ لِأَحَدٍ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرِقَبَةِ الصَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا. قُلْتُ: وَأَنَا - وَاللَّهِ - قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّدًا، وَأَرَدْتُ الْإِسْلَامَ. فَخَرَجَ عُمَرَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَرَحَّبَ بِي، فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ.

(١) الشُّعَيْبِيَّة: مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وكان مرفأ ومرسى سفنها قبل جدة. وقيل قرية على شاطئ البحر على طريق اليمن. «معجم البلدان» (٣: ٣٥١).

(٢) مَرِّ الظُّهْرَان: وهو وادٍ بين مكة وعُسفان.

(٣) الهدة: موضع بين مكة والطائف.

ثُمَّ اتَّفَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَدِينَةَ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لِقَيْنَاهُ بِبِئْرِ أَبِي عِنَبَةَ<sup>(١)</sup> يَصِيحُ: يَا رَبَّاحُ يَا رَبَّاحُ يَا رَبَّاحُ. فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ، وَسِرْنَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمَقَادَةَ بَعْدَ هَدْيَيْنِ.

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى الْمَسْجِدِ سَرِيعًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِنَا، فَكَانَ كَمَا ظَنَنْتُ.

وَأَتَخْنَا بِالْحَرَّةِ<sup>(٢)</sup>، فَلَبِسْنَا مِنْ صَالِحِ ثِيَابِنَا، ثُمَّ نُودِيَ بِالْعَصْرِ فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ، وَإِنَّ لَوْجَهُ تَهْلُلًا، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُورُوا بِإِسْلَامِنَا، فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي حَيَاءً مِنْهُ.

قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى أَنْ يُغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَمْ يُخْضِرْ لِي مَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ يُجِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهَجْرَةَ تَجِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا».

قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرِ حَزْبِهِ مُنْذُ أَسْلَمْنَا<sup>(٣)</sup>.

(١) بئر أبي عنبه، بلفظ واحدة العنب، بئر بينها وبين المدينة مقدار ميل. «معجم البلدان» (١: ٣٠١).

(٢) الحرّة: وهما حرتان، الشرقية شرق المدينة، والغربية في غرب المدينة وتسمى الأولى واقم، والثانية حرة الوبرة. وتنعطف الشرقية والغربية من جهة الشمال والجنوب، مما يجعل المدينة بين حرات أربع.

(٣) أخرجه الواقدي في «مغازيه» (٢: ٧٤١)، ومن طريقه الواقدي في «دلائل النبوة» (٤: ٣٤٣).

## ١٢٨- حَجَّةُ الْوَدَاعِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا <sup>(١)</sup> وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ <sup>(٢)</sup>؛ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَأَطْتَبَ <sup>(٣)</sup> فِي ذِكْرِهِ.

وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يُخْرِجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يُخْفَى عَلَيْكُمْ: إِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ <sup>(٤)</sup>».

أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثًا. «وَيَلِكُمْ - أَوْ وَيُجِكُمْ <sup>(٥)</sup>» انظُرُوا، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا <sup>(٦)</sup> يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ <sup>(٧)</sup>».

(١) بين أظهرنا: بيننا.

(٢) نتكلم عنها؛ لأن النبي ﷺ ذكرها دون أن نفهم المراد من الوداع.

(٣) أطنب الرجل: أتى بالبلاغة في الوصف مدحاً كان أو ذمماً. «القاموس المحيط» مادة (طنب).

(٤) عنبه طافية: بارزة عن سطح وجهه كالعنبه التي تبرز وتخرج عن حد أخواتها من حبات العنقود، وكأنها حبة طافية على وجه الماء.

(٥) قَالَ الْقَاضِي: هُمَا كَلِمَتَانِ اسْتَعْمَلْتُهُمَا الْعَرَبُ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّوَجُّعِ. قَالَ سَيِّوِيٌّ: (وَيْلٌ) كَلِمَةٌ لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ، وَ (وَيْحٌ) تَرْحُمُ. وَحِكْمِيٌّ عَنْهُ: (وَيْحٌ) زَجْرٌ لِمَنْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَكَةِ. قَالَ غَيْرُهُ: وَلَا يُرَادُ بِهِمَا الدُّعَاءُ بِإِقْبَاعِ الْهَلَكَةِ وَلَكِنَّ التَّرْحُمَ وَالتَّعَجُّبَ. وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: وَ (وَيْحٌ) كَلِمَةٌ رَحِمَةٌ. وَقَالَ الْهَرَوِيُّ: (وَيْحٌ) لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَكَةٍ لَا يَسْتَحِقُّهَا فَيُرْحَمُ عَلَيْهِ وَيُرْتَى لَهُ. (وَيْلٌ) لِلَّذِي يَسْتَحِقُّهَا، وَلَا يُرْحَمُ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. «شرح النووي على مسلم» (١: ١٦١).

(٦) أظهر الأقوال: أنه فعل كفعل الكفار، وهو اختيار القاضي عياض رحمه الله.

(٧) أخرجه البخاري (٤: ١٥٩٨) رقم (٤١٤١).

## ١٢٩- مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ

عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كُنْتُ أَخِذًا بِزِمَامٍ<sup>(١)</sup> نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَذُودٌ<sup>(٢)</sup> عَنْهُ النَّاسُ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَدْرُونَ فِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ أَنْتُمْ، وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ؟» قَالُوا: فِي يَوْمٍ حَرَامٍ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَهُ».

ثُمَّ قَالَ: «اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالٌ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْتَرَةٍ<sup>(٣)</sup> كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي<sup>(٤)</sup> هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ يُوضَعُ دَمُ رَيْبَعَةَ<sup>(٥)</sup> بِنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلْتَهُ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رَبٍّ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعًا<sup>(٦)</sup>، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) الزمام: الحبل الذي يقاد به البعير.

(٢) أذود: أذفع، وأمنع.

(٣) المأتره: هي ما يؤثر ويذكر من مكارم أهل الجاهلية ومفآخرهم.

(٤) تحت قدمي: أي: باطل وساقط.

(٥) جاء في رواية مسلم: «وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ الْحَارِثِ». وَتَأْوَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فَقَالَ: دَمُ رَيْبَعَةَ؛ لِأَنَّهُ وَلِيُّ الدَّمِ، فَنَسَبَهُ إِلَيْهِ، قَالُوا: وَكَانَ هَذَا الْإِبْنُ الْمَقْتُولُ طِفْلًا صَغِيرًا يُحِبُّ بَيْنَ النُّبُوتِ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ بَنِي سَعْدِ وَبَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ. قَالَهُ الرَّبِيزِيُّ بْنُ بَكَّارٍ. «تحفة الأحمدي» (٤١١:٧).

(٦) قال الإمام النووي: مَعْنَاهُ الرَّائِدُ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَكُمُ رُؤُوسٍ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتَهُ إِبْصَاحٌ، وَإِلَّا فَالْمَقْصُودُ مَفْهُومٌ مِنْ نَفْسِ لَفْظِ الْحَدِيثِ، لِأَنَّ الرَّبَّ هُوَ الزِّيَادَةُ، فَإِذَا وُضِعَ الرَّبُّ فَمَعْنَاهُ وَضِعَ الزِّيَادَةُ، وَالْمُرَادُ بِالْوَضْعِ: الرَّدُّ وَالْإِبْطَالُ. «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣١٢:٤).

قَصَى أَنْ أَوَّلَ رَبًّا يُوَضِّعُ رَبًّا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ.

أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ<sup>(١)</sup> كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفِئِمُّ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلِّونَ، وَلَكِنَّهُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَكُمْ<sup>(٢)</sup>، فَاتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ<sup>(٣)</sup>، لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنْ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَكَرُّهُنَّ<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الإمام النووي: قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَمَسَّكُونَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي تَحْرِيمِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ، وَكَانَ يُشَقُّ عَلَيْهِمْ تَأْخِيرُ الْقِتَالِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَكَانُوا إِذَا احْتَجَّوْا إِلَى قِتَالِ آخَرُوا تَحْرِيمِ الْمُحَرَّمِ إِلَى الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ صَفَرٌ، ثُمَّ يُؤَخَّرُونَهُ فِي السَّنَةِ الْآخَرَى إِلَى شَهْرِ آخَرَ، وَهَكَذَا يَفْعَلُونَ فِي سَنَةٍ بَعْدَ سَنَةٍ، حَتَّى اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، وَصَادَفَتْ حِجَّةَ النَّبِيِّ ﷺ تَحْرِيمَهُمْ، وَقَدْ تَطَابَقَ الشَّرْعُ، وَكَانُوا فِي تِلْكَ السَّنَةِ قَدْ حَرَّمُوا ذَا الْحِجَّةِ لِمُوَافَقَةِ الْحِسَابِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْإِسْتِدَارَةَ صَادَفَتْ مَا حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَانُوا يَنْسَتُونَ، أَي: يُؤَخَّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]. فَرُبَّمَا احْتَجَّوْا إِلَى الْحَرْبِ فِي الْمُحَرَّمِ، فَيُؤَخَّرُونَ تَحْرِيمَهُ إِلَى صَفَرٍ، ثُمَّ يُؤَخَّرُونَ صَفَرَ فِي سَنَةٍ أُخْرَى، فَصَادَفَتْ تِلْكَ السَّنَةَ رُجُوعَ الْمُحَرَّمِ إِلَى مَوْضِعِهِ.

(٢) بِالْخُصُومَاتِ وَالشَّحْنَاءِ وَالْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ وَنَحْوَهَا.

(٣) جَمْعُ عَانِيَةٍ، أَي: أَسْرَاءُ كَأَلْأَسْرَاءِ، شُبُهْنَ يَهْنُ عِنْدَ الرَّجَالِ لِتَحْكُمِهِنَّ فِيهِنَّ.

(٤) قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: أَنَّ مَعْنَاهُ أَلَّا يَأْذَنَنَّ لِأَحَدٍ تَكَرُّهُنَّ فِي دُخُولِ بُيُوتِكُمْ وَالْجُلُوسِ فِي مَنْازِلِكُمْ، سَوَاءً كَانَ الْمَأْذُونُ لَهُ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَحَدًا مِنْ مَحَارِمِ الزَّوْجَةِ. فَالْتَّهْيُ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ.

فَإِنْ خِفْتُمْ نُشُورَهُنَّ<sup>(١)</sup> فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاجِعِ وَاصْرِبُوهُنَّ صَرْبًا عَيْرَ مُبْرِحٍ<sup>(٢)</sup>، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ<sup>(٣)</sup>، وَإِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٥)</sup>.

وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتِمَّتْهُ عَلَيْهَا» وَبَسَطَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ» ثُمَّ قَالَ: «لِيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّهُ رَبُّ مَبْلَغٍ أَسْعَدُ مِنْ سَامِعٍ»<sup>(٦)</sup>.

### ١٣٠- دَعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ فِيمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلاَنِيَّتِي، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، الْمُسْتَعِيثُ الْمُسْتَجِيرُ، الْوَجِلُ الْمُسْتَفِيقُ الْمُقَرَّرُ الْمُعْتَرَفُ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُسْتَكِينِ، وَأَبْتَهْلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُدْنِبِ الدَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دَعَاءَ الْحَائِفِ الضَّرِيرِ، مَنْ

(١) أَصْلُ النَّشُورِ الْإِرْتِفَاعُ وَتُشَوَّرُ الْمَرْأَةُ هُوَ بَعْضُهَا لِزَوْجِهَا وَرَفَعَتْ نَفْسَهَا عَنْ طَاعَتِهِ وَالتَّكْبُرُ عَلَيْهِ.

(٢) الضَّرْبُ الْمُبْرِحُ: هُوَ الضَّرْبُ الشَّدِيدُ الشَّقِيقُ، وَمَعْنَاهُ: اصْرِبُوهُنَّ صَرْبًا لَيْسَ بِشَدِيدٍ وَلَا شَاقًّا.

(٣) فِيهِ وَجُوبُ نَفَقَةِ الزَّوْجَةِ وَكِسْوَتِهَا وَذَلِكَ ثَابِتٌ بِالْإِجْمَاعِ، بِاعْتِبَارِ حَالِكُمْ فَقْرًا وَغِنَى، أَوْ بِالْوَجْهِ الْمَعْرُوفِ مِنَ التَّوَسُّطِ الْمَمْدُوحِ.

(٤) أَيُّ: بَعْدَهُ مِنَ الرَّفْقِ وَحُسْنِ الْعِشْرَةِ.

(٥) أَيُّ: بِشَرِّهِ أَوْ بِأَمْرِهِ وَحُكْمِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَأَنْكِحُوا). وَقِيلَ: بِالْإِجَابِ وَالْقَبُولِ، أَيُّ: بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا.

(٦) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٧٢:٥) رَقْمَ (٢٠٧١٤)، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٣:٥٨٥): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو حُرَّةِ

الرَّقَاشِيُّ، وَثَقَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَضَعَفَهُ ابْنُ مَعِينٍ. وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَفِيهِ كَلَامٌ. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ:

صَحِيحٌ لغيره مقطوعاً، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد.

خَصَعَتْ لَكَ رَقَبَتَهُ، وَفَاصَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ جَسَدُهُ، وَرَغِمَ أَنْفُهُ لَكَ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي  
بِدُعَائِكَ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي دَوْمًا رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ»<sup>(١)</sup>.

### ١٣١- إِسْلَامُ عِكْرِمَةَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ امْرَأَةٌ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمَّنَهُ.  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ آمِنٌ».

فَخَرَجَتْ أُمُّ حَكِيمٍ فِي طَلَبِهِ وَمَعَهَا غُلَامٌ لَهَا رُومِيٌّ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَجَعَلَتْ تُمْنِيهِ  
حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى حَيٍّ مِنْ عَكٍّ<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَعَاثَتْهُمْ عَلَيْهِ فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ وَقَدْ انْتَهَى  
إِلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ<sup>(٣)</sup> فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَجَعَلَ نُوتِي السَّفِينَةِ<sup>(٤)</sup> يَقُولُ لَهُ: أَخْلِصْ! قَالَ:  
أَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ عِكْرِمَةُ: مَا هَرَبْتُ إِلَّا مِنْ هَذَا.

فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ، فَجَعَلَتْ تُلِحُّ إِلَيْهِ، وَتَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ، حِثُّكَ مِنْ  
عِنْدِ أَوْصِلِ النَّاسِ وَأَبْرَ النَّاسِ وَخَيْرِ النَّاسِ، لَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ. فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتَهُ، فَقَالَتْ:  
إِنِّي قَدْ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: أَنْتِ فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١: ١٧٤) رقم (١١٤٠٥)، و «الصغير» (٢: ١٥) رقم (٦٩٦). قال  
الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣: ٥٦٠): وفيه يحيى بن صالح الأبيلي، قال العقيلي: روى عنه يحيى بن بكير  
مناكير، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ العراقي: وإسناده ضعيف. «تخريج الإحياء» (١: ٢٠٩).

(٢) عك: مخلاف من مخاليف مكة التهامية. «معجم ما استعجم» (ص ٢٢٣). المخلاف في اليمن كالرستاق  
في العراق، وجمعه المخاليف، وهي: السواد والقرى. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢: ٧٠).

(٣) تهامة: تسابير البحر، منها مكة. وللمزيد في تحديدها انظر «معجم البلدان» (٢: ٦٣).

(٤) النواتي: الملاحون. وهو من كلام أهل الشام، واحدهم نوتي. «الصحاح» (١: ٢٦٩).

فَرَجَعَ مَعَهَا وَقَالَ: مَا لَقِيتِ مِنْ غُلَامِكَ الرُّومِيِّ؟ فَخَبَرْتُهُ خَبْرَهُ فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةُ، وَهُوَ  
يَوْمَئِذٍ لَمْ يُسْلِمِ. فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ  
مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلَا تَسُبُّوا آبَاءَهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ، وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ».  
قَالَ: وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يُطَلِّبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعُهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ: إِنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ.  
فَيَقُولُ: إِنَّ امْرَأًا مَنَعَكَ مِنِّي لَأَمْرٌ كَبِيرٌ.

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عِكْرِمَةَ وَثَبَ إِلَيْهِ - وَمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رِدَاءٌ - فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ، ثُمَّ  
جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَزَوْجَتُهُ مُنْتَقِبَةٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ  
أَمْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقْتَ، فَأَنْتَ آمِنٌ». فَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِلَى مَا تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ؟  
قَالَ: «أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ  
الزَّكَاةَ، وَتَفْعَلَ، وَتَفْعَلَ» حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ، مَا دَعَوْتَ إِلَّا إِلَى الْحَقِّ وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، قَدْ كُنْتُ - وَاللَّهِ - فِينَا قَبْلَ  
أَنْ تَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثًا وَأَبْرُنَا بَرًّا. ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا  
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَسَّرَ بِذَلِكَ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي خَيْرَ  
شَيْءٍ أَقُولُهُ.

قَالَ: «تَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ عِكْرِمَةُ: ثُمَّ مَاذَا؟  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقُولُ: أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ». فَقَالَ عِكْرِمَةُ  
ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسْأَلْنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ وَضَعْتُ فِيهِ، أَوْ  
مَقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ، أَوْ كَلَامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ أَوْ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ  
اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ،  
فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عَرَضٍ، فِي وَجْهِهِ أَوْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ».

فَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ: أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَدْعُ نَفَقَةً كُنْتُ أَنْفَقَهَا فِي صَدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا قِتَالًا كُنْتُ أَقَاتِلُ فِي صَدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا<sup>(١)</sup>، فَردَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ الْأَوَّلِ<sup>(٢)</sup>.

### ١٣٢- النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لِشُهَدَاءِ أَحَدٍ فِي الْمَدِينَةِ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أَحَدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْبَرِ؛ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ<sup>(٣)</sup>، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»<sup>(٤)</sup>.

زَادَ ابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبْرَانِيُّ: «فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَكَانَتْ آخِرَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) روى سيف في «الفتوح» بسند له: أن عكرمة نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عنقه الحارث، وضرار بن الأزور في أربعائة من المسلمين، وكان أميراً على بعض الكراديس، وذلك سنة خمس عشرة في خلافة عمر، فقتلوا كلهم إلا ضراراً. وقيل: قتل يوم مرج الصفر، وذلك سنة ثلاث في خلافة أبي بكر. «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤: ٤٤٣).

(٢) «مغازي الواقدي» (٢: ٨٥١).

(٣) قال أهل اللغة: الفرط والفرار، هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى فرطكم على الحوض سابقكم إليه كالمهيء له.

(٤) أخرجه البخاري (٤: ١٤٩٨) رقم (٣٨٥٧).

(٥) أخرجه ابن حبان (١٤: ٥٦٠)، رقم (٦٥٩٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧: ٢٧٩) رقم (٧٧٠).

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ<sup>(١)</sup> النَّبِيُّ ﷺ؛ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ. قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ<sup>(٢)</sup>». قَالَتْ: فَفَعَلْنَا؛ فَاعْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنْوَأَ<sup>(٣)</sup> فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ ﷺ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» قَالَتْ: فَفَعَدَّ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنْوَأَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ». فَفَعَدَّ فَاعْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنْوَأَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَالنَّاسُ عُكُوفٌ<sup>(٤)</sup> فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَاتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ رَجُلًا رَفِيقًا-: يَا عُمَرُ، صَلِّ بِالنَّاسِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ. فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَةً؛ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ؛ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ» فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي

(١) ثقل: اشتد مرضه.

(٢) الميخضب: وعاء من خشب أو حجر.

(٣) لينوء: لينهض بجهد. من قولهم: نوت بالحمل أنوء به: إذا نهضت به.

(٤) عكوف: مجتمعون، جمع عاكف وأصل العكوف اللبث.

بَكْرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتُمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ<sup>(١)</sup>.

#### ١٣٤- اِفْتِصَاصُهُ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ مَوْعُوكًا قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «خُذْ بِيَدِي يَا فَضْلُ». فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صِحَّ فِي النَّاسِ».

فَصَحَّتْ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَهُ فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلَا وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عَرَضًا فَهَذَا عَرَضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلَا لَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ إِنِّي أَخْشَى الشَّحْنََاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلَا وَإِنَّ الشَّحْنََاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلَا مِنْ شَأْنِي، أَلَا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَلَنِي فَلَقَيْتُ اللَّهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلَا وَإِنِّي لَا أَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا». ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ<sup>(٢)</sup>.

#### ١٣٥- نَظَرُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ صَبِيحَةَ يَوْمِ وَقَاتِهِ

عَنِ ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣:١) رقم (٦٥٥)، ومسلم (٣١١:١) رقم (٤١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٠٤:٣) رقم (٢٦٢٩)، والبخاري في «مسنده» (٩٨:٦) رقم (٢١٥٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥٩٦:٨): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وأبو يعلى بنحوه، وفي إسناده أبي يعلى بن مسلم وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجال أبي يعلى ثقات، وفي إسناده الطبراني من لم أعرفهم.

عَقْبِيهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَقَالَ أُنْسُ: وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَنُوا فِي صَلَاتِهِمْ؛ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَمُّوا صَلَاتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرَخَى السُّتْرَ<sup>(١)</sup>.

### ١٣٦- جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ

كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: «إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوِّفِيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي<sup>(٢)</sup>، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السَّوَّكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَّكَ؛ فَقُلْتُ: أَخْذْهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْتَهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيْتَهُ فَأَمَرَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ<sup>(٣)</sup> فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى<sup>(٤)</sup>» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣:١) رقم (١١٤٧)، وابن حبان (٥٨٧:١٤) رقم (٦٦٤٠).

(٢) (سحري ونحري) أي بين صدري وعنقي، السحر الرثة أو الصدر.

(٣) (ركوة) إناء صغير من الجلد يشرب منها الماء.

(٤) قال الحافظ ابن الجوزي: «الرفيق الأعلى» ذهب قوم إلى أن المعنى: ألحقني بك، وقد رده الأزهرري وقال: هذا غلط؛ وإنما الرفيق هاهنا جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، اسم جاء على (فعل) ومَعْنَاهُ الْجَمَاعَةُ. وَيُقَوَّى هَذَا الْقَوْلُ أَنْ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ». وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: الرَّفِيقُ بِمَعْنَى الرَّفَقَاءِ، كَمَا يُقَالُ لِلْجَمَاعَةِ: صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ. قَالَ: وَيَعْنِي الْمَلَائِكَةَ. «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤: ٢٨٧).

(٥) أخرجه البخاري (١٦١٦:٤) رقم (٤١٨٤).

تم الكتاب بحمد الله

## الفهرس

٥	..... مقدمة المؤلف.
٩	..... مُحَمَّدٌ ﷺ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ تَحُلُّ بَرَكَتُهُ عَلَى أُسْرَةِ حَلِيمَةَ
١١	..... حَفِظَ اللهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ.
١٣	..... قِصَّةُ بَجْرِى
١٧	..... غُلَامٌ خَدِيجَةٌ (مَيْسِرَةٌ) يَرَى إِزْهَاصَاتِ النُّبُوَّةِ.
١٩	..... خَدِيجَةُ تُخَطِّبُ النَّبِيَّ ﷺ.
٢٠	..... نَزُولُ جِبْرِيلَ ﷺ بِالْوَحْيِ
٢٢	..... خَدِيجَةُ ﷺ تَتَأَكَّدُ مِنْ صَيْفِ النَّبِيِّ ﷺ.
٢٣	..... سَلَامٌ مِنَ اللهِ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ.
٢٤	..... لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي
٢٥	..... أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ
٢٦	..... أَحَدٌ أَحَدٌ.
٢٧	..... عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ يَقْتَرِبُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.
٢٨	..... الْهَجْرَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ.
٢٨	..... إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ.
٣٢	..... إِسْلَامُ أَبِي دَرٍّ وَقَوْمِهِ ﷺ.
٣٤	..... ضِمَادٌ ﷺ يَرْقِي النَّبِيَّ ﷺ.
٣٥	..... مُحَاوَلَةٌ إِحْبَاطِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَبِي لَهَبٍ (عَمَّ النَّبِيُّ ﷺ).
٣٦	..... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ.
٣٦	..... دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِالْهَرِيمَةِ وَالرُّزْلَةِ.
٣٧	..... إِكْرَامُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْفُقَرَاءِ.

- ٣٨ ..... مَثَلٌ لِدَيْنِ اللَّهِ.....
- ٣٩ ..... الشَّاعِرُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ ﷺ يُقِيمُ النَّبِيَّ ﷺ.....
- ٤٠ ..... الصُّحْبَةَ الصُّحْبَةَ.....
- ٤١ ..... نَوْمٌ عَلَى ﷺ فِي مَضْجَعِهِ ﷺ.....
- ٤٣ ..... سُرَاقَةٌ يَطْمَحُ لِنَيْلِ الْجَائِزَةِ.....
- ٤٥ ..... أَوْسَاءُ أَيَّامِ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ.....
- ٤٦ ..... مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا.....
- ٤٧ ..... إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا.....
- ٤٨ ..... زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.....
- ٤٩ ..... دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِنَبِيِّ تَقِيفٍ بَعْدَ إِسَاءَتِهِمْ إِلَيْهِ.....
- ٥١ ..... بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ وَتَصْدِيقُهُمْ إِيَّاهُ.....
- ٥٣ ..... ضِيَاغَةُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.....
- ٥٤ ..... دُسْتُورُ الْمَدِينَةِ.....
- ٥٩ ..... فَضِيلَةُ أَهْلِ بَدْرٍ.....
- ٦٠ ..... لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا.....
- ٦٢ ..... مَكِيدَةُ صَفْوَانَ وَعُمَيْرٍ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ.....
- ٦٤ ..... مُشَاوَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ الْقَوْمِ فِي الْخُرُوجِ أَوْ الْبَقَاءِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ.....
- ٦٦ ..... مَصَائِبُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ.....
- ٦٩ ..... صَبْرُ امْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ.....
- ٧٠ ..... مُعَالَجَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ.....
- ٧١ ..... اسْتَفَادَ لَهَا سَعْدٌ.....
- ٧٢ ..... وَحَشِيئِي يُحَدِّثُ عَن قَتْلِهِ حَمْرَةَ.....

- ٧٤ ..... بِلَالٍ فِي وَرْطَةٍ
- ٧٧ ..... حُودَيْدُكَ ادْعُ اللَّهَ لَهُ
- ٧٨ ..... وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ
- ٧٩ ..... خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
- ٨٠ ..... الشَّاةُ الْمَسْمُومَةُ
- ٨٢ ..... حَدِيثُ إِسْلَامِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
- ٨٨ ..... عَوْرَتُ بَنِي الْحَارِثِ يُرِيدُ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ
- ٨٩ ..... الطَّيْرُ يَفْرُقُ لِفَقْدِ فِرَاحِهِ
- ٩٠ ..... خَبْرُ وِلَادَةِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِهِ
- ٩٢ ..... أَبَى مَنْ حَوْلَهُ
- ٩٢ ..... بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
- ٩٣ ..... أَعْجَبَ مَا رَأَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ٩٤ ..... رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تُسَهِّرُهُ تَمْرَةٌ
- ٩٥ ..... النَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُ أَصْحَابَهُ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ
- ٩٦ ..... نَحْلِي النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الدُّنْيَا
- ٩٩ ..... فَإِنَّ لِرُؤُوسِكَ عَلِيَّكَ حَقًّا
- ١٠٠ ..... النَّبِيُّ ﷺ مَعَ بَدْوِيٍّ مُزْعِجٍ
- ١٠٤ ..... سَيْحٌ كَادَ يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ
- ١٠٢ ..... أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟
- ١٠٣ ..... لَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ
- ١٠٤ ..... أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبِنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
- ١٠٥ ..... وَصَايَا ذَهَبِيَّةٍ

- ١٠٦ ..... حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِدُهُ.
- ١٠٧ ..... النَّبِيُّ ﷺ يُدَارِي فَاِحِشًا.
- ١٠٨ ..... مُسَاعِدَةً زَوْجٍ غَيْرِ مَرْغُوبٍ فِيهِ.
- ١٠٩ ..... أَنْفَقُ نَيْبٍ فِي الْمَدِينَةِ.
- ١١٠ ..... تَصَدَّقُ الْمَرْأَةُ الْمِسُورَةَ عَلَىٰ زَوْجِهَا.
- ١١١ ..... حِرْصُ الْأَنْصَارِ عَلَى الْعِلْمِ.
- ١١١ ..... اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ.
- ١١٢ ..... إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ.
- ١١٣ ..... حَيْثُ لَأَهَبَ لَكَ نَفْسِي.
- ١١٥ ..... أَمَنْ شِعْرُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَكَفَرَ قَلْبُهُ.
- ١١٥ ..... أَتَدُنُّ لِي بِالزَّنَانِ.
- ١١٦ ..... الْجَنَّةُ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ.
- ١١٦ ..... امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.
- ١١٧ ..... إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا.
- ١١٧ ..... حَيْنٌ نَخَلَةٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- ١١٨ ..... لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا.
- ١١٨ ..... يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَكَ.
- ١١٩ ..... فَوْزٌ فِي السَّبَاقِ، وَدَرْسٌ فِي التَّوَاضُعِ.
- ١١٩ ..... افْتِصَاصٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- ١٢٠ ..... الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ.
- ١٢٠ ..... آخَرَ جُكْمٍ مِنْ يَبُوتِكُمْ الْجُوعُ.
- ١٢١ ..... طَلَبُ الْإِذْنِ لِطَعَامِ الضِّيَافَةِ لِمَنْ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهَا.

- ١٢٢ ..... مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.
- ١٢٢ ..... حَيَّازٌ صَعْبٌ لِرُؤُجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.
- ١٢٥ ..... الْحَصِيرُ قَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ ﷺ.
- ١٢٧ ..... لَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَعْلَمُ.
- ١٢٧ ..... الدَّفَاعُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ صِدًّا الْأَحْزَابِ.
- ١٣١ ..... ثَلَاثُ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ لِعَطْفَانٍ.
- ١٣٢ ..... الظُّرُوفُ الصَّعْبَةُ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.
- ١٣٤ ..... إِنْخَابُهُ ﷺ بِانْتِهَاءِ غَزْوِ قُرَيْشٍ لَهُمْ.
- ١٣٤ ..... حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ (الْحُدَيْبِيَّةَ).
- ١٤٧ ..... مَا الْفَقْرُ أَحْسَى عَلَيْكُمْ.
- ١٤٨ ..... عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ وَحَدِيثَ الْإِفْكِ.
- ١٥٦ ..... مَا هِيَ بِأَوْلَ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ!
- ١٥٨ ..... بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا ﷺ بِصَدْرِ بَرَاءَةٍ.
- ١٥٩ ..... إِسْلَامُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمَيَّةَ.
- ١٦٠ ..... هِدَايَةُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي صَوَاحِي مَكَّةَ.
- ١٦٣ ..... النَّبِيُّ ﷺ يُطْمِئِنُّ الْحَائِفَ.
- ١٦٤ ..... قَدْ عُدَّتْ بِمَعَاذٍ.
- ١٦٥ ..... اسْتِرْدَادُ الرَّايَةِ مِنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ.
- ١٦٦ ..... مَنْ سَيِّمِسُكَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ؟
- ١٦٧ ..... النَّبِيُّ ﷺ يُحَاطَبُ قُرَيْشًا.
- ١٦٧ ..... فِكْرَةُ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ.
- ١٦٨ ..... عَمِيرٌ يُرِيدُ لِصَاحِبِهِ الْقَدِيمِ الصُّلْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

- ١٦٨ ..... هُنْدُ بِنْتُ عُبَيْبَةَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ النِّسَاءِ يُبَايَعْنَ عَلَى الْإِسْلَامِ.
- ١٧٠ ..... وَرَثَةُ ابْنِ الْوَقَّاصِ.
- ١٧١ ..... بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي صَفْقَةِ يَمِينِكَ.
- ١٧٢ ..... النَّبِيُّ ﷺ يَتَجَهَّزُ لِهُجُومِ هَوَازِنَ.
- ١٧٣ ..... دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَعْدَائِهِ الْقَدَمَاءِ (بَنِي ثَقِيفِ).
- ١٧٣ ..... تَوَزِيعُ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ.
- ١٧٤ ..... مُعَارَضَةُ فِي الْعَطَايَا.
- ١٧٤ ..... الْأَنْصَارُ يَفْتَحُونَ قَضِيَّةً.
- ١٧٦ ..... تَوْقِعُ مَرَّةً جَدِيدًا لِلنَّبِيِّ ﷺ.
- ١٧٧ ..... مَوْتُ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ.
- ١٧٧ ..... إِسْلَامُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَأُخْتِهِ.
- ١٧٩ ..... أَسْرُ الرَّسُولِ ابْنَةَ حَاتِمٍ ثُمَّ إِطْلَاقُهَا.
- ١٨٠ ..... إِشَارَةُ ابْنَةِ حَاتِمٍ عَلَى عَدِيِّ الْإِسْلَامِ.
- ١٨٠ ..... قُدُومُ عَدِيِّ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِسْلَامُهُ.
- ١٨٢ ..... وَفُوعٌ مَا وَعَدَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ عَدِيًّا.
- ١٨٢ ..... وَفْدُ نَجْرَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ.
- ١٨٩ ..... قُدُومُ وَفْدِ الْأَرْدِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- ١٩٠ ..... وَفْدٌ مِنْ قَبِيلَةِ بَهْرَاءَ.
- ١٩٢ ..... إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.
- ١٩٦ ..... حَجَّةُ الْوَدَاعِ.
- ١٩٧ ..... مُقْتَطَعَاتٌ مِنْ خُطْبَةِ الْوَدَاعِ.
- ١٩٩ ..... دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

- ٢٠٠ ..... إِسْلَامُ عِكْرِمَةَ
- ٢٠٢ ..... النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لِشُهَدَاءِ أَحَدٍ فِي الْمَدِينَةِ
- ٢٠٣ ..... اشْتِدَادُ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ
- ٢٠٤ ..... اقْتِصَاصُهُ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ
- ٢٠٤ ..... نَظَرُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ صَبِيحَةَ يَوْمِ وَفَاتِهِ
- ٢٠٥ ..... جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ